فيض الوهاب

فى بيان أهل الحق ومن ضل عن الصواب

بقلم

علامة عصره ووحيد دهره

الشيخ عبد ربه بن سليمان بن محمد بن سليمان

« الشهير بالقليوبى »

أحد علماء الأزهر الأعلام ، الخادم للسنة المطهرة

الذى تنتهى إليه أسانيد السنة جماء فى هذا العصر

والذى لم يسبقه أحد فى شرح جامع الأصول

لأحاديث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لابن الأثير

الجزء الخامس

سنة ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٤ م

مكتبة القاهرة

الباب الثامن

في التصوف وفيه فصول

الفصل الأول

في معرفة التصوف وحقيقته

لا يخفى على كل ذى عقل راجح أن التصوف حقيقة من حقائق الدين الإسلامى الذى هو دين الله تعالى الذى ارتضاه سبحانه وتعالى لجميع الأنبياء المرسلين ومن آمن بهم من جميع الخلق من لدن آدم عليه السلام إلى سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وعليهم أجمعين وقد قدمنا الأدلة فى ذلك عقلا ونقلا . وقدمنا أن هذا الدين الحنيف الذى اختاره الله تعالى لبنى آدم والجن والملائكة وكل من أوجد الله تعالى فيه الأهلية لمعرفة ذلك . هذا ولا ينكر ذلك إلا كل من قصر عقله عن إدراك ذلك ومن هنا تعرف أن المنكرين عليهم قديماً وحديثاً ما هم إلا جهلة الناس الذين لم يصلوا إلى قدر هذه الطبقة العالية الذين عنام الله تعالى فى الذكر عنهم فى كتابه العزيز ، وسيد العالمين فى بيان السنة المطهرة فإنكار المنكرين عليهم أو على أى شىء من أحوالهم ما هو إلا جهل منهم بمعرفة بيان الله تعالى فى كتابه العزيز وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا لا يعول عليه ولاعلى كتاباته مهما رفع الشيطان وحزبه من شأنه أو هو حسد منهم لأنهم لم يصلوا إلى هذا المقام الذى أهل الله تعالى له رجالا مخصوصين كقوله:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه * فالكل أعداء له وخصوم

وقال آخر :

كل العداوة قد ترجى إزالتها * إلا عداوة من عاداك عن حسد

فهؤلاء من خيرة خلق الله لأنهم على ما سنبينه لك على قسمين منهم من هو على قدم المرسلين . ومنهم من هو على قدم النبيين والكل أفضل بنى آدم أجمعين الذين هم محل نظر الحق سبحانه من خلقه فكيف لا يكونون كذلك وهم أفضل عامة المخلوقين وكيف يعول أو يسمع كلام طاعن أو قادح فيهم. فقل للطاعن فى صوفية الآن فبالحرى الطعن فى أمراء الآن وعلماء الآن وقضاة الآن والناس الآن فهم أسلم الناس حالا ومآلا .

وعلى هذا فالصوفية فى الأمة المحمدية هم أرق الناس فى القرب من الحق عز وجل وهم الذين يتحرون لدينهم دون جميع الناس فى أحوالهم قولا وفعلا . وأن الذى نشأهم على هذه الصفة إنما هو الله سبحانه الذى جعل ضروراتهم فى هذا الدين بل فى كل زمان ضرورية حتمية كما قال (ومن كل شىء خلقنا زوجين) فكيف يوجد لبنى آدم فوق وتحت ولا يوجد له أمام وخلف ويمينا وشمالا وبياضا وسوادا وليلا ونهارا وزوجا وزوجة ومقابلة ومماثلة ولا يوجد أنبياء ومرسلين ولا يوجد من هم على قدم الأنبياء والمرسلين ، فتنبه أيها المسلم المدعى العلم والمعرفة إلى ذلك واعلم أن الطاعنين هم أجهل الخلق أجمعين فى معرفة بيان رب العالمين وسيد المرسلين أما رب العالمين فقد قال تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شىء وكيف يفرط بيان خواص خلقه فى كل عصر وجيل وسيد العالمين القائل فى صحيح السنة المطهرة (أوتيت القرآن ومثله معه) أى من البيان والتبيين كما قال تعالى (ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون) هنا قال صلى الله تعالى عليه وسلم مما أفاض الحق سبحانه وتعالى عليه فى البيان من قوله الشريف على معنى قوله تعالى (يؤتون أجرهم مرتين) (ثلاث يؤتون أجرهم مرتين رجل آمن بالنبى الذى قبلى ثم آمن بى ورجل يؤدى حق مواليه وحق الله ورجل يشترى الأمة ويعلمها ويحسن تعليمها ويؤدبها فيحسن تأديبها ثم يعتقها ويتزوجها) وهكذا السنة المطهرة مليئة من هذه الزيادة فى بيانه الشريف للتوسع لعباد الله تعالى فى البيان الشريف فكيف يذكر الله تعالى فى كتابه العزيز من هم على قدم المرسلين من العلماء العاملين ويثنى عليهم الثناء الجميل ولا يذكر من هم على قدم النبيين ولا يثنى عليهم . ففى شأن العلماء قال تعالى (والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) وقال تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وفى شأن الصوفية قال تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) الآية وقال تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ما عليك من حسابهم من شىء) الآية وهؤلاء هم الذين انحصر فيهم أسباب التنزيل ولا ثالث لهما وإليك يرجع البيان والتبيين واعلم أننا قدمنا أن الدين الإسلامى دائما لا يخرج عن دائرة ثلاث الإيمان والإسلام والإحسان . والقرآن ، بل جميع الكتب السماوية أيضا لا تخرج عن دائرة ثلاث التوحيد الذى

هو مقابل الإيمان والمعاملة التى هى مقابل الإسلام والقصص مقابل الإحسان وأيضا الدين الإسلامى ينحصر فى أقواله الشريفة صلى الله تعالى عليه وسلم وأفعاله وتقريراته. فالإيمان يقابل التوحيد والإسلام يقابل الأفعال والتقريرات تقابل الإحسان . وهى المنحصرة فى سؤال جبريل عليه السلام بأمور الدين فى الحديث المشهور المروى عند جميع أصحاب السنن والمسانيد حين سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان وقدمنا أنه كان من مقتضى كمال هذا الدين الحنيف أن قيض الله تعالى فى كل ناحية من نواحيه رجالا قاموا ببحث كل ما ورد عن حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم من البيان الشريف على حسب بيان رب العالمين وما أوحى تعالى على حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم من البيان والتبيين وقلنا أن الفقهاء قاموا ببيان الأحكام الشرعية لعباد الله تعالى وعلماء التوحيد قاموا ببيان الإيمان والصوفية قاموا ببيان الإحسان وهو الجامع لجميع بيان الله سبحانه لعباده وخاصة الذى يكون على هذا الحال فى مقام العبادة طبعا يكون عليها فى جميع أحواله فيكون إذا على أعلى حال فى البشرية قولا وفعلا ولم يعرف عن أحد من السابقين قام بتبيين الإحسان إلا الصوفية . ثم إن هذا الاسم وهو الصوفية لم يعرف إلا فى الأمة المحمدية . وأما الأمم الماضية التى كانت من قبل سيد العالمين فكانوا يسمون . بالربانيين والأحبار قال تعالى: (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار) الآية هذا ما كانوا يسمون به عند اليهود وأما ما كانوا يسمون به عند النصارى فهم القسيسون والرهبان قال تعالى (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) وهذا هو الحق والتحقيق الذى هم عليه من الوصف الإنسانى وقد عرفوا من بين الناس أيضا بالخلق الكمالى الذى لم يكن عليه أحد من البشر إلا رسل رب العالمين فعرفوا بوصفهم من بين الناس بأنهم هم العاملون المتأسون بسيد العالمين فى القول والفعل وهم الربانيون حقا والعاملون صدقا . وأضف إلى ذلك عدم الرغبة فى الدنيا وزخارفها وما يشغلهم منها عن طريقهم الموصل لهم إلى الغاية التى يطلبونها . لأن أصلهم وهم الذين صحبوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ملء بطونهم وتعليمهم القرآن والعلم وهم الذين امتدحهم الله تعالى بقوله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) وفى قوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) ولما كان سبب

النزول مؤيدا لهم وهم المعنيون فى الآيتين فتعين أنهم هم لا غير وكانوا هم الموصوفين بهذه الأوصاف ولما كان الحق سبحانه وصف السابقين من اليهود بالربانيين ووصف من النصارى قسيسين فكذلك وصف سبحانه وتعالى هؤلاء من الأمة المحمدية بأنهم ربانيين فى الآيتين ذاتى لواقعتين فتعرف من هنا أن الصوفية ضرورية فى كل ملة وشرعة غير أنها كانت تسمى فى كل وقت بأية تسمية فهم وإن كانوا هم الربانيين ولكن للنسبة العامة نسبوا إليها وهى نسبة عز وشرف إذ بها شرفهم الله تعالى بأنهم هم المقبلون على ربهم لا على شىء سواه من الأحوال الدنيوية وأنهم هم الفائزون فى الدنيا والآخرة فرضى الله تعالى عنهم بحسن الثناء الذى أثنى عليهم وهم رضوا عنه لما تفضل من جميل فضله وكرمه عليهم فقد عرفت من هنا أن أصل الصوفية من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وهم الذين تلقوا تلك المبادىء عن حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم وانفردوا منها بأشياء لم يكن غيرهم يرعى لها بالا لاعتكافهم على الأحكام الشرعية وما رأوه من بيانه الشريف فيها ولكنهم بعد أداء الفرائض واجتناب المحارم تركوا بالا يعنيهم والبعد عن كل ما يبعدهم عن مطلوبهم وغاية مقصودهم وليس لهم غاية ولا مقصد إلا ما يقربهم إلى الله تعالى وهو المراد لكل عاقل فى هذه الحياة الزائلة الفانية وكان شأنهم الاختصار على مالا بد منه من الملبس والأكل والشرب وخلقهم خلق سيد العالمين من إيثار الجوع على الشبع وترك العلو والترفع وبذل الجاه والشفقة على الخلق كما قالت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها فى الحديث المشهور عند أصحاب السنن والمسانيد من قولها (كان خلقه القرآن) وسئلت أيضا كيف كان رسول الله فيكم؟ فقالت (يكون فى خدمة أهله يكنس بيته ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله) فالصوفية يكونون كذلك دائما وأبدا ظاهرا وباطنا فى خلواتهم وجلواتهم فهم المتمتعون بالعمل بالكتاب والسنة ولذا كان تجلى الحق سبحانه وتعالى عليهم يظهر ويلوح على وجوههم يعرف عنهم بأنهم صوفية من غير أن يعرف عنهم معرف فهم من قبيل قوله تعالى (يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور) وقد قال أفاضل الأمة هم حوارى هذه الأمة كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم فى وصفهم ما خرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال ندب النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (إن لكل نبى حواريا وحوارى الزبير) ومعنى الحوارى الصافى القلب وخاصة لما أظهره الله تعالى عليهم من أثر العبادة ونورها وعلى كل فالحواريون هم

الأصفياء (سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) فسيماهم تجذب النفوس إليهم ونورهم أكبر دلالة عليهم ولا غرو فالله يختص برحمته من يشاء .

الفصل الثانى

فى تسميتهم

ذهب المحققون فى أصل وضع هذا الاسم فى الدين الإسلامى إلى مذاهب شتى ، فمنهم من قال: إنه من الصفاء لصفاء قلوبهم عن شوائب الدنيا وكدورتها وتعلقها بخالقها ومهما كانت العوائق لا تشغلهم عما هم فيه كما قال العالم العامل أحد رؤساء الصوفية قديما سيدى عبدالقادر الجيلانى وقد سئل عن أبى يزيد البسطامى المجذوب « ماخاض أبو يزيد البسطامى بحرا وهو مجرد إلا وخضته ومعى العوائق ؛ لأن حليتهم الصفاء لله تعالى . وقال العلامة فى هذا المعنى :

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا قدما وظنوه مشتقا من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتى صافى فصوفى حتى سمى الصوفى

ومنهم من قال إنهم منسوبون للصفة التى بناها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لفقراء المهاجرين والأنصار فى مؤخرة مسجده المبارك فأقاموا فيها يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه كما حكى سبحانه وتعالى عنهم . ومنهم من قال إنهم منسوبون للصف الأول الذى هو مع الله تعالى بقلوبهم . ومنهم من قال إنهم منسوبون للبس الصوف وما فى معناه من كل لباس خشن للتقشف كما نسب الحواريون إلى الحوارى وهى الملابس البيضاء وقد نفى ذلك عنهم من ذم المتشبه بقوله :

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ولا بكاؤك إن غنى المغنون
ولا صياح ولا رقص ولا طرب ولا اختباط كأن صرت مجنون
إن التصوف أن تصفوا بلا كدر وأن تتبع العلم والقرآن والدين

وقال القشيرى فى رسالته إن اسم الصوفية لا يشهد له قياس من حيث العربية والأظهر أنه لقب . وقد قال القطب الشعرانى رضى الله تعالى عنه فى تعريفه للتصوف فقال : التصوف عبارة عن علم . انقدح فى قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة كما انقدح لعلماء الشريعة حين علموا بما علموه من الأحكام . وعلى كل فهو علم بقوانين كلية كباقى العلوم الشرعية بمبادىء عشرة كما بيناه .

ومصدره الصحابة رضى الله تعالى عنهم كباقى العلوم وهو عن المشرع الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم كما قدمنا كثيرا ومنشأ ذلك بعد الإيمان بالله تعالى ومحبة الله تعالى إذ ذاك كانت فاشية ضرورية للمؤمنين كما أخبر سبحانه وتعالى عنهم فى قوله تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) فكانت فطرية طبيعية لم يشغل القلوب عند هؤلاء إلا التدبر والتفكر فى قوله تعالى : (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) الآية ، وكان هذا الحال مستمرا فى زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم كما قال سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » ولما فتحت الفتوحات واختلط الناس فترة الهمم ورغب الناس فى الدنيا وزخارفها صدأت القلوب بالغفلة عن الله تعالى واشتهر ذلك حتى كاد لا يعرف الصوفى إلا من كان منهم حتى أثر عنهم القولة المشهورة « استغفارنا يحتاج إلى استغفار » وحقا كان ذلك وهذا منهم وقوله هذا من باب « حسنات الأبرار سيئات المقربين » لأن الله تعالى الذى قيض لهذا الدين رجالا دونوا الأحكام أفلا يقيض لهذا أحسن خلف لخير سلف بل قيض لدعوة المؤمنين فريقا من العلماء العاملين الربانيين والزهاد العابدين قاموا بإحياء نهج الصحابة وما كانوا عليه أتباعهم ومشوا فى الناس بنور ربهم ويشوقونهم إلى الله تعالى والتخلق بالأخلاق النبوية ولذيذ ذكره تبارك وتعالى والتحلى بخصائص السابقين الأولين فى العبادة الدينية والرحمات الإلهية بما أبانه سبحانه وتعالى لعباده الصالحين وشرعه لهم سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم فى السنة المطهرة من العبادة الدينية بحالة عامة . وفى توجه القلوب والروح إلى الله تعالى بحالة خاصة ليجمعوا بين الوصفين الشريفين تزيين الظاهر بالأفعال التى لا تظهر إلا بالقيام بالجوارح وبتزيين الباطن بصدق النية وما يلزم لها من حسن الطوية . وما ذاك إلا بعد خلو القلب وتطهيره من كل ما عساه أن يكون من الأخلاق الدنية . وذلك لثقتهم بما ثبت من كلام الحق عز وجل لأصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين تأسوا به فى الأقوال والأفعال ظاهرا وباطنا واقتفوا أثر كل ذلك فيما استطاعوا إليه سبيلا ولم يألوا فى ذلك جهدا ولم يتحولوا عنه تحويلا وكانوا خير من اقتدى بالكتاب العزيز والسنة المطهرة فى دعوتهم ذلك جاعلين الأخلاق الفاضلة والآداب الدينية الكاملة خير عادة وطبيعة لهم حتى عرفوا بين الناس « بالصوفية » وكل من كان على هذا المبدأ يعرف أيضا بذلك وهم ذوو مبادئ شريفة فى العلم والأخلاق والزهد والصبر ولهم إشارات رائقة ومذاقات فى الفهم عالية لا يدركها إلا من كان منهم أو من هو منشأ على

مبادئهم وسلك مسلكهم وشرب من مشربهم وذاق طعم لذيذ مطعومهم الهنى الوفى .
وقال فيهم سيدى أبى يزيد البسطامى فى السنة التى رد فيها إلى الخلق :

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه غدى بالروح يشريه

وكان هذا المظهر من مبدأ تدوين العلوم والمعارف فقاموا فيه بقسطهم الوافر ، وما أفيض عليهم من الفيض الإلهى الزاخر . وكان الأفاضل من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين يرجعون لأسانيدهم التى تلقوها عن الصحابة عن سيد العالمين حتى نقل عنهم أن الله تعالى لما أنزل على سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم ، قوله تعالى : (كهيعص) قال جبريل عليه السلام ك قال النبى اللهم صل عليه «عرفت» قال جبريل عليه السلام (هـ) قال اللهم صل عليه وآله عرفت قال جبريل (ى) قال عرفت قال جبريل (ع) قال عرفت قال جبريل (ص) قال النبى عرفت قال جبريل عليه السلام عرفت وأنا لم أعرف سبحان من أعطاك . واعلم أن كل حرف من هذه الأحرف الخمسة له حالة من الله تعالى وقد عرفها حبيبه اللهم صل عليه إذ كل حرف منها أول كل آية تنبئ عن حالة وآخر كل آية حرف من الأحرف الخمسة التى هى أول سورة الشورى (حمعسق) تنبئ عن حالة أخرى أو إن هذه الآيات الخمس التى كل آية منها تبدأ بحرف من حروف « كهيعص » وآخرها حرف من حروف « حمعسق » يخبرنا سبحانه وتعالى فيها عن حال الدنيا وعن الآخرة وعن حال الناس فى ذلك اليوم ثم إما إلى نعيم أو إلى جحيم قال تعالى (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح) (ح) إنما الذى صنع ذلك وأجراه (هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم) (م) ثم بعد انتهاء الدنيا لا تكون إلا الآخرة وهو (يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع (ع) هناك يتضح لكل نفس ما عملت ومآلها (علمت نفس ما أحضرت فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس) (س) ثم أخبر سبحانه وتعالى عن حسرة الكافرين إذا عرفوا مآلهم بقوله تعالى (ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) (ق) وقد قال تعالى (إنما مثل الحياة الدنيا) الآية وقال تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا) الآية ولكن هذه جمعت الدنيا والآخرة والأعمال والمآل فسبحان ربى العظيم القادر . ولهم أيضا فى قوله تعالى (ياليتنى مت قبل هذا) الآية أن الله تعالى أطلع السيدة مريم على ما حملت وولدت بأنه يكون آية لله تعالى كما قال ذلك سبحانه حتى من شدة حب الناس فيه

يعبدونه . فقالت أهل أنا أله من يعبد من دون الله ياليتنى مت قبل هذا . لا كما يظن بعض الناس أنها أسفت على ما صدر منها ويظن الناس فيها سواءً كلا ودلالتهم على ذلك قوله تعالى فى الحال (أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا) ولهم معان كثيرة فى آى القرآن الكريم والسنة المطهرة مما يذكره الكثير من المفسرين محبا من حسن الفهم ورقة الذوق فى المعانى المناسبة التى لا يعقلها إلا العالمون ولقد قال بعض تلاميذ الشهاب فما بال كلام سيدى محي الدين ابن العربى لا نفهمه كقوله :

يامن يرانى ولا أراه * كم ذا أراك ولا ترانى

قال له تلميذه ياسيدى هذا كلام عال فما المعنى قال :

يامن يرانى مجرما * ولا أراه آخــــذا
كم ذا أراك منعما * ولا ترانى لائذا

فقال له الشيخ إذا وصلنا لدرجة ابن العربى نفهم كلام ابن العربى . كما قال آخر :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم * وتأتى على قدر الكرام المكارم
وتعظم فى عين الصغار صغارها * وتصغر فى عين العظام العظائم

وقد قلنا كثيرا إن الله تعالى العظيم القادر المبدع خلق الوجود كله على المقابلة والمماثلة وخاصة ابن آدم الذى ما أبدع الوجود إلا لأجله فلا يماثل الصوفى إلا الصوفى والولى إلا الولى والعالم إلا العالم وعلى شرط أن يكونا عاملين بعلمهما ولا يماثل ضد ذلك إلا ما يماثله . وهل يماثل غير الصوفى إلا من يماثل ضده وأما هما يعنى الصالح والطالح يكونان على المقابلة كالسواد والبياض والخير والشر وقس على ذلك كل ما فى الوجود لا كالذكر والأنثى فحسب بل كل ما فى الوجود كما قال تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) وقال تعالى (سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) ثم إنه سبحانه وفق كل زوجين لما خلقا لأجله قال تعالى (ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) وقال تعالى (والله خلقكم وماتعملون) أى خلقكم وخلق عملكم فالعمل مطلقا داخل فى تكوين العبد والله سبحانه وتعالى أعلا وأعلم نسأله تعالى الهداية التوفيق .

الفصل الثالث

فى نسبتهم إلى الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم

لا يخفى على ذوى العقول المتعقلة أن الله تعالى هو الشرع لجميع عباده دينه ومعرفته

والدلالة على معرفته جل وعلا ونصب الدلائل التى تدل على ذلك عقلا ونقلا بأسباب وغير أسباب التى أنشأها بآثار صفاته وإشراق أسرار أسمائه ظاهرة وباطنة ووفق من شاء من عباده لمعرفة ذلك وألهمهم السبيل لما هنالك فتوجهوا إليه راجين عطفه وما أعده لهم عنده فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فرغبوا فى كل ذلك فأخذوا الأحكام ممن أنزلها وبيان من أسند إلى حضرته البيان والتبيين فتلقوا الأمور من مصادرها وتحروا من ناقلها حتى أصبح الحق واضحا وجليا لا تشوبه شائبة ولم تفته نائبة ولا غائبة فتمسكوا بحبل الله المتين وظهر عليهم ذلك بالنعمة وتمام اليقين فأصبحوا مستحقين الثناء من الله الكريم (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) الآية وأى عمل يعد ويحسب إلا عمل أولئك الذين قاموا بتدوين الدين الحنيف فى كل ناحية من نواحيه ومستلزماته وأضربه التى لا بد له منها فيه وهذا هو أجل الأعمال عند الله والناس . حتى أضحت كل مسألة من مسائله قوية البنان منيعة الحصون لايتطرقها متدلس ولا يتصورها خؤون وجعلوا العمدة فى ذلك كله السند إلى سيد العالمين اللهم صل وسلم وبارك عليه وآله وبه لرب العالمين سبحانه وتعالى وقدر وعقلاء الأمة أجمع وهم علماؤها أن عمدة الدين الإسناد وقد جعله الله تعالى الحجة فى الدين وبه حفظة من التغيير والتبديل وقالوا لولا الإسناد لا راح الدين ولاجاء ومن لاسند له لا قول له . ولا يؤخذ برأيه فقارىء القرآن لا بد له من سند إلى سيد العالمين إلى جبريل إلى رب العالمين ولو بطريق تعلمه وتلقيه عمن علمه وعلم من علمه وهكذا فما بالك بطرق القراءات التى هى أدق وأحرى كما هو مقرر فى محله . ثم الفقهاء الذين قد قرروا فى شأن متابعيهم من لم يعرف أن الإمام جاء بدليل الحكم الفقهى من أى أصل من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس لا يقول مذهبى كذا وإلا فمذهبه مذهب مفتيه . وهكذا علماء التوحيد وما يلحقه من السمعيات من الأمور التى جاءت فى بيانه الشريف من الغيبيات التى أوجب الله تعالى على عباده المؤمنين أن يؤمنوا بها بالغيب وقد امتدح سبحانه من هم كذلك (هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب) وهم أقوى الناس إيمانا .

والصوفية الذين قاموا بأخذ أركان الدين (الإحسان) سندهم (العهد) وهو أول شىء خاطب الحق سبحانه وتعالى عباده بأخذه العهود والمواثيق على جميع بنى آدم (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) الآيات وهذا تشريع من ربك سبحانه وهو

عهد العهود وأولها . والعهد هذا هو أكبر ارتباط وتوثق بين التعاهدين وهو من أجل الأمور قدرا وأعلاها عند ربك ذكرا وقد أثنى الله سبحانه على الشيخ والمريد وغيرهما فى قوله تعالى (والموفون بعهدهم إذا عاهدوا) وقوله تعالى (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) وفى قوله تعالى (أوفوا بالعهد) وفى قوله تعالى (إن العهد كان مسؤولا) وفى قوله تعالى (وكان عهد الله مسؤلا) وفى قوله تعالى (وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون) وفى قوله تعالى (والموفون بعهدهم إذا عاهدوا) وفى قوله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه) وفى قوله تعالى (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) ثم إن الله تعالى ذم الذين ينقضون العهود والمواثيق كالمستهزئين فى قوله تعالى (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) ثم ذم سبحانه المتساهلين فى نبذ العهود فى قوله تعالى (وماوجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) ثم يقول تبارك وتعالى لعباده (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) ثم طالما حث الله تعالى عباده على الوفاء بالعهود لما يترتب عليها من كل خير فى الدين والدنيا والآخرة وخاصة لما فيه التزام بيان حال المؤمن من غيره كيف لا وهو المبايعة التى ذكرها سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز وبينها سيد العالمين فى سنته المطهرة لأن المتعاهد المتبايع إنما يتعهد ويبايع الله تعالى والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو الشيخ أو النقيب أو الإخوان إنما هم واسطة أو سبب أو وسيلة لذلك تجرى على أيدى الجميع كما هى سنة الله تعالى فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا قال تعالى (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) ثم قال تعالى مادحا المؤمنين (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) لصدق نيتهم وإخلاصهم حقق سبحانه وتعالى لهم رغبتهم وقرب لهم أمنيتهم ولما كانت المعاهدة مبايعة من الطرفين قال تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن * ومن أوفى بعهده من الله (أى لا أحد) فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به * وذلك هو الفوز العظيم) هذا كان بهناك مجالا للجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا وإلا تعين علينا أن نجاهد أنفسنا ونردعها عن غيها وهو الجهاد الأكبر الذى عناه صلى الله تعالى عليه وسلم

بقوله « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » وقد قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) والطريق إلى الله تعالى جد واجتهاد ومن تكاسل أو نام فاته الخير الكثير كما قال السادة الصوفية فى ذلك الكلام الكثير ثم إنه سبحانه وتعالى أثنى على المتبايع مع الله المتعاقد على القيام بأنواع الكمال المتباعد عما يخالف أوامر الله تعالى وهم الموصوفون فى قوله عز وجل (التائبون العابدون الحامدون السائحون) أى الصائمون (الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) هذه هى أوصاف وحلية الآخذين العهود القائمين بها المحافظين عليها وبما وعدهم الله تعالى عليها من خيرى الدنيا والآخرة وأيضا ذم المفرطين المتساهلين فى العمل بها وحذرهم التفريط أو التساهل فى جميع ما قدمنا من الكتاب العزيز .

وأما السنة المطهرة فقد جاء فى بيانه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم أنه كان على وفق ما جاء فى القرآن الكريم فما من أحد كان يدخل فى الإسلام إلا واشترط عليه ما اشترطه تعالى على عباده فى كتابه العزيز . ومن المعلوم أن أول عهود أخذت على الأنصار فى موسم الحج وأولها كانت مع ثلاثة ثم مع ستة ثم مع اثنى عشر رجلا ثم مع ثلاثين ثم مع السبعين الذين حضرهم العباس رضى الله تعالى عنه قبل أن يسلم محافظة على ابن أخيه صلى الله تعالى عليه وسلم واشترط معهم وعليهم ما اشترط المبين فى السنة المطهرة . ثم إن حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم كانت له معاهدات مع أصحابه خاصة كمعاهدته لهم فى صلح الحديبية وللناس كافة فيما يتعلق فى الدين من الأحكام الشرعية كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا فى معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له . ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله عز وجل فهو إلى الله إن شاء عفى عنه وإن شاء عاقبه فبايعناه على ذلك » ومثل هذا كثير فى السنة كما لا يخفى على من له أدنى اطلاع وفى هذا القدر كفاية فى بيان معنى العهود وحكمة تشريعها فى الدين الإسلامى ، وأنها حقيقة من حقائق الدين ، وأنها جاء بها القرآن المجيد وبينتها السنة الغراء ولا ينكرها إلا جاهل بدينه وقد قال الأفاضل : من لا عهد له لا دين له . ومن لا شيخ له فشيخه الشيطان والعهود هى الحدود التى أمر الله تعالى عباده أن يرعوها وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم « مثل القائم على حدود الله والواقع

فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذى فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا . فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » فالمعاهد يتعين عليه إن وجد مرشدا صالحا قائما على حدود الله يتعين عليه أن يرشد الناس إليه وخاصة أحبابه وأصدقاءه وكل من يحب له الخير من معارفه ليكون سببا فى هدايته ويدخل تحت حزب الله ورسوله ويبين له حالة الصلة بالله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وليكون أدعى له فى التقرب إلى الله تعالى.

وأقل شيء فى العهد المحافظة على الصلوات ولو كان المتعاهد مرتكبا جميع المعاصى فمواظبته على الصلوات يحول الله تعالى حاله من المعصية إلى التوبة الصادقة كما روى عن أنس قال (كان فتى من الأنصار يصلى الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يدع من الفواحش شيء إلا ركبه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن صلاته ستنهاه يوما فلم يلبث أن تاب وحسنت حاله) يعنى الصلاة هى أهم شيء فى الصلة بين العبد والرب سبحانه نسأله التوفيق فقد عرفت مما تقدم أن جميع العهود التى شرعها الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم للرجال لأنهم هم المرادون عند الخطاب والنساء تبع لهم وهن مندرجات تحت الخطاب لأن المرأة لم تخلق لذاتها إنما خلقها الله تعالى للرجل فهى من مستلزمات حياته إذ لا تكمل حياة الرجل إلا بها أضف إلى ذلك أنها سبب فى التناسل الذى عليه عمران الدنيا والآخرة يدلك على ذلك قوله تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) الآية فتبين لنا أن المرأة مخلوقة للرجل وليست لذاتها وإنما المقصود للحق جل وعلا فى هذا الوجود هو الرجل كما دل على ذلك آى القرآن الكريم التى منها قوله تعالى (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا) وإنما أوجب الله تعالى على المرأة ما أوجبه على الرجل فى جميع التكاليف الشرعية لتقف عند حدود الله تعالى ولولا ذلك ما اقتصرت امرأة رجل واحد قط لأنها خلقت عسيفة (أى ناقصة عقل ودين) ومن الأحكام الشرعية التى ألزم الله تعالى بها النساء كما ألزم بها الرجال مبايعة الصحابة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث السابق . وقد حفزت هذه المبايعة النساء على الاقتداء بالرجال فى المبايعة فطلبن إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يبايعهن فأنزل الله عز وجل قوله تعالى (ياأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن

ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم) فأمرهن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يجتمعن وأمر عمر بن الخطاب أن يلقنهن المبايعة فقال لهن إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يصافح امرأة قط فأخذ رسول الله يقول لعمر وعمر يلقنهن البيعة وكانت عليهن هند امرأة أبى سفيان حتى تمت المبايعة التى كانت سببا فى إعطاء النساء العهود وكان ذلك سببا فى وصول بعضهن من الطريق القويم على نهج الصوفية حتى وصلن إلى أوج الكمال اللائق بهن ولقد أثنى الله تعالى على من حذون حذوهن . واتبعن سبيلهن بقوله تعالى (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما) فمن هنا تعلم أن عليهن ما على الرجال من الأحكام الشرعية من خير وشر كان هذا ومنه وجه طلبهن سيد من العالمين أن يكن مثل الرجال فى الجهاد فرد الله تعالى عليهن فى قوله الكريم (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض) الآية فكان طلبهن بمساواتهن للرجال فى الجهاد كما طلبن المساواة فى المبايعة ولكن الله العليم الخبير بمصلحة عباده أجازهن المبايعة لما فيها من مصلحتهن وهو أعلم بالصواب .

الفصل الرابع

فى حث الله تعالى عباده على الذكر وبيان سيد العالمين لذلك

اعلم وفقنى الله تعالى وإياك وهدانى وهداك أن شرع الطرق جميعا إنما هو الحق سبحانه وتعالى على لسان من أسند إلى حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم البيان والتبيين لما فى قوله تعالى (اذكرونى أذكركم) وقوله تعالى (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) وقوله تعالى (ولذكر الله أكبر) فعند ذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم حاثا جميع عباد الله تعالى « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يارسول الله قال ذكر الله » عن أبى الدرداء عن أبى سعيد الخدرى قال إن رسول الله صلى الله عليه ... لم سئل أى العباد أفضل

درجة عندالله يوم القيامة «قال الذاكرون الله كثيراً قالوا يارسول الله والغازى فى سبيل الله. فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب فى سبيل الله دما لكان الذاكرون الله كثيرا أفضل منه درجة) أخرجه وسابقه الترمذى وفى مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله؟ قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» وفى البخارى عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى أنهما شهداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده» وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما معنى ولذكر الله أكبر ذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه. ويروى ذلك أيضا مرفوعا عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم. وذلك يؤخذ من مفهوم الحديث القدسى الشريف من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم أن الله تعالى يقول « من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملئه» فذكر الله تعالى للعبد الذاكر خير من ذكر العبد لربه أو أن الملأ الذى يذكر الله تعالى فيه عبده الذاكر خير من الملأ الذى يذكر فيه العبد الذاكر. وفى البخارى أيضا عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل (أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملإ خير منهم وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتانى يمشى أتيته هرولة. وفى البخارى عن أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم «مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر مثل الحى والميت» وفى البخارى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا أوجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلى حاجتكم قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم. ما يقول عبادى قال يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال فيقول هل رأونى فيقولون لا والله ما رأوك قال فيقول كيف لو رأونى قال يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وتحميدا وأكثر لك تسبيحا قال فيقول فما يسألونى قالوا يسألونك الجنة قال يقول وهل رأوها قال يقولون لا والله يارب ما رأوها قال يقول فكيف لو أنهم رأوها قالوا يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة قال فمم يتعوذون ؟ قال يقولون من النار قال يقول

وهل رأوها قال يقولون لا و الله يارب ما رأوها قال يقول فكيف لو رأوها قال يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة قال فيقول أشهدكم أنى قد غفرت لهم قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم) صدق الله ورسوله .

أما يكفى هذا فيخزى ويردع كل منكر على الصوفية وحلقات الذكر والتمايل الذى سنأتى له بالدليل من الكتاب والسنة وفى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه » وعن أبى أيوب الأنصارى وابن مسعود رضى الله عنهما قالا فى هذا الحديث السابق عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من قال عشرا كان كمن أعتق رقبة من ولد إسماعيل » قال العلامة ابن حجر شارح البخارى مبينا أصل القصة وسياق الحديث قوله من ولد إسماعيل عليه السلام صفة لرقبة أى حصل له من الثواب كثواب من اشترى ولدا من أولاد إسماعيل عليه السلام وأعتقه وإنما خصه به لأنه أشرف الناس . ثم إن العرب كانت فى الجاهلية الأكثر عددا يغيرون على الأقل أو الأقوياء يغارون على الضعفاء ويأخذونهم ويبيعونهم عبيدا لهم أرقاء فإذا صادف أحدا من هؤلاء كان له هذا الفضل مصادفة فما بالك إذا عرفه أنه من ولد إسماعيل عليه السلام . قال وعند مسلم كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل عليه السلام وعند أحمد والطبرانى . قال أبو أيوب لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة نزل على فقال أبا أيوب ألا أعلمك؟ قال بلى يارسول الله قال « ما من عبد يقول إذا أصبح » وفى رواية « إذا صلى الصبح لا إله إلا الله الخ إلا كتب الله له بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات وإلا كن له عند الله عدل عشر رقاب محررين وإلا كان فى جنة من الشيطان حتى يمسى ولا قالها حين يمسى إلا كان كذلك » وفى رواية « وإذا قالها بعد المغرب فمثل ذلك » قال الحافظ ابن حجر واختلاف هذه الروايات فى عدد الرقاب مع اتحاد المخرج يقتضى الترجيح بينها فالأكثر على ذكر أربعة ويجمع بينه وبين حديث أبى هريرة بذكر عشرة لقبولها مائة فيكون مقابل كل عشر مائة رقبة من قبل المضاعفة فيكون لكل مرة بالمضاعفة رقبة وهى مع ذلك لمطلق الرقاب ومع كون وصف الرقبة من ولد إسماعيل يكون مقابل العشرة

من غيرهم أربعة منهم لأنهم أشرف من غيرهم من العرب فضلا عن العجم وأما ذكر رقبة بالإفراد فى حديث أبى أيوب فشاذ والمحفوظ أربع اه وإنما جئت بهذا دافعا لاعتراض المعترض وفى البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال «من قال سبحان الله وبحمده فى كل يوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» وعند الترمذى رضى الله تعالى عنه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم «من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه) وعند البخارى ومسلم عن جويرية بنت الحرث زوج النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها «أن النبى صلى الله عليه سلم خرج ذات غداة من عندها وهى فى مسجدها فرجع بعدما تعالى النهار فقال مازلت فى مجلسك هذا مذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرار لو وزنت بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته » وفى مسلم عن سعد بن أبى وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أيعجز أحدكم أن يكتسب كل يوم ألف حسنة فسأله سائل من جلسائه قال كيف يكتسب ألف حسنة قال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف خطيئة » وفى رواية غير مسلم « يحط عنه أربعين ألفا » وفيما اتفقا عليه البخارى ومسلم وعند غيرهما من أصحاب السنن والمسانيد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » .

هذا من بيان الله تعالى لعباده كيف يذكرونه سبحانه وتعالى وكذا بعض بيان حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم لجميع عباد الله تعالى أبان لهم الخير العظيم وأرشدهم إلى المنهل العذب الذى يغترف منه طالب القرب منه عز وجل . هذا وإن الله تعالى أرشد عباده على لسان حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم بأن يذكروه سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى. فقد روى أصحاب السنن والمسانيد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال سجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة ذات ليلة فجعل يبكى ويقول فى سجوده يا الله يا رحمن فقال أبو جهل إن محمدا ينهانا عن آلهتنا ويدعو إلهين فأنزل الله عز وجل (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) والحسنى تأنيث الأحسن ومعنى الآية أن أسماء الله سبحانه وتعالى المقدسة كلها حسنى وليس المراد أن فيها ماليس بحسن لأن الأسماء

الحسنى ليست إلا لله تعالى . هـذا هو بيانه عز وجل لعباده فى أن يذكروه سبحانه بأسمائه الحسنى وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث الشريف المروى عنـد أصحاب السنن والمسانيد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «إن لله تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة والله وتر يحب الوتر» وفى رواية الترمذى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة» يكون المراد الإخبار عن دخول الجنة باحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء . ولهذا جاء فى الحديث الآخر «بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك» وقد ذكر الحافظ أبو بكر بن العربى المالكى عن بعضهم (إن لله ألف اسم) وقد قال لى شيخى رحمة الله عليه كذلك بل بين ثلثمائة فى التوراة وثلثمائة فى الزبور وثلثمائة فى الإنجيل ومائة فى القرآن وأمر الله تعالى بنبيه أن يعلم كافة الناس التسعة وتسعين اسما وأمره أن يعلم الخاصة من أمته الاسم المكمل للمائة. هذا وانى نظرت إلى أسماء الله تعالى الحسنى فوجدتها لم تخرج عن دائرة ثلاث أسماء ذات وأسماء صفات وأسماء أفعال وعرفنا أن ذات الله تعالى لا تتناها فكذلك الأسماء لا تتناها وكذا الصفات والأفعال وهذا هو الحق كما قال ابن العربى رضى الله تعالى عنه وهذا قليل يعنى (إن لله ألف اسم) وقوله صلى الله عليه وسلم من أحصاها دخل الجنة تقدم قول البخارى فى روايته من حفظها وهو قول أكثر المحققين ويعضده رواية من حفظها . وقيل المراد بالإحصاء العدد أي عدها فى الدعاء بها . وقيل معناه من أطاقها وأحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بمعانيها وعمل بمقتضاها دخل الجنة . وقيل معنى أحصاها أحضر بباله عند ذكرها معناها وتفكر فى مدلولها معتبرا متدبرا ذاكرا راغبا راهبا معظما لها ولمسماها ومقدسا لذات الله سبحانه وتعالى وأن يخطر بباله عند ذكر كل اسم الوصف الدال عليه وأن يستحضر فى قلبه عظمة المذكور سبحانه وتعالى وفى الواقع أن الله تعالى هو الموفق لمن شاء قربه وخاذل لمن أراد بعده .

فرز السعيد عندى فى الأزل　　　كذا الشقى ثم لم ينتقـــل

ثم أعلم أنه ربما يتوهم ضال أنه كيف يكون أن أسماء الله تعالى لا تتناها وكيف يجزم من قال إنها ألف اسم وكيف تكون تسعة وتسعين اسما وكيف يكون له تعالى اسما واحدا لو سئل به لأعطى ولو دعى به لأجاب؟.

نقول هذا لا يخفى على من له أدنى اطلاع على الأوضاع الإلهية فى خلقه له تعالى فى ذلك ما أفاد به جميع الأنبياء المرسلين وذلك أنه سبحانه وتعالى أنزل على جميع الأنبياء مائة وعشرين ألف كتاب وكلها جمعها القادر الحكيم فى كتاب واحد وهو القرآن المجيد وما سمى قرآنا إلا لجمعه لهذه الكتب وما اشتمل عليه القرآن جميعه فى الفاتحة وجميع ما فى الفاتحة فى البسملة وما فى البسملة فى الباء منها وما فى الباء فى نقطتها وقد قدمناه مفصلا فى الجزء السابق عند قراءة الفاتحة للأموات ولقضاء الحاجات . فإذا عرفت ذلك فاعلم أن الله تعالى قدير على أن يجمع كل ما فى الوجود فى مكون واحد كما أبدع مصدر العبودية فى حقيقة واحدة فكان بها ما كان وما يكون . وقد قال الأفاضل :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

واعلم أن أسماء الله الحسنى توقيفية وقفنا الشارع الشريف عليها لا اصطلاحية ومما يدل على ذلك ويؤكده أنه يجوز أن يقال يا جواد . ولا يجوز أن يقال يا سخى . ويجوز أن يقال يا عالم . ولا يجوز أن يقال يا عاقل أو يا عارف . ويجوز أن يقال يا حكيم . ولا يجوز أن يقال يا طبيب . واعلم أن للذكر شرائط منها أن يعرف الذاكر معانى الأسماء التى يذكر بها وقد قدمنا استحضار القلب عظمة الرب سبحانه وتعالى .

الفصل الخامس

فى بدء أصل الطرق الصوفية

اعلم يا أخا العقل أن الله تعالى لما أمر عباده أن يدعوه أى يذكروه بأسمائه تعالى الحسنى طلب الكثير من الصحابة من حضرة من أسند الله تعالى إلى حضرته البيان والتبيين أن يتعلموا كيف يكون الذكر بأسماء الله تعالى والأعداد التى يذكرونها فأبان لهم صلى الله تعالى عليه وسلم أن أفضل الذكر إما أن يكون باسم الذات وهو الله تعالى أو باسم النفى والإثبات وهو لا إله إلا الله وإما أن يكون سرا أو جهرا . أو يكون جامعاً لكلتا الحالتين كما قال تعالى : (واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول) الآية فبين صلى الله تعالى عليه وسلم الذكر السرى فى قوله الشريف

عن سعد بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير الذكر الخفى وخير الرزق مايكفى» وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضل الصلاة التى يستاك لها على الصلاة التى لا يستاك لها سبعين ضعفا. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفضل الذكر الخفى الذى لايسمعه سبعون ضعفا. فيقول إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق لحسابهم وجاءت الحفظة بما حفظوا وكتبوا قال الله لهم انظروا هل بقى له من شىء؟ فيقولون: ربنا ما تركنا شيئا مما علمناه وحفظناه إلا وقد أحصيناه وكتبناه، فيقول الله تبارك وتعالى له: إن لك عندى خبيثا لا تعلمه وأنا أجزيك به وهو الذكر الخفى» فاختار الصديق الأكبر رضى الله تعالى عنه أن يعلمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذكر الخفى والذكر الجهرى فلقنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (اسم) الذات بالسر وهو (الله) واسم النفى والإثبات بالجهر وهو (لا إله إلا الله) فدأب عليهما رضى الله تعالى عنه ليكون جامعا بين السر والجهر والظاهر والباطن والحقيقة والشريعة والقول والفعل فكان من إخلاصه رضى الله تعالى عنه وشدة مراقبته احترق كبده وقد شهر عنه أنه كان يشم من نفسه رائحة الكبد المشوى وشهر من وصفه الذاتى مارواه فى مجمع الزوائد عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: «كان غزير الدمعة وقيد الجوانح» أى محزون القلب «كأن الحزن قد كسره وضعفه» يرى عليه الانكسار وشدة الخوف من الله «شجى النشيد» يعنى أن من يسمعه وهو يقرأ يحزن لسماع قراءته لشدة إخلاصه إذا ما سمعته كأنك تسمع الله يقول: كيف لا وهـو القائل إن الله لايعجل بعجلة العباد حتى تبلغ الأمور عنده ما أراد وقد قال رضى الله تعالى عنه (لا آمن مكر الله ولو إحدى قدمى داخل الجنة) وقد قال عند سماعه من حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم «الصلاة فى أول الوقت فى رضوان الله وفى وسط الوقت فى رحمة الله وفى آخر الوقت فى عفو الله» فقد قال صديق رضى الله تعالى عنه لأن أكون فى رضوان الله تعالى خير لى من أن أكون تحت عفو الله. وهكذا كل من سلك على مبدئه، ونسج على منواله وشرب من مشربه يفيض الله تعالى عليه كما قال تعالى: (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) الآيات ومن حازا هذا الفضل والفخار السيد محمد بهاء الدين الذى عرف عنه أنه نقش الاسم على قلبه فشهر بنقشبندى بالفارسية وشهرت من الصديقية إلى النقشبندية وفرعت وكثرت

فيها الأفاضل ، واشتهر فيها أهل الحزم والعزم ، وإن أردت أن تعرفهم فاضلا عن فاضل ، فاتبع إسناديهم تجدها كسلسلة المحدثين والقراء للكتاب العزيز والسنة المطهرة .

واعلم أن من مقتضيات حكم العليم الخبير سبحانه وتعالى أن جعل مقام أهل الإحسان أعلى المقامات فى الدين الإسلامى كما قدمنا وهم الربانيون أهل الله تعالى وخاصته من خلقه . ولذا جعل نشر مبادئهم على زوجين ولا ثالث لهما بين جميع المسلمين على الاطلاق وهم الصديقية الذين أصلهم سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وعلوية وهم الذين أصلهم سيدنا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم الله تعالى وجهه . هذا وإن كان صلى الله تعالى عليه وسلم أعطى العهد لكثير من الصحابة كسيدنا أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورضى الله تعالى عنه كما ينتهى إليه أحد سندى سيدى أبى الحسن الشاذلى والآخر عن سيدنا على رضى الله تعالى عنهم وممن أخذ العهد على رسول الله سيدنا سلمان الفارسى وسيدنا أبو هريرة وسيدنا ابن مسعود وسيدنا حذيفة بن اليمان وغيرهم لو استقصيناه لضاق بنا المقام .

ولكن لم يشتهر قديما وحديثا إلا ما كان لسيدنا الصديق وهم النقشبندية وما كان لسيدنا على رضى الله تعالى عنه وهم الخلوتية وإن كان عن سيدنا على كثرت الفروع بالنسبة لأولاده . وكذا أخذ عن سيدتى زينب بنت سيدنا على رضى الله تعالى عنه . السيدة شعوانة البصرية ، والسيدة ريحانة الحبشية ، والسيدة نفيسة المرضية ، وميمونة البدوية ، وعابدة الكردية ومرجعهن إلى سيدنا على رضى الله تعالى عنهم وهذا هو سبب العهد الذى لا يكون إلا عن الأشياخ العارفين . ثم قد تعددت الطرق باشتهار الأفاضل البارزين فى كل عصر كالقادرية والرفاعية والأحمدية والدسوقية والشاذلية والبيومية والإدريسية والتيجانية ومرجع الجميع إلى سيدنا على رضى الله تعالى عنه وهى المشتهرة الآن بالخلوتية وذلك بعد أن يخدم المريد جميع الأسماء ويذكرها ويعرفه علاماتها وإشاراتها يدخله الشيخ الخلوة والأسماء التى تذكر هى سبعة حسب مراتب النفس وهى معروفة عند مشايخ الطرق وقد دونه الأفاضل فى كتب معروفة فراجعها إن شئت قال تعالى . (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) .

وحيث إنك قد عرفت أن سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقن سيدنا الصديق رضى الله تعالى عنه اسم الذات ويذكره بالنفس سرا وبعدها يأخذ القلب

يتحرك بحركة النفس وبعدها يكون الذكر بالقلب تحرك النفس أولم يتحرك كما هو معروف وهذا هو أصل الطريقة الصديقية النقشبندية وأما أصل الطريقة الخلوتية العلوية وسندها ومصدرها فقد جاء فى مجمع الزوائد ما رواه الإمام أحمد والطبرانى وغيرهما وقد روى أيضا يوسف السكورانى أن عليا رضى الله تعالى عنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : دلنى على أقرب الطرق إلى الله وأسهلها على عباده ، أفضلها عند الله تعالى فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله . ولو أن السموات السبع والأرضين السبع فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة لرجحت لا إله إلا الله » ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم « ياعلى لاتقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله » فقال على رضى الله تعالى عنه كيف أذكر يارسول الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم (غمض عينيك واسمع منى ثلاث مرات ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع فقال : لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته وعلى يسمع ثم قال على لا إله إلا الله كذلك والنبى صلى الله عليه وسلم يسمع » اهـ

ثم إن النبى صلى الله عليه وسلم علم الأمة أجمع الاستغفار مائة مرة فى اليوم والليلة بيانا لقوله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ولازال فينا صلى الله عليه وسلم وفى قوله الشريف الذى يرويه البخارى وغيره « يامعشر الناس توبوا إلى الله فإنى أتوب إليه فى اليوم والليلة مائة مرة » فكان هذا ضروريا عند تلقين العهد ليكون هذا كالطهارة للدخول على الذكر ثم الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليكون أدعى للقبول لما ورد فى ذلك من قوله الشريف « ثم صلوا على » ومن قوله « من صلى على عشرا » الحديث ومن قوله « قولوا اللهم صل على محمد » الحديث الذى كان هو بيانا لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) الآية ثم الجد والاجتهاد فى القيام بالأعمال الشرعية وخاصة الصلوات فى أوقاتها والبعد عن محارم الله عز وجل بالقدر الممكن للبشر ومصاحبة الصالحين وتجنب أهل الفساد وحب الخير والعلماء العاملين وهكذا من الوصايا التى يوصيها الشيخ العارف لمريده وأن يرشده إلى تلاوة القرآن إن كان يعرف القراءة أو سماعه وسماع العلم وأن يجد ويجتهد فى الدنيا لنيل الخير فى الآخرة وأن

يطلع على كتب الصالحين التى تدله على الله تعالى وأن يتخلق بالأخلاق الفاضلة وأن يتجنب الرذيلة كل ذلك عند تلقين العهد .

الفصل السادس

فى بيان أدلة حلقة الذكر والنشيد والتمايل فى الذكر ، وذكر الاسم الشريف بالقصر والطبل والبندار والطاس والصفير والزمار والأوراد والعمائم ذات الألوان والتخشن فى المأكل والشرب والملبس وتجنب ما فيه رفاهية أو التشبه بالمترفهين أو النظر إلى أهل الدنيا المستغرقين فى شهواتهم هكذا يكون حال الصوفى الحق المقل فى الدنيا خشية السؤال المعرض عن أسبابها بقلبه وإن سيقت إليه بحذافيرها لاعلاقة له بها .

أما حلقة الذكر فقد جاءت فى كتاب الله تعالى والسنة المطهرة أما الكتاب العزيز ففى قوله تعالى (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) بطريق الجمع فى كل الآى كما يؤخذ من بيان حضرة من أسند الله تعالى إلى حضرته البيان والتبيين من قوله الشريف « ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله عز وجل يذكرون الله إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » وفى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « إن لله ملائكة يلتمسون أهل الذكر فاذا حلقة تداعوا إليها هلموا إلى حاجتكم حتى يبلغوا العنان » الحديث تقدم بطوله قريبا فراجعه غير أن فى هذه الرواية عند البخارى أيضا (فاذا وجدوا حلقة تداعوا إليها) ومن قوله الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم حين دخل مسجده فوجد حلقتين حلقة علم وحلقة ذكر فجلس فى حلقة العلم وقال « إنما بعثت معلما » وقدمنا قريبا الحديث القدسى من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم عن رب العزة أنه قال (من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من مله) والمراد بالملأ الجماعة وهى لاتكون إلا حلقة أو مستطيلة وهى على هيئة الحلقة أيضا وغير ذلك كثير وفى هذا القدر كفاية خشية الإطالة فحلقة الذكر ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع فمن ينكر ذلك فهو بعيد عن هذا أى الكتاب والسنة والإجماع إذا لايعول على قوله فمن الآن المحيى لسنة سيد العالمين بحلقات الذكر هل التجار أو الصناع أو العلماء وهم أشغل من هذا وذاك وقد قلت مرارا من يعترض على الصوفية فهو جاهل الجهل المركب وكان الأليق

به أن يعترض على أمراء الآن وقضاة الآن وعلماء الآن والناس أجمعين الآن نسأل الله تعالى التوفيق .

وأما النشيد على الذكر فهو من باب تشجيع الذاكر على الذكر ليجمع همته ويطرب قلبه ويتعلق بالمذكور فتتحرك الروح فى الجسد فيه ليحصل له الوجل إلى الله تعالى والخشية منه تبارك وتعالى قال عز من قائل (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون) وقوله تعالى (ياأيها النبى حرض المؤمنين على القتال) وفى قوله تعالى (وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا) وكل ذلك فى معنى التحريض والتشجيع والحث على فعل ما أمر الله تعالى عباده به وإليك ما رواه البخارى وغيره فى السنة المطهرة أن الأحابيش كانوا يلعبون بالحراب فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة «تشتهين؟ قالت نعم . فقامت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت تنظر من على كتفه الشريف وهو يقول «دونكم يا بنى أرفدة» فصار يشجعهم حتى قال لها حسبك قالت نعم » ومنه قوله صلى الله عليه لبنى اسماعيل «ارموا فإن أباكم كان راميا» تشجيعا لهم ومنه قوله فى حفر الخندق :

اللهم إن العيش عيش الآخره   فاغفر للأنصار والمهاجره

فكانوا يجيبونه :

نحن الذين بايعوا محمدا   على الإسلام ما بقينا أبدا

ومنه كان النبى صلى الله عليه وسلم يحث أصحابه يوم الأحزاب ويقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا   ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا   وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا   وإن أرادوا فتنة أبينا

وفى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لأنجشة سائق الإبل التى تحمل النساء وهو يحدوا عليها وهى تتحرك وتشتد فى سيرها لتحمسها بالنشيد فقال صلى الله عليه وسلم « رويدك أنجشة بالقوارير » وهكذا كان النشيد متبعا فى الجاهلية والإسلام حتى كان أكثره فى الحروب وفى الأفراح وفى الأعياد فهو سنة قديمة وعادة مستقيمة لئلا تفتر الهمم وتضعف عما هى بصدده .

وأما تمايل الذاكر فى الذكر فهو حالة طبيعية وه فطرية فطر الله الناس عليها

وذلك إذا ما رأى شعيرة من شعائر الله تعالى أو آية من آيات عظيم قدرته أو بديع صنعته فإن الروح التى جعلها تعالى فى عباده المؤمنين تحن وتهيج إلى تلك العظمة الربانية فلا يسعها إلا الاضطراب والاحتزاز الخارج عن حالته العادية هذا فمن يشاهد آثار صفات الحق سبحانه وتعالى فكيف بمن ذكره سبحانه وردد اسمه تعالى على لسانه وقلبه كما وصفه تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) روى سفيان عن السدى فى قوله عز وجل : (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) قال : إذا أراد أن يظلم مظلمة قيل له : اتق الله كف ووجل قلبه أى خاف والوجل: هو الخوف . ووصف الله المؤمنين فى هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكر الله تعالى لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم وكأنهم بين يديه ونظيره هذه الآية : (وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) وقال تعالى : (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) فهذا يرجع إلى كمال المعرفة وثقة القلب . والوجل الفزع من عذاب الله فلا تناقض وقد جمع الله تعالى بين المعنيين فى قوله (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) أى تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلى الله وإن كانوا يخافون الله . فهذه حالة العارفين بالله الخائفين من سطوته وعقوبته فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقتهم، وروى الترمذى عن العرباض بن سارية قال : «وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب » الحديث وسأل رجل الحسن: أى البصرى فقال : يا أبا سعيد ، أمؤمن أنت ؟ فقال له : الإيمان إيمانان ، فإن كنت تسألنى عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحشر والحساب فأنا مؤمن به وإن كنت تسألنى قوله تبارك وتعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - إلى قوله - أولئك هم المؤمنون حقاً) فو الله ما أدرى أنا منهم أم لا . وقال أبو بكر الواسطى: من قال: أنا مؤمن بالله حقاً ، قيل له: الحقيقة تشير إلى إشراف واطلاع وإحاطة فمن فقده فقد دعواه فيها. وقد جاء فى مجمع الزوائد

عن عبد الله بن عقبة : « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمايلون فى الذكر كما تمايل الريح الأشجار » .

فقد عرفت مما قدمنا أن الخوف والفزع يحصل للقلب عند وجود ما يحصل للشخص ما يكون سبباً لذلك وأيضاً عند حصول ما لم يألفه من قبل كما يحصل لكل إنسان عند ذلك وإذا حصل للقلب الخوف والفزع يحصل الاضطراب لجميع الجسم فيرتعد لذلك وتضطرب أعصابه وهذا فى كل بشر كما حصل لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم فى بدء الوحى من قوله الشريف للسيدة خديجة رضى الله تعالى عنها « دثرونى دثرونى » وأيضاً عند فترة الوحى من قوله : اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين « زملونى زملونى رأيت الذى جاءنى بحراء سادا الأفق » فالوجل إذا حصل للقلب يحصل الاضطراب لجميع الأعصاب ؛ لأن القلب للجسم كود الرحى فبأقل حركة منه تحرك جميع الجسد ، فإذا عرفت ذلك فاعرف أنه لا يحركه إلا أحد شيئين وهو الفزع أو السرور وحركة الفزع والخوف له حالة خاصة وحركة السرور لها أحوال عند صاحب القلب وهى أشد من الأولى لما فى ذلك من فيض الفياض الكريم فيكون هذا عند صاحبه خير من الدنيا وما فيها ، ولقد شاهدنا العبد الصالح يقول والله لو ختم لى على الإيمان لرقص قبل موته بأيام ، إن أيامه قربت للآخرة وجاء بعد أيام وهو جالس مع الناس قام وأخذ عصاه ووقف فى الشارع يرقص ويقول : ختم لى بالإيمان ووصل منزله ومات رحمة الله تعالى عليه وعلى جميع المسلمين

ومن الوجل الذى يحصل للقلب الغامرة الشديدة والإغلاق الفادح الذى لا يعرف صاحبه ما خرج منه من الكلام وهو الغضب الشديد حتى أن الشارع الشريف لم يؤاخذه بما يصدر عنه . روى أبو داود فى سننه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا طلاق فى إغلاق » قال الخطابى شارحه عقب الرواية كأنها من المتن أى فى غضب يعنى أن من دواعى اهتزاز الجسد شدة الغضب بل أحياناً يكون صاحبه فى منتهى الرعشة فإذا كانت هذه دواعى الاهتزاز للجسم أفلا يكون الفرح من أكبر دواعى الاضطراب والرقص وخاصة إذا كان فجأة كما قال العارف :

هجم السرور على حتى أنه   من فرط ما قد سرنى أبكانى

فالفرح تحصل منه انفعالات فى القلب تحصل منها الاضطرابات الجسمانية فيحصل الرقص وما هو أكثر من الرقص فما بالك بالذاكر لله تعالى المتعلق قلبه به سبحانه

فإنه يكون أعلى وأرقى فى الفرح والسرور ويكون صاحبها أكثر اضطرابا وتمايلا لأن الذكر له لذة عجيبة وطرب غريب فإذا ما سمع المنشد وكان جالسا هام وقام ونزل الذكر مهتزا متمايلا من غير قصد ألا ترى أن الخيل إذا سمعت الطبل ترقص فى مربطها والإبل بالغناء كما قدمنا فى حديث أنجشة وفى الواقع أن المسألة مسألة شعور وإحساس كما قال :

لا يعرف الشوق إلا من يكابده والصبابة إلا من يعانيها

فإذا كان الحيوان الأعجم يهتز للطرب أفلا يهتز الإنسان للذكر لا تعرف هذا إلا من ذاق وعرف كما قال سيدى أبى يزيد البسطامى :

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه غدى بالروح يشريه

وقال سيدى أبو مدين الغوث شيخ سيدى محي الدين ابن العربى :

إذا اهتزت الأرواح شوقا إلى اللقا ترقصت الأشباح ياجاهل المعنى

وأما ذكر الاسم الشريف المفرد (الله) بالقصر يعنى من غير مد وكذا جميع أسماء الله تعالى الحسنى فهو جائز وقد ألف فيه العلامة السكندرى رسالته المشهورة بالقول المسموع فى بيان أن ذكر الاسم المفرد بالقصر من الذكر المشروع . وقد قال العلامة قوله المشهور :

الله قل وذر الوجود وما حوى إن كنت مرتادا بلوغ كمال

فالكل دون الله إن حققته عدم على التفصيل والإجمال

وإذا جاز القصر فى الاسم المفرد الذى هو جامع لجميع أسماء الله تعالى الحسنى أفلا يكون فى غيره من باب أولى .

ومعنى كونه جامعا أنك إذا قلت الملك فلا يسعك إلا أن تقول (الله) وإذا قلت الصبور فلا يسعك إلا أن تقول (الله) وهكذا فى جميع الأسماء الحسنى وكذا أيضا جميع أسمائه تعالى التى غير الأسماء الحسنى التوقيفية فمرجعها أيضا إليه سبحانه وتعالى كالحنان فلا يسعك إلا أن تقول (الله) والمنان كذلك وقد جمع المرحوم الشيخ عبد الرحمن عليش من القرآن الكريم مائة وسبعين اسما لله تعالى من غير الأسماء الحسنى فى رسالة وهى مطبوعة الآن . وقال بعض الأفاضل معنى كون جامعا لجميع الأسماء أن الحرف الواحد منه يدل عليه تعالى كالألف من الاسم الشريف تنطق به (آ) وهى لغة كل طفل

عند إرادة النطق ولغة المريض وهى الأنين فى المرض فيكون التجاؤه إليه تعالى من غير إدراك ومعناها (أ إله مع الله) أو (آلله أذن لكم أم على الله تفترون) وكذا آخر حرف من الاسم الشريف كالهاء (ا) هو الله الذى لا إله إلا هو وكذا إذا ضممت حرفين من الاسم الشريف كالألف والهاء (آه) وهو ذكر المستغرق وهو فضلا عما قدمنا من لفظ الجنين والمريض كما قال:

آه وآه ثم آها آها * قد أبدع الأجناس ثم براها

وكذا لو ضممت اللام إلى الهاء لصار (له) ما فى السموات وما فى الأرض . وأما ذكره بالقصرية بسكون الهاء (الله) فهو من أجل الذكر كما عرف عن الأماثل الأوائل ولم تعرف عنه فى النطق إلا الألف المدغمة فى الهاء وهى حالة المستغرق . وهو (آه) لغة فى (الله) كما فى قول أبى طالب: لهم إن المرء لغة فى اللهم. وأما الضالون الذين يجهلون هذا ويذيع مذيعهم فى الإذاعة ويقول هؤلاء لا يعى الذاكرين يغيرون فى أسماء الله تعالى يقول (وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) وهو يجهل معنى الآية. إذ معناها لاتبالوا بإنكارهم ما سمى به نفسه كقولهم مانعرف إلا رحمن اليمامة أو ذروهم والحادهم فيها بإطلاقها على الأصنام واشتقاق فى أسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان . هذا ما عليه إجماع المفسرين يا أيها الغر الأخرق أهؤلاء يلحدون فى أسماء الله تعالى . يا أيها الأحمق وأما الله تعالى فهو علم على الذات الأقدس الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد وأصله الإله وهو يطلق على كل إله ثم غلب على المعبود بالحق الواجب الوجود واشتقاقه من أله آلهة ألوهة وألوهية بمعنى عبد : ومنه تأله واستأله . وقيل: من أله إذا تحير لأن العقول تتحير فى معرفته . وقيل أصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها إذا احتجب وارتفع لأنه سبحانه وتعالى محجوب عن إدراك الأبصار ومرتفع على كل شىء سبحانه .

وأما الطبل والبندار والطاسى والصفير والمزمار فهو من قبيل الدعاية . والدعاية أمر الله تعالى بها فى كتابه العزيز والسنة المطهرة . أما الكتاب العزيز فقوله تعالى : (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله) وفى قوله تعالى (وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا) وفى قوله تعالى (يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال) يعنى كل كلام فيه تحريض وتشجيع وبيان لماسيكون فهو دعاية والدعاية إلى الذكر ذكر والدعاية إلى الخير خير فمن أراد أن يدعو إلى ذكر الله تعالى فليفعل بكافة طرق الدعاية من القول والإعلان عن ذلك بكافة طرقه.

وهو من عمل الخير . هل رأيت مطبلا أو مزمرا يذكر كالإبل هم كل مشتغل بما فى يده ملتفت لإتقانه مع النغم والحركة فهو دعاية للذكر وهو حسن مشجع محرض مهيج وليسوا هم فى ذكر اللهم إلا أن يقال (هم القوم لا يشقى جليسهم) وأما بيان السنة فى نشر الدعاية وتعليم العباد لها فهو كثير وكان يكفينا أمر الله تعالى لحضرته صلى الله عليه وسلم فى الكتاب العزيز وبيانه فيه فمنها إرسال حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم الكتب للملوك وإرسال أصحابه إلى الجهات لنشر الدعوة الإسلامية ومنها ترغيب المجاهدين فى الجهاد وبيان حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم ما وعد الله تعالى به المجاهدين فى سبيله من النعيم المقيم فى الدنيا والآخرة التى أخذت منها جميع الدول فى العالم وزارة خاصة تسمى وزارة الدعاية والدعاية فى كل شىء بحسبه ولا ينكرها إلا كل جاهل بالكتاب والسنة والإجماع وهى بمعنى الترغيب والتشجيع والتهييج والحث على فعل الخير والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

وأما التصفيق الذى يحصل من قائد الذاكرين بالضرب على كفيه على مقتضى نغمة الذاكرين بالذكر فهو جائز لأنه من قبيل النشيد الذى هو منشؤه إشحاذ أذهان الذاكرين وحملهم على جمع الهمة وجدهم واجتهادهم ليكون باعثالهم على استحضار قوتهم وتعلق قلب الذاكر باسم المذكور سبحانه وتعالى فهو أكبر محرك لمشاعرهم وموقظ لنفوسهم ومنبه لأرواحهم لتعلقها بخالقها ليكون التوجه منهم ظاهراً وباطنا حتى ينالوا الرحمة التى وعدهم سبحانه . ولا يخرجون من الذكر إلا بحظ وافر كما وعدهم سبحانه فى قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيرا) ولا يلذ لهم ذلك ولا تسهل عليهم تلك الكثرة إلا بذلك المشجع . وأما قول أعدائهم المستشهدين بقول الله تعالى (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) فهو مردود لأن الله تعالى عاب على الكافرين صلاتهم بالتغيير لها .

وأما الأوراد فهم لها حقا خير حافظين ومحافظين وقائمين على العمل بما فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة المقتفون آثار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الأقوال والأفعال والخلق الحسن ومكارم الأخلاق وعظائم الشيم ذاتا وصفة . فمن الآن الذى يعمل بقوله تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وبقوله تعالى (ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى) وبقوله تعالى (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود)

وبقوله تعالى (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون) وإن كان في هذه الآية جمع الله تعالى فيها جميع الأوقات الخمس فهم خير قائمين على المحافظة عليها في أوقاتها فإن لم يكونوا هم أسمى الناس في العمل بمدلول هذه الآيات فمن غيرهم .

وقد تتبع الصوفية آثار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الأوراد أبوا عليها، حتى ظهرت عليهم إشراق أسرار الأسماء ونور آثار الصفات حتى ظهر ولاح على وجوههم وعرف عنهم بأنهم هم الصوفية حقا من غير أن يعرف عنهم معرف بأنهم هم الصوفية حقا الربانيون صدقا لأنهم هم المستغفرون بالأسحار العاملون بقول الصادق المصدوق صلى الله تعالى عليه وسلم « يا معشر الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم والليلة مائة مرة » وهم الذين يعملون بقوله الشريف « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة كتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة ولم يجيء أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل قال أكثر من ذلك » وأخذوا من بيان الكتاب العزيز والسنة المطهرة وما جاء فيهما من التنويع وظهرت لهم الآثار فبان لهم أنواع في الأوراد فألفوا أورادا وأنشأوا أحزابا وأقتوا لها أوقاتا ودأبوا عليها حتى ظهرت لها آثار وكانت من أجل الأذكار وذلك استنباط مما جاء في الكتاب والسنة فجعلوا أوقاتا للأوراد قبل الفجر وبعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس والضحى كذلك وبعد الظهر وبعد العصر وبعد المغرب وبعد العشاء وفي كل من ذلك ورد مخصوص حسب إرشاد الشيخ للمريد وأنه لا يشغله عن عمله الدنيوي يعني معاشه حتى يجمع بين الدين والدنيا والآخرة ودأبوا على ذلك حتى وصلوا إلى المقصود ولم يمنعهم أي عائق من عوائق الدنيا من أجل المعاش وغيره بل كلما جدوا واجتهدوا في الطريق سخر الله تعالى لهم الدنيا وزادهم من نعمه حتى يغنيهم عن خلقه وهنا تختلف الأمور بحسب الأوضاع الإلهية كما شاءها لعباده المخلصين ونوع أحوال المقربين فمنهم من يجعل الأمم من الناس يخدمونه وفي الواقع يخدمون أنفسهم ومنهم من كان حاله في منتهى التوكل فجعل من حوله خادما له ومنهم من هو يخدم من حوله وغيرهم فأمر ربك سبحانه وتعالى في عباده الصالحين عجيب وتصرفه معهم يحير وغريب فسبحان من وضع الأشياء موضعها وفرق العز والإذلال تفريقا .

وأما هيئتهم ومسحتهم وصفتهم في الملبس فهم يقتفون آثار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الهيئة التي كان عليها بين الناس كافة وفي الأعياد ومقابلة الملوك فلم يترك

صلى الله تعالى عليه وسلم مما يلبسه الناس من خشن الملبوس إلا ولبسه وكان يجارى الفقراء فى كل شىء حتى أنه كان لايلبس النعال إلا قليلا وكان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه يحمل نعليه ويمشى خلفه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى قال الشيخ النبهانى:

فاز ابن مسعود بحمله لنعاله * وأنا السعيد بخدمتى لمثالها

وعاش الإمام مالك طول حياته بالمدينة لم ينتعل فيها قط ولما قيل له فى هذا قال كيف أطأ أرضا وطئتها أقدام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالنعال وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يلبس الخشن من البرود اليمانية التى أصلها من شعر وصوف ولبس صلى الله تعالى عليه وسلم فى العمائم جميع الألوان وكان أيضا صلى الله تعالى عليه وسلم يحب أكل الخشن من الطعام ففى فتح مكة بعد أن انتهى صلى الله تعالى عليه وسلم جاء إلى السيدة أم هانئ وقال هل عندك من طعام قالت عيش يابس وخل وقدمته لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم وقال « ماعال بيت فيه أدم من خل » وبعد أن أكل صلى الله تعالى عليه وسلم قال « نعم الأدم الخل » ولما قبل صلى الله تعالى عليه وسلم هدية المقوقس ملك الاسكندرية التى منها السيدة مارية القبطية فصنعت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أقراص خبز مدهون وجهها يلمع فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ماهذا؟ قالت طعام الملوك عندنا يارسول الله فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ردى عليه ما أخرجته واصنعيه كخبزنا أراد أن لا يجعل لنفسه ميزة عن فقراء الناس ورد صلى الله تعالى عليه وسلم الطبيب إلى الاسكندرية وقال للمقوقس نعم إنه بنى زين جمع الحكمة فى كلمتين وذلك أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال للطبيب ماصنعتك قال الطبيب قال (نحن قوم لانأكل إلا إذا جعنا وإذا أكلنا لانشبع) وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه » وكان للرشيد طبيب حاذق نصرانى فقال لسيدنا الحسين بن سيدنا على زين العابدين عن سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنهم كتابكم ليس فيه علم الطب والعلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان فقال له رضى الله تعالى عنه إن كتابنا جمع الطب فى نصف آية فقال وما هى؟ قال الله تعالى (كلوا واشربوا ولاتسرفوا) وقال هل قال نبيكم فى هذا شيئا؟ قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « نحن قوم لانأكل إلا إذا جعنا وإذ أكلنا لانشبع » فقال الطبيب ماترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا . ثم إنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ينام على الحصير وكان يؤثر فى جنبه وكان ينام على لطع من ليف ووسادة من أدم حشوها ليف روى الترمذى عن السيدة حفصة تقول نام عندنا رسول الله صلى الله تعالى وسلم فمهدت له

خميلة من صوف فلما أصبح قال « لاتعمليه ثانية ألهتنى عن ربى » فالصوفى هو المقتفى آثار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مشغول بالله تعالى . وأما أحوال الدنيا عنده وفى نظره لاقيمة لها ويكتفى فى كل شىء بأقل شىء ويؤدى له الغرض المطلوب وزيادة فيا أخى الضروريات فى هذه الحياة الدنيا سهلة وميسورة وإنما التعب كل التعب فى التكلف فى الكماليات والكماليات لانهاية لها فكان الإنسان يتعب نفسه طول حياته فالصوفى آمن فى سربه مطمئن فى نفسه قرير العين راض عن ربه وربه راض عنه فهنيئا له ثم هنيئا وهو مؤمن بقوله تعالى (أليس الله بكاف عبده) قال شقيق البلخى المعروف الكرخى كيف حال أوليائكم يا كرخى؟ قال إن وجدنا أ كلنا وإن لم نجد صبرنا قال هذا حال كلاب بنى بلخ فقال معروف الكرخى لشقيق البلخى وكيف حال أوليائكم يابلخى ؟ قال إن وجدنا آثرنا وإن لم نجد شكرنا فهكذا حال الصوفى كما كان صلى الله تعالى عليه وسلم ومن كان معه من هؤلاء مصدر الصوفية وكما قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه حين سئل ؟ لم تتخذ لك منزلا فى الدنيا لم قال وهل أنا مجنون ؟ قيل له وكيف ذلك؟ قال أرأيت لو نزل رجل ببلد لقضاء حاجة ويرتحل عنها هل يبنى له بيتا للإقامة ؟ قال لاقال ونحن مرتحلون من هذه الحالة فكيف نوطد وندعم فيها ونحن مفارقوها وهكذا كان أشباهه الكثير من خيرة الصحابة كسيدنا حذيفة وابن مسعود وغيرهم من أجلاء الصحابة . قال فى مجمع الزوائد عن علقمة بن علقمة قال دخلت على على رضى الله تعالى عنه فإذا بين يديه طعام خشن فقلت ياأمير المؤمنين أتأكل مثل هذا فقال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يأكل أيبس من هذا ويلبس أخشن من هذا فإن لم آخذ نفسى بما أخذ به نفسه خفت أن لا ألحقه فحال الصوفى كحال المستعد للسفر فليس له اطمئنان فى الدنيا إلا برضوان الله تعالى عنه فيها .

وأما الذكر لأسماء الله تعالى الحسنى باعداد المعروفة فقد أبان الله تعالى لعباده أن من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وبين صلى الله تعالى عليه وسلم بل إلى سبعين بل إلى سبعمائة ضعف بل إلى أضعاف مضاعفة إلى ما لا يعلمه إلا الله تعالى . وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم بعد قوله الشريف مائة مرة إلا رجل قال أكثر من ذلك فزيادة العدد فى الذكر أحسن وأفضل بكثير من القليل بل ربما لا يحصل للذاكر لذة فى الذكر إلا بالكثرة وغير خاف أن كل اسم له خاصية ومزية تغاير الأخرى كالعقاقير إذ كل عقار له خاصية ومزية تغاير الأخرى وهذا من الأسرار الإلهية فى مكوناته وكذا القرآن المجيد أيضاً . وهذه الخواص والمزايا فى الذكر تظهر وتلوح على

وجه الذاكر فتكسوه نورا وجمالا حتى تعلوه الخشية والهيبة والوقار كما شاهدنا ذلك.
وأما كونه على المسبحة فهى ضرورية من ضروريات حصر الأعداد خاصة فيما زاد عن المئتين لما قدمناه من بيانه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك وإن بعض الناس قال قولته المعروفة يعد الحسنات على الله ولا يعد سيئاته فهذا كلام فارغ فى هذه المسألة لأنه فى نظرى عالم جليل لأن أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانوا يعدون على الحصى والنوى وهو أمر معروف فى السنة وقد خرج الدارقطنى عن السيدة أم سلمة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رأى بين يديها حصيات فقال ماهذا؟ فقالت أربعة آلاف حصية أسبح الله علهن فقال لها صلى الله تعالى عليه وسلم لقد سبحته مذ أن وقفت أكثر مما جمعق قالت وكيف ذلك يارسول الله؟ قال قلت سبحانه عدد ما خلق وما يخلق وهكذا كان بيانه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى ثبت أنه كان لأبى هريرة مسبحة خيط بها ألف عقدة يقول لاأنام حتى أذكر الله تعالى بعددهن وحيث فى صحيح السنة أنهم كانوا يذكرون الله تعالى على الحصى والنوى فهى عين المسبحة غير أنها مثقوبة وحوفظ عليها بجمعها بالفتلة وهى عين الحصى والنوى والمعترض يجهل كل ذلك ومن جهل شيئا عاداه والناس أعداء لما جهلوا.

وأما تكرار الاسم الواحد مائة مرة أو أكثر فيكرهه كل غبى جهول وياليته ينكر ويسكت بل يستدل على عمى قلبه بقوله هل أحد يقبل أن يقال له فى النداء يافلان يافلان عشر مرات أو أكثر إلا ويقال له إنه مجنون وهؤلاء يقولون الله الله الله أو حى حى حى وهكذا كل الأسماء السبعة التى يذكرون بها فكان الأولى بنا أن لا نرد على هؤلاء الجهلة ولكن لتريح العالم منهم ونكشف جهالتهم.

فنقول إن نداء الواحد مرة إذا سمع أو مرتين أو أكثر حتى يسمع فهذا هو منة الله تعالى فى خلقه وأما ذكره تعالى فالنداء بل هو لتعدد نعمه تعالى التى لا تحصى وفى كل واحد يذكر نعمة غير الأخرى فكأنه يقول الله المبدع الله المصور الله الحافظ الله المكون الله اللطيف الله المسهل لنزوله من بطن أمه الله الملهم للرضاع وهكذا يذكر بكل نعمة بقدر ما يمكن كما أمر تعالى (اذكروا نعمة الله عليكم) وكما قال تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وكما أبان لنا سبحانه فى كتابه العزيز فى سبع آيات فى كل آية الله الله فى مقابل نعمة تغاير الأخرى قال تعالى (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون. أمن خلق السموات والأرض وأنزل

لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون . أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون . أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح مبشرا بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون . أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون .

وهكذا لفت الله تعالى عباده النظر إلى آياته العظيمة التى هى أكبر الدلالات على وحدانيته سبحانه كما فى سورة الرحمن ثلاثين مرة بعد كل دلالة على عظيم قدرته وبديع صنعته (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وفى سورة المرسلات عشر آيات (ويل يومئذ للمكذبين) فهذه من أكبر الدلالات على تعدد ذكر الاسم الشريف وتعداد نعمه سبحانه على عباده وناهيك بأن تعدد ذكر الاسم الشريف حتى يتحصل به اللذة للذاكر ويشرف عليه فيض ونور للذكور كما وعد سبحانه وتعالى به عباده الذاكرين له جل شأنه وتعالت أسماؤه ألا ترى أن كل كتاب يقرأ لا تحصل به آية لذة للقارىء كالقرآن وأما هو فيزداد فيه تجملا وكذا السنة فتلاوتها تلتذ بها المسامع . إذ فى ذلك لذكر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

كيف يصل الصوفى إلى ما وعد الله تعالى به عباده ؟

لا يخفى على كل من أعطاه الله تعالى أدنى بصيرة أن سنة الله تعالى فى خلقه واحدة كما قال تعالى (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) إذ جعل تعالى مبدأ من يجعل من المجتبين من الأنبياء والمرسلين والأولياء واحد وهو الرؤيا المنامية أولا ثم يترقى بها أن تصير بعد النوم سنة ثم خيالا شبه اليقظة ثم مثالا أرقى من الخيال ثم صورة ثم كلاما فاستئناء ثم التحقق من تلك الصورة الشخصية حتى يكون أعرف به من غيره وهذا حال المرسلين فقط . وأما حال الأنبياء والأولياء فالمهم واحد إما أن يكون بطريق الوحى الذى عوده الله تعالى عليه كما قال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم) فجمع تعالى فى هذه الآية المراتب الثلاث وهى أشرف

مراتب الوحى الثانية المعروفة فالنبى فقط له وحى خاص عوده الله عليه والولى له وحى خاص عوده الله تعالى عليه وكل من هؤلاء وهؤلاء له عند ربه سبحانه وتعالى حالة كشف مقدس فلا يكشف إلا الحق على ما هو عليه وهذا لا يكون إلا من قبل الحق سبحانه وتعالى وما كان من قبل الله تعالى لا يكون إلا حقاً وموقعه صدقاً فهو لا يملك لنفسه فيه شيئاً قال تعالى (وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا باذن الله) فإذا كان الرسول المرسل من قبل ربه سبحانه وتعالى لا يستطيع أن يأتى بأية معجزة من نفسه فهل النبى فقط أو الولى يستطيع أن يأتى بأية معجزة من نفسه . ثم إن الصوفى الذى شاء الله تعالى أن يجعله من عباده المتقين الصالحين لا يزال دائباً على أولاده ضاما إليها ما استطاع من النوافل فى كل شىء بعد أداء الفرائض عاملا بالحديث الشريف المجمع على صحته عند أصحاب السنن والمسانيد عن النبى ﷺ عن رب العزة أنه قال (لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لأعيذنه) وزيد على هذه الرواية فى أخرى (ومن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا ومن أتانى يمشى أتيته هرولة) وزيد على هذه الرواية فى أخرى (وما ترددت فى شىء أنا فاعله كترددى فى قبض روح عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه) فالعبد الصالح وأراه إلا الصوفى يقتدى بكلام رب العالمين وبيان سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم ويدأب على هذا حتى تحقق فيه محبة الله تعالى له وهو كذلك فتنفعل له الكائنات إذا شاء الله تعالى ذلك ويجريها على لديه كما حصل من عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وقد سخر الله تعالى له الطبائع الأربع وقد قال أبو يزيد البسطامى بهم تصرفه فى الكائنات فما يشاء شاؤا أو ما شاؤه يقضيه .

فحقاً إذا دأب وأخلص العبد فالله تعالى يحقق له ما وعده قال تعالى (وعد الله لا يخلف الله وعده) (إن الله لا يخلف الميعاد) فأنت ترى أن الله تعالى له فى عباده الذين شاء لهم القرب أنواعا متنوعة على مقتضى إنعامه على عباده فمنهم من تراه ساكتاً لا يتكلم إلا بالحق ولا ينطق إلا بالصدق الواقع حسبما يفيض الله تعالى عليه فى الأمر المسؤول فيه أو عنه . ومنهم من ينطق بما فى ضمير كل من يقابله فى الواقع فيه ولا يكون إلا ذلك . ومنهم من يواجه الشخص بما فى منزله المشغول عليه فيطمئن

خاطره . ومنهم من يحدث جلساءه بما يحصل بعد ساعة أو ساعات بحدوث ما لم يكن منتظراً فى مجلسهم هذا ومنهم من يحدث عن الجنين الذى فى بطن أمه ومنهم من يحدث عن الجنين بعد نزوله من أمه بأنه يكون ويكون من البشارات العظام ويتحقق ذلك فيه بعد سنين ومنهم من يمشى على الماء ومنهم من يربط الماء فى المنديل مدة كالثلج ولا يبتل المنديل ومنهم من يقول للضفادع فى الماء وهو يسبح أسكت فيسكت ومنهم من يقول للوابوز بالقطار قف فيقف . ومنهم من قال للميت قم بإذن الله فقام فيقال له من قتلك فيقول فلان . وهذا كله من قبيل أن الله تعالى يجعل الكائنات تنفعل له ومنهم من يمشى المسافة التى لا تقطع إلا فى أربع ساعات فى ثلاث دقائق ومنهم من يقول للطاحون قفى فتقف ومنهم من يقول للحيوان المفترس قف فيقف ويأخذه من أذنه ويصرفه من حيث أتى ومنهم من يقول للمرأة العاقرة التى بلغت سن الخمسة والأربعين إحملى باذن الله فتحمل باذن الله تعالى ومنهم يشبع العدد الكثير من الناس بالقليل من الطعام واللحم ومنهم من أدخلوه أرضاً لم تنبت شيئاً فمشى فيها وأنبتت ولم تتأخر ومنهم من دخل بيتاً كان الجن عاكس الساكنين فيه من الأنس فهربوا ولم يحصل بعدها شىء إلا الخير . ومنهم من أحيا الجنين فى بطن أمه بفضل الله تعالى ومنهم من تجمهرت عليه الناس الكثيرون وهو آمن مطمئن بوعد الله تعالى بالنصر وقد كان . ومنهم من رمى بربطة قمح وهو على الجرن من آخر مركز لآخر مركز فنزلت ناراً ففرقت الناس التى لولاهم لمات الآلاف من الناس ومنهم من يحضر المعارك أى القتال فى سبيل الله تعالى ظاهراً ومنهم باطناً من الذين هم منهم ويعرف منه وعنه ذلك بآثار فيه وكذا الملائكة المخصصون بحضور الجهاد فى سبيل الله تعالى الذى يكون بين المسلمين والكافرين حتى اشتهر عنهم الكلام اللقنى لما اعترض أحد التلاميذ على شيخه بقوله : يا سادتى هو المزيل ينفات . قال له : بلا معيرة نحن على الندهات . إن قصر الجبن فينا تفزع الأموات . وقد شوهنا كثير من أهل التحقيق الذين يستحيل تواطئهم على الكذب ولهذه المناسبة نذكر مايعترض به على الصوفية من الكرامات والظاهر والباطن . أما الكرامات فلا تكاد تنحصر ومهما كتب الكاتبون فما لم يكتب أكثر ولا ينكرها إلا كل جاهل بالكتاب والسنة والإجماع . لأن كرامات الولى هى معجزة النبى والمعجزة هى المؤيدة للرسول المنزلة منزلة صدق عبدى فى كل ما يبلغ عنى والمنكر طبعاً لا يعرف ذلك وقد قدمنا الدليل على ذلك وهو قوله تعالى (وما كان لرسول أن يأتى بآية

إلا بإذن الله) فإذا كان الرسول المرسل من قبل الحق سبحانه ليؤكد لعباده ديناً لا يستطيع أن يأتي بالمعجزة للبشر من تلقاء نفسه أفهل يستطيع النبي فقط أو الولي أن يأتي بالكرامة وهي الأمر الخارق للعادة من تلقاء نفسه والمعجزة لا تكون إلا على يد من يدعي الرسالة والكرامة هي التي تكون على يد من يدعي النبوة فقط وهو العبد الذي اشتهر صلاحه حتى ظهر عليه ذلك ويدعي ذلك والكرامة أيضاً لا تكون إلا على يد الرجل المدعي الصلاح وظاهر عليه ذلك وعرف عنه ذلك . وأما ما عدى ذلك فهي إهانة أو استجراد أو إملاء ونحن بصدد الكرامة فلا نتعرض لغير ذلك .

ثم إن الصوفية هم خير عاملين بالدين ومعضدون لحكام المسلمين الذين يعملون بالكتاب والسنة ويعاونونهم في الحروب ضد أعداء الدين راجع تاريخ صلاح الدين الأيوبي وسليمان المكدوني الذين دوخوا أوربا بالصوفية . ومن باع المماليك في مصر ودفع ثمنهم لبيت مال المسلمين أليس هو العز بن عبد السلام شيخ العلماء وزعيم الصوفية في مصر وغيرها راجع كتب التاريخ تجد لهم العجب العجاب والآن لو قام كل شيخ بمريديه وتعلموا أضرب الحروب لعموا كل من على وجه الأرض بالإيمان والإسلام ولكن لم يشأ الله تعالى ذلك .

وأما من ينكر عليهم لفظ الباطن والظاهر وشريعة وحقيقة فهو بعيد عن الدين الإسلامي وبياناته بمراحل . لأن الله تعالى سمى نفسه بالظاهر والباطن فكيف نؤمن بالظاهر ولا نؤمن بالباطن بعد تفسيره الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم للآية الكريمة (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء والظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس تحته شيء وهو بكل شيء عليم هذا وقد قال تعالى (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) وقال تعالى (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن) وقال تعالى (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) فالظاهر كل ما ظهر لك كذاتك وذات غيرك فكل ما ترى من ظاهر الصور فهو الظاهر وما خفي عليك أو على غيرك فهو الباطن وقس عليه كل ذلك في النعم التي أنعم الله بها على عباده وكذا الفواحش وما نهى تعالى عنه فالظاهر ما هو معروف للرائين

والباطن ما لا يعلمه أحد من الناس إلا من شاء الله تعالى اطلاع أحد من خلقه عليه كالحديث الذى قدمنا عن أنس أن فتى كان ملازم الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اسم بدع فاحشة إلا ارتكبها فحدثوا عنه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لعل صلاته تنهاه وقد نهته وكان من أجلاء الصحابة وأيضاً الذى كان يقرأ القرآن وكان مرتكباً الفواحش فقال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم لعل قراءته تنهاه وقد نهته وهذا هو الباطن ومثل هذا حصل لأحد المشايخ المرشدين حيث لم يعط عهد المريد خادم له فى بيته عشرين سنة ففى يوم غضب من الشيخ وهرب وارتكب فاحشة ثم أخذ يلوم نفسه ويؤنبها ورجع ودخل بيت الشيخ خفية فناداه الشيخ يا على قال نعم قال تعالى خذ العهد يا إبنى نحن لا نلبس الطواقى للذين عليهم بواقى وأعطاه العهد وأرشده وزوجه ابنته وجعله وصيا على أولاده من بعده ويقول الصحابى راوى الحديث المشهور كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن أليس هذا هو عين الدلالة على معرفة باطن الأمور وفى قوله تعالى (ألم تر إلى الملإ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا النبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله) الآيات كبير دلالة على معرفة بواطن الأمور يا أيها المنكر وما الباطن فى معرفة حقائق الأحكام الشرعية وسر تكليف العباد بها وهى دلالتهم على موجدهم وفيض أسراره تعالى عليهم بالتوالى حتى يعرفوا ذلك ويفهموا أنها أسرار طاعتهم لربهم وهو سر التكليف بالعبادة والطاعة حتى يكون لهم بها الميراث فى الجنة أو لم نقل مرارا وتكرارا أن الله تعالى خالق المعانى والصور ولكل معنى صورة فى هذا الوجود فالمعنى هو باطن الصورة الظاهرة التى يراها أعمى البصر والبصيرة أو ليس لكل أعمى البصر صورة عما يلبسه باطنا غير ما تعرفه أنت يا أعمى البصيرة يميزها إذا ما حدث عنها أو لم نقل إن لكل اسم من أسمائه تعالى له خاصية ومزية تغاير الأخرى كالعقاقير فظاهره ظاهره وباطنه خاصيته ومزيته وكذلك القرآن المجيد وكذلك العقاقير بل وكذلك الإنسان والحيوان والجماد والنبات وكل موجود لله تعالى يا أخا العقل فتدبر ذلك تهتد إلى الصواب فإلى الله المرجع والمآب .

الشريعة والحقيقة وما جاء فيهما من الكتاب العزيز والسنة المطهرة وما عليه الإجماع

كان يكفى على كل ذى عقل متعقل أن آية واحدة فى الكتاب العزيز فى بيان الحقيقة التى هى تقابل الشريعة وحديثا واحدا فى السنة المطهرة يـ[illegible]ن الغرض الوافى والحجة

القاطعة فى ذلك ولكن لما كان الإنسان على ما أخبر الله تعالى عنه بقوله عز وجل (وكان الإنسان أكثر شىء جدلا) فعدد سبحانه وتعالى له الآيات وفضل له خرق العادات لعله يتعظ ويتدبر فى صنع العلى العظيم القادر فذكر سبحانه وتعالى قصة الخضر مع سيدنا موسى عليه السلام التى جمعت تسعة أعشار إنكار المنكرين والرد عليهم بأوضح دليل وأجل برهان التى منها تشريع التوسل بالمخلوقين ومنها التوجه إلى الأشياء من أسبابها ومنها الالتجاء والتوجه للمخلوقين ومنها بيان أن الشرع علم والباطن علم ومنها خرق العادات ومنها توجه العارف بالله إلى ما يريد فيحصل له المعنى المراد كقتل الغلام ومنها أن الكائنات كائنة ما كانت تنفعل للعبد لله كانفعالها له سبحانه وتعالى منها مجرى الأمور على أسبابها كما شاء الفعال لما يريد عند بيان ما يشاء إرادته لعباده وهكذا لاتزال تقول منها ومنها تأخذ منها مئات المآخذ فسبحان المعطى الوهاب . وكذا قصة الملإ من بنى إسرائيل من بعد موسى . وكقصة سيدنا داود وابنه سيدنا سليمان عليهما السلام وخاصة ما حصل فى مجىء عرش بلقيس من اليمن فى لحظة وما أجراه الله تعالى على يد عبده الصالح من انفعال الكائنات له وكقصة آدم عليه السلام . ونوح عليه السلام مع صنعه السفينة وكقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام وإلقائه فى النار وسيدنا يوسف وسيدنا موسى عليهما السلام وسيدنا هود وصالح عليهما السلام وسيدنا العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحبه (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها) وكذا كلما أجرى الله تعالى على يد أنبيائه ورسله من الشريعة والحقيقة أجرى على يد عباده الصالحين مثل ذلك إلى يومنا هذا بل إلى يوم الدين وهى سنة الله تعالى فى خلقه (ولن تجد لسنته تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) صدق الله العظيم واعلم أن فى بيان من أسند الله تعالى إلى حضرته فى كتابه العزيز البيان والتبيين قال بينما موسى يخطب الناس فى بنى إسرائيل فقال له قائل هل أحد أعلم منك ياموسى قال لا فعتب الله موسى حيث لم يرد العلم الله وقال اه بلا عبدنا خطر فسأل السبيل إلى لقيه فأرشده إلى مجمع البحرين فاحتمل حوتا فى مكتل وصاحبه الذى كان يحمله لهما حتى أتيا إلى صخرة وتوضأ وصليا ثم قاما وسارا وكان الحوت وقتئذ استل سبيله فى البحر سربا ، فلما جاوزا قال آتنا غداءنا قال : فإنى نسيت الحوت، قال : ذلك ما كنا نبغ فوجداه مسجى فى برده قال السلام عليك ؟ فقال وأنى بأرضك السلام. فقال موسى : قال موسى بنى إسرائيل قال نعم . قال ما تريد ؟ قال أريد أن تعلمنى مما علمت رشدا : فقال يا موسى أنت على علم علمكه الله وأنا على علم علمنيه الله وعلمى وعلمك بالنسبة لعلم الله كما يأخذ المخيط

إذا أدخل فى البحر . يا موسى إنك لن تستطيع معى صبرا ؟ قال ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا : قال فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا ، فانطلقا إلى ساحل البحر فوجدوا سفينة مارة وكان الخضر يعرف بالبركة فاحتملوهم) حتى ما كان من أمرهم ما قص الله تعالى علينا فى كتابه العزيز وفى بيانه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم أن الجدار كان عرضه ثلاثة أذرع وطوله ستون ذراعا يقول صلى الله تعالى عليه وسلم : (قال الخضر هكذا) أى فعل بيدو هكذا بمعنى مسح على الحائط فوقفت كأنها لم تكن مائلة حتى كان ذلك سبب اعتراض موسى عليه السلام فى عدم طلبه الأجر ، هنا قال صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله بن عمران لو سكت لبين . فمن قوله يا موسى أنت على علم علمكه الله أخذ إجماع الأمة على الشريعة وأنا على علم علمنيه الله هو علم الحقيقة ولم يشذ أحد من أهل التحقيق فى ذلك إلا إذا كان من المخالفين لا يعبأ به ولا يعول عليه لأن الحق واحد ولا خلاف فيه بين أهله هذا ما ثبت بالكتاب والسنة فى بيان الشريعة والحقيقة . وإليك أيضا ما ثبت بالصريح الواضح من قوله تعالى : (أولئك هم المؤمنون حقا) فقد أجمع المفسرون على أن لكل حق حقيقة وهى اليقين المأخوذة من بيانه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله لحارثة « كيف أصبحت أحادث ؟ قال أصبحت مؤمنا حقا : قال إن لكل حق حقيقة وما حقيقة إيمانك ؟ قال : عزفت الدنيا ورائى والآخرة أمامى وواصلت ليلى نهارى ونظرت إلى أهل الجنة فإذا هم يتنعمون ، وإلى أهل النار فإذا هم يتعاوون . قال ملكت فاسجح » فالحقيقة والشريعة جاءت فى الكتاب والسنة ولا ينكرها إلا كل من جهل ذلك ومعنى اليقين المتقدم أن سيدنا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم الله تعالى وجهه أنه كان إذا وقف يتوضأ يتغير وجهه فقيل له لم ذلك قال ألست أقف بين يدى أحكم الحاكمين . فقيل له هل رأيت ربك فقال كيف أعبد ربا لم أره من المقرر عقلا ونقلا أن الله تعالى لا يرى بالأبصار كما قال تعالى لسيدنا موسى عليه السلام (لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى) التى أخذ منها أفاضل الأمة معركة عظيمة بقولهم كيف يمنح الله تعالى الصديق الرؤية ويمنع الكليم الرؤية .

تقول الكليم أراد أن يحقق لبنى إسرائيل رؤية الله فى الدنيا وهى رؤية ذات يمكنه أن يعبر عنها بالصفة أو الهيئة والله تعالى منزه عن ذلك كله لأمرين أحدهما لأنه

لا أول ولا آخر ولاحد ولاجهة لايعبر بها عنه تعالى . وثانيهما ليس له مثيل حتى يعبر به عنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وأما فى الآخرة فتكوين العبد يخالف هذا التكوين ومع ذلك فليس يرى بالعيون وكيف ترى العيون فقط . والشعر والجلد والعظم لايرون أما إذا أكرمنا الله تعالى وجعلنا من الرائين له سبحانه وتعالى فانه سبحانه وتعالى يتجلى على عباده المكرمين فيخرون سجدا لعظمة رب العالمين . فيحصل التلذذ لجميع الجسم إن شاء الله ألا ترى إلى قوله الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث الشفاعة وهو سيد العالمين . فأخر ساجدا فيقال الحديث فكيف بالإنسان فى رؤيته لربه عز وجل . وأما الكلام فى الصديق رضى الله تعالى عنه فإنه يرى بقوة الإيمان الذى هو الإيمان الحق الذى بينا وقوة اليقين وهو مقام أهل التحقيق الذى قال فيه رضى الله تعالى عنه لو كشف عنى الحجاب ما ازددت يقينا يعنى كل ما جاء فى الغيبيات هو الذى أنا عارفه بتوفيق الله تعالى لعباده بما اشتمل عليه .

واعلم أن الشريعة أفضل من الحقيقة كما حصل من بيان سيدى عبدالقادر الجيلانى فيما حصل من السائل عنه ، وعن سيدى أبى يزيد البسطامى فقال : هو أعطى العلم اللدنى وأنا أعطيت العلم الشرعى والعلم الشرعى أفضل من اللدنى ووجه أفضليته لما فيه من حاجة الناس فى معاشهم من دينهم ودنياهم وآخرتهم . وأما اللدنى فليس فيه إلا بيان الحكمة فى نزول الأمر ووقوعه على مقتضى الحكم العالية وليس فيه من مصلحة العباد شىء وهو لبيان سر الأمر الواقع لا غير (عجائب) وأما عجائب صنع الله تعالى مع بعض خواص الصوفية لعجيب وتجليه تعالى على بعضهم لأعلى وغريب وذلك أنك ترى أن الله تعالى يتجلى على بعض هؤلاء المخصوصين بالتجلى فلا يرى فى الوجود إلا الله فيقول الوجود أنا وأنا الوجود . وبعضهم يقول سبحانى . وبعضهم يقول أنا الله . وبعضهم يكون التجلى عليه إلى العرش فيقول : أنا العرش . وبعضهم يقول أنا القلم . وآخر يقول أنا اللوح . وآخر يقول كما قال السيوطى فى تجليه تعالى على بعض عباده فيوسعه فيقول : لا أستطيع أن أمشى فى الدنيا لأنها لا تسعنى . وآخر يمد يده فيأتى بالبعيد وأنت جالس معه . وآخر يكون معك وتراه أمامك فى المدة التى سافرت فيها طويلا ولعل السر فى هذا كله ما جاء فى بيانه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم من قول الحق عز وجل فى الحديث القدسى (كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن أتانى يمشى أتيته هرولة) الحديث . وقد قدمناه بكل رواية قريبا .

ثم إن منهم من هو فى مقام الصحو وهو أفضل من غيره ، ومنهم من هو مجذوب - أى مأخوذ لأن الجذب هو الأخذ للقرب كسيدى أبى يزيد حين رده الله تعالى للخلق سنة كاملة وكان الملك اختص به ومنع الناس عنه ومنعه الناس وألف رسالته التى فيها قصيدته المشهورة وكان الملك لا يذهب إلى الحمام إلا به وفى آخر يوم وهو مع الملك فى المغطس سمع الله يقول : ردوا إلى حبيبى فقال فى المغطس وهو خارج منه - لبيك لبيك لبيك حتى خرج ولبس ملابس الملك وخرج . ولما خرج الملك ناداه فقيل له خرج لا بسا ملابس مولانا ؟ فقال عاد إليه جنونه لأن هؤلاء فى نظر أهل الدنيا مجانين كما قال العلامة ابن دقيق لما سمع عن سيدى أحمد البدوى توجه ليراه وينظر حاله فرآه غير عادى . فقال فى نفسه مجنون ، فرد عليه سيدى أحمد البدوى بما فى نفسه بقوله :

مجانين إلا أن سر جنونهم عزيز على أعتابهم يسجد العقل

فقام وقبل يده واعتقده . وأيضا لما بلغ ابن حجر حال الفرغل ابن أحمد الصعيدى - توجه إليه فرآه وقال : إنه جاهل وما اتخذ الله من ولى جاهل ؟ قال له اتخذنى وعلمنى يا ابن حجير . تصغير حجر فاعتقده . وكالعالمين اللذين سمعا عن شيخ كبير ولا أذكر أسماءهما لأن ذريتهما موجودة فرأيا الشيخ واحتقراه وكانت مسافتهما بعيدة فباتا عند الشيخ آسفين على تعبهما فاحتلم الشيخان ثم قاما بعد الفجر وتوجها إلى البحر ليغتسلا فجاء سبع ووقف على ثيابهما فخافا يخرجان من البحر فجاء الشيخ المحتقر فى نظرهما وأخذ السبع من إذنه وقال له ألم تعرف أنهما أضيافى فصرفه وعند إذ خرجا من البحر ولبسا ثيابهما . وجاء إليه معتقدين وكان منهم من يعرف لغة البهائم كالسيد أحمد أبى الليل الذى ذكرنا عنه أنه أحيى الميت وقال له من قتلك؟ قال: قتلنى فلان . وكان بارا مع تلاميذه من بلد إلى بلد فسمع شاة تنادى ابنها ؟ فقال هذه تقول لابنها تعال بجوارى فى العام الماضى أخذ الديب أخاك فى هذا المكان فنودى الراعى وقال : حقا أخذ الديب ابن هذه الشاة فى هذا المكان فى العام الماضى . ومنهم من كان يسمع صوت أصوات الجمادات فيفهم منها معنى مرادا كقول الشبلى وهو بار مع تلاميذه ونقاش ينقش حجر الطاعون فصرخ فقيل له ما الأمر ؟ فقال : أما سمعت الحجر وهو يقول بأعلى صوته يا شبل خلى نقلك من نقلى آخذ الخشن وأعطى الناعم وإلا ينقش صدرك مثلى مثلى مثلى ، ومنهم من سمع صوت الحبل فى البكرة على البئر ؟ فقال لبيك لبيك فقيل له ما هذا قال الله تعالى يقول لى سبح ترى برى أى

أى ملكى ورأيت منهم من يسمع صوت حركة عجلة قطار الوابور فيقول معها لا إله إلا الله وآخر يقول وأحيانا يقول يا لطيف يا لطيف ورأيت منهم من قال هل تدرون ما تقول الساعة فى حركة سيرها تقول حقا حقا ومنهم من ينطق بكلام لا يفهمه إلا من كان منهم وإلا فالحق يقال إن هؤلاء قوم لا يعرفهم إلا من كان منهم ومن كان منهم لا يعترض عليهم ومن لم يكن فلا يعول عليه ولا يعبأ بكلامه لأنه لا يخلو حاله عن أحد أمرين إما جاهل فلا يسأل عنه أو حاسد فلا يرد عليه وجزاؤه موته كمدا .

وهكذا أمر الأحياء منهم لا تناهى لها بعدد الأشخاص المنعم عليهم وإن كانت نعم الله تعالى تعد أو تحصى فيكون شأنها فى هؤلاء أو مع هؤلاء أولى .

وأما الأصوات منهم أى من انتقلوا من هذه الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة أى أهل القبور فهم أعلى وأرق وأوسع من كرامات أهل الدنيا كما بينا ذلك فى باب الحياة والموت لابن آدم قريبا لأن المنعم بالكرامات والفضل إنما هو الله تعالى وهل كرمه وفضله إذا تعلق بأمر هل يتخلف عنه لحظة ، كلا ولا يتصور هذا إلا من ليس له عقل . وأن لو كتبنا ما هو مكتوب أومسموع لاتسعه الأوراق ولأعجز الكتاب ولكن نقتصر على ماشاهدته بنفسى مع أهل الآخرة أهل القبور وأوله وأرقاه مع سيد العالمين اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومحبيه أجمعين ، لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم لا يحجب عنه محبوه وهو لهم كما قال تعالى لهم (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وكما قال صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يصاب أحدكم بشوكة إلا أشعر بألمها قبل أن تصيبه) والناس فى ذلك مختلفون عنهم يراه صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال إما خيالا أو مثالا أو صورة حقيقية وذلك للمبتدئين مناما إلى أن يصير يقظة حقيقية وإخباره صلى الله تعالى عليه وسلم مثل فلق الصبح يعنى با كر هو هو أو بعد لحظة هو هو وأما من يتخلف معه فلتخلف الرائى فى الرتبة ومنهم من إذا رابه الدهر ضيما فإنه يكون لخلاصه خير مستلم كما قال البوصيرى رضى الله تعالى عنه :

مارا من الدهر ضيما واستجرت به   إلا وجدته لخلاصى خير مستلم

ومنهم من لا يغيب حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم عنه طرفة عين كما قال الكثير من المحبين كذلك لو غاب عنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسى من الإسلام هنا كلام يعرفه أهله . ثم إنى أمسكت القلم مدة

متحيرا ماذا أكتب وما ذا أقول ولكن نكتب فى كل باب واحدة لا غير . منها:
أنه خرج فى وسط رأسى ما يقال له صنطة وأعى الأطباء علاجها وأجمعوا على العملية
والعملية تكشف العظم وهو خطر فكنت مهموما لأجل ذلك وكنت جالسا وحضر
صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه الصديق رضى الله تعالى عنه وجلس صلى الله تعالى
عليه وسلم نحوا من نصف ساعة فقلت يا رسول الله هذه توجعنى فمد صلى الله تعالى
أصبعه الشريف ووضعه على الطربوش فوق العمامة ولم أشعر بشىء حتى مشى صلى الله
تعالى عليه وسلم وصاحبه من المجلس فمددت يدى فلم أجد لها أثرا فأصبحت أحدث
من كان يعلم بهذا فلم يجدوا لها أثرا . كفى هذه ، ثم زرت وليا لله تعالى فى الخلاء
يعنى الزراعة وكان معنا له نذر وأ كلنا ولم نجد ماء للشرب ولكن بجواره أزيار ليس
بها ماء فنظرت فإذا الأزيار الثلاثة قد ملئت ماء من أحسن ما يكون فشربت من
الأوسط فطبعا نقص وملأته لمن كان موجودا معنا فطبعا نقص أكثر فرجعت أملأ منه
ثالثا فوجدته مملوءا محاذيا لمن قبله وبعده ثم إن أحد الناس قال لى أقضى لك مائة
جنيه مصرى فاكتب لى كمبيالة لأجل أن أسلمها له وأوقع عليها كشاهد عليك وتوجه
بها حولها إليه ورفع بها دعوى على وأخذ حكما وحجز على بيتى وباع وجئت إلى
مسجد سيدى أحمد الدرديرى وشكوت له فى قبره والمؤذى مع المصلين وحلفت
لسيدى أحمد الدرديرى لا أصلى فى مسجدك العشاء الآن ولا أدخله ما لم ينفذ فى هذا
وأشرت إليه فوصل منزله وانتفخ جسمه وذهبوا به إلى القصر العينى فمات هناك .
ثم إنه ظهر فى بطنى داء شعرت به كصابع الموز وشاعر به ولا أستقر به على أى حال
فتوجهت إلى سيدتى السيدة زينب وعادتى أنى أزورها وأنا خارج الشباك داخل
المسجد فنظرتها داخل الشباك فقلت لها ياسيدتى هذا يؤلمنى فمدت يدها الشريفة ووضعت
أصبعها الشريف على بطنى وكأن بيدها دواء يصب على المتحجر فى بطنى وأنا أشعر
كأنه ينحات حتى انتهى عن آخره . وفى هذا القدر كفاية. وأما وجود سيدنا الحسين
رضى الله تعالى عنه والسيدة زينب فى مصر فهو أمر مقطوع به ومفروغ منه كما هو
ثابت عن الشيخ الجوهرى والشيخ اللبوى والسيد محمود البيلاوى والشيخ عكاشه
خادم القبة بالمس والحس والعيان نسأله تعالى تنوير البصائر والتوفيق لما يرضيه
والختام بالحسنى .

الفصل السابع فى معرفة الولى

اعلم أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد أن كل ولى لله تعالى من الذين أجرى الله تعالى على أيديهم خرق العادات وأكرمهم بتوالى الكرامات لم يكن إلا من آل البيت رضى الله تعالى عنهم بدليل قوله تعالى (رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت) قال قائل هم أهل بيت إبراهيم قلت جرت عادة الله تعالى أن يذكر أبرز البارزين من أهل البيت وأبرز البارزين من آل بيت إبراهيم هو إسماعيل عليه السلام وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى بنى هاشم من قريش واصطفانى من بنى هاشم فأنا خيار من خيار من خيار» وأيضا لما أنزل الله تعالى قوله عز وجل (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى) قالوا من آل بيتك يارسول الله الذين أوجب الله تعالى حبهم وودهم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم «فاطمة وعلى وما تناسل منهما» ويؤيد هذا ما رواه الترمذى عن أنس بن مالك أنه أهدى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جبة من شعر يمانية وكانت واسعة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أحيانا يلتحف بها فلبسها يوما وهم ليخرج فجاء الحسن يجرى فدخل تحتها ومن ورائه الحسين يجرى فدخل تحتها ومن ورائهما أمهما دخلت تحتها ومن ورائهم سيدنا على فدخل معهم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت) ويؤيد ذلك كله قوله تعالى لما أنزل فى شأن سيدنا عيسى عليه السلام النيف وسبعين آية قال تعالى (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فقالوا من الغد يامحمد فلما غدى من الغد خرج صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الحسن وبالأخرى الحسين وخلفه فاطمة وخلفها على فلما رأوه وقالوا إنا نرى فى وجه الرجل اللعنة فأخروه فقالوا من الغد يامحمد فلم يخرجوا الشاهد أن هؤلاء هم آل البيت الذين جعل الله تعالى عليكم الرحمة والبركة مستمرة إلى يوم القيامة حتى عاصيهم لاتنقطع عنهم هذه الرحمة وقد تعمد أحد الحكام فضيحة عاصيهم وهو يشترى الخمرة فقال له ما هذا فقال له زيت فقال له أريه فسلمه له ففتحه وصب منه على الأرض فأنزلت زيتا فخجل الحاكم وأرسل وراءه من يسمع كلامه فى ذلك فقال فى أهل الأرض نسأل الله تعالى أن ينفعنا بهم وبحبهم وأن يرزقنا دوام عطفهم وودهم فلا يوجد ولى على وجه الأرض على ما بينا

إلا وهو منهم فكيف لا والله تعالى أمرنا بحبهم ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم حثنا على ذلك فى قوله الشريف « أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه وأحبونى لحب الله وأحبوا آل بيتى لحبى » فنسأل الله تعالى التوفيق لعلنا يحشرنا معهم إذ ورد فى الحديث الشريف « المرء يحشر مع من يحب » والأصل فى اختصاص الأولياء بهذه المزايا لوجود هذا الحديث القدسى الذى هو أصل فى السلوك إلى الله تعالى والوصول إلى معرفته ومحبته وطريقته التى ارتسمها لعباده النبيين المرسلين المجتبين وهو مارواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة أنه قال « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه ومازال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببتـــه كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لأعيذنه » الحديث وفى رواية : « من أهان » . وفى رواية أحمد . « من آذى » . أى وأغضب بالقول أو الفعل قال علماء الأمة من عادى لى وليا أى من أجل كونه وليا لله تعالى . فإنه جرى بين الصديق والفاروق خصومة . وبين العباس وعلى . وكثير من الصحابة ماجرى . ولذا قال الكرمانى . قوله لى : هو فى الأصل صفة لقوله وليا كما تقدم صار حالا . اهـ . والولى مأخوذ من الولى بسكون ـ وهو القرب والدنو . كما جاء فى بيانه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث الذى يرويه البخارى عن أسامة بن زيد قال « كنت طفلا صغيرا آكل فى حجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت يدى تطيش فى الإناء فقال ياغلام إذا جلست لتأكل فسم الله وكل بيمينك وكل مما يليك » أى يقرب منك فقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « كل مما يليك » وهو فعيل بمعنى فاعل لأنه والى الله تعالى بالطاعة والتقوى من غير تخلل عصيان . أو بمعنى مفعول لأن الله تعالى والاه بالحفظ ومزيد الإمداد ولم يكله إلى نفسه لحظة . إذاً فالولى من هنا بل ومن صريح القرآن على قسمين قسم فى ولى الله تعالى بالقيام بما كانت عليه الرسل بتنفيذ الأحكام الشرعية لعباد الله تعالى ومن على قدمهم من المؤمنين القائمين بذلك فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إلى الله عز وجل . وقسم والاه الله تعالى وهم من على قدم الأنبياء فقط وهم الذى والاهم الله تعالى بتوالى كراماته وخرق عاداته على أيديهم . واعلم أن ضابط الولى هو المواظب على فعل الطاعات واجتناب المنهيات المعرض عن الانهماك فى اللذات . وفى الحـديث سؤال . فإن قلت : المعادات لا تكون إلا من جانبين ومن شـأن الولى .

الحلم والصفح عمن يجهل عليه : يجاب بأن المعادات لا تنحصر في الخصومة والمعاملة الدنيوية بل تقع من بعض بما ينشأ عن التعصب كالرافضي في بغضه لأبي بكر والمبتدع في بغضه للسني فتقع المعادات في الجانبين . أما من جانب الولي فلله وفي الله وأما من الجانب الآخر فكما تقدم . وكذا الفاسق المتجاهر يبغضه الولي في الله ويبغضه الآخر لانكاره عليه وملازمته لنهيه عن شهواته . وأيضا المفعلة قد تأتي للواحد كسافر ومن عافاه الله تعالى قال شارح الحديث ونتيجة ذلك في الولي الكامل وأما أصل الولاية فقد تحصل بالشهادتين مع الإخلاص لله تعالى في السر والعلن ولذا قال بعض العارفين إياك ومعادات أهل لا إله إلا الله فان لهم من الله الولاية العامة وهم أولياء الله وإن أخطأوا وجاؤا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئا فان الله تعالى يتلقاهم بمثلها معرفة . ولا يخفى أن هذا الكلام وكذا ماقبله يدل على أن تخلل المعصية مناف للولاية وهو الذي يشير إليه كلام غير واحد من الفضلاء وليس في ذلك قول بالعصمة التي لم يثبتها الجماعة إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام بل قصارى مافيه القول بالحفظ وقد قيل الأولياء محفوظون وتسر بعدم صدور الذنب مع إمكانه والقيد لإخراج العصمة نعم جاء بالعصمة بمعنى الحفظ المفسر بما ذكر وعلى هذا خرج قول صاحب حزب البحر اللهم اعصمنى في الحركات والسكنات لأن الدعاء بما هو من خواص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يجوز كالدعاء بسائر المستحيلات كما هو محقق في محله وأطلق بعضهم القول بأن تخلل ذلك غير مناف احتجاجا بما حكى عن الجنيد قدس سره أنه سئل هل يزنى الولي ؟ فقال نعم وكان أمر الله قدرا مقدورا وتعقب بأنه محمول على الإمكان سؤالا وجوابا ولا كلام فيه وإنما الكلام في أن الوقوع مناف أو غير مناف . ولذا قسم بعض الناس الولاية إلى صغرى وكبرى فالصغرى قد يقع فيها الذنب على الندرة لكن يبادر بالتنصل منه فوراً بالتوبة وعد العلامة ابن حجر عليه الرحمة من وقع منه الذنب كذلك فيبادر بالتنصل منه محفوظا فالوقوع عنده على الندرة مع المبادرة للتنصل لا ينافي الحفظ وإنما ينافيه تكرر الوقوع وكثرته وكذا قدرته مع عدم المبادرة للتنصل . وأما الكبرى فلا يقع فيها الذنب أصلا مع إمكان الوقوع . هذا ماحققه الأفاضل في محله والله أعلم .

في تعريف الولي

الولي مأخوذ من الولي بسكون اللام وهو القرب والدنو ومنه الحديث «كل مما يليك»

وهو فعل بمعنى فاعل ؛ لأنه والى الله تعالى بالطاعة والتقوى من غير تخلل عصيان . أو بمعنى مفعول لأن الله تعالى والاه بالحفظ ومزيد الإمداد ولم يكله إلى نفسه لحظة وضابط الولى أنه المواظب على فعل الطاعات واجتناب المنهيات المعرض عن الانهماك فى اللذات

وصف الولى

قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى وصف أولياء الله تعالى — أولياء الله قوم صفر الوجوه من السهر عمس العيون من العبر خمص البطون من الجوع يبس الشفاه من الذوى أخرجه الطبرانى .

وعن عمر رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول « إن من عباد الله عبادا ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامه لمكانهم من الله تعالى قيل يارسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم قال: هم قوم تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطون بها فوالله إن وجوههم لتنور وإنهم على منابر من نور لايخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم تلا (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون) أخرجه أبو داود. وهذا يتجه فى الولى الكامل .

وأما أصل الولاية فتحصل بالشهادتين ولذا قال بعض العارفين : إياك ومعاداة أهل لا إله إلا الله فان لهم من الله الولاية العامة وهم أولياء الله: وإن أخطأوا وجاءوا بقراب الأرض خطايا لايشركون بالله شيئا فان الله تعالى يتلقاهم بمثلها مغفرة .

واعلم أن لفظ ولى ورد فى القرآن لمعان الأول: الولد كقوله تعالى فى سورة مريم (فهب لى من لدنك وليا) يعنى ولدا . الثانى :الصاحب من غير قرابة كقوله تعالى فى سورة بنى إسرائيل (ولم يكن له ولى من الذل) . الثالث : القريب . كقوله تعالى فى سورة الدخان (يوم لايغنى مولى عن مولى شيئا)أى لاينفع الكافر القريب قريبه الكافر. الرابع: العصبة كما فى قوله فى سورة مريم (وإنى خفت الموالى من ورائى) يعنى العصبة الخامس :الولاية فى الدين كقوله تعالى فى سورة المائدة (لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض) السادس: الولى فى الدين بحق كقوله تعالى فى آل عمران (لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) وأما ولاية الله تعالى الخاصة بعباده المؤمنين فكثيرة

فى القرآن الكريم . منها قوله تعالى فى سورة البقرة (الله ولى الذين آمنوا) وأما الولاية العامة لعباده أجمعين فقد انفرد بها رب العالمين فهى كثيرة فى القرآن الكريم منها قوله تعالى فى سورة البقرة (ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير) .

وأما ولاية العباد بعضهم لبعض فى القيام ببعض الشؤون الدنيوية فأمر الله تعالى أن لا يتخذ المؤمن الكافر وليا من دون المؤمنين فقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) فحذرهم ذلك كما فى الآية السابقة (لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء)لأن بعضهم أولياء بعض وليسوا بأوليائكم إنما أوليائكم الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والذين آمنوا بالتبع - ولفظ الولى هنا بمعنى المتولى للأمور المستحق للتصرف فيها تصرفا عاما و يراد أيضا الناصر واعلم أننا خرجنا من هنا كما بينا أن مبدع الكائنات سبحانه وتعالى جعل الوجود وما فيه على زوجين فكذلك النبى الرسول والنبى فقط على زوجين وأخبر سبحانه بأن أولياءه على زوجين منهم من هو على قدم المرسلين ومنهم من هو على قدم الأنبياء فقط.أما الذين على قدم المرسلين فهم العلماء العاملون الذين هم ورثة المرسلين الذين يبلغون للناس ما نزل إليهم فى ربهم بالتعليم والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولو بقدر ما يستطاع لهم وكفى أنهم لو سئلوا عن الحكم الشرعى يقولون هذا حلال وهذا حرام.وأما الذين هم على قدم النبيين فهم الذين والاهم الله سبحانه وتعالى بالكرامات وخرق العادات وهم الذين أبانهم سيد العالمين حتى سئل عنهم بقوله الشريف فيما رواه الطبرى بسنده عن سعيد بن جبير قال سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن أولياء الله فقال « هم الذين إذا رءوا ذكر الله» أى لحسن سمتهم وإخباتهم . وأخرج الإمام أحمد عن أبى مالك الأشعرى قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إن لله تعالى عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهود يغبطهم النبيون والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله تعالى قال أعرابى يارسول الله أنعتهم لنا قال : هم أناس من أفناء الناس ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا فى الله وتصافوا فى الله يضع الله تعالى لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسون عليها يفزع الناس وهم لا يفزعون وهم أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون » وروى مسلم عن جابر رضى الله تعالى عنه وعند الترمذى عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه قال : كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال «إن لله عبيدا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة.قال وفى ناحية القوم أعرابى فجثا على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يارسول الله

عنهم من هم قال فرأيت فى وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى وقبائل شتى لم يكن بينهم أرحام يتواصلون بها ولادينا يتبادلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون » وفى الطبرى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « عليك يا أبا هريرة بطريق أقوام إذا فزع الناس لم يفزعوا . وإذا طلب الناس الأمان من النار لم يخافوا إلى أن قال ركب القوم طريقا صعبا حتى لحقوا بدرجة الأنبياء آثروا الجوع بعدما أشبعهم الله والعرى بعدما كساهم الله والعطش بعدما أرواهم الله تركوا ذلك رجاء تركوا الحلال مخافة حسابهم صحبوا الدنيا بأبدانهم ولم يشتغلوا بشىء عنها عجبت الملائكة والأنبياء من طاعتهم لربهم طوبى لهم طوبى لهم وددت أن جمع الله بينى وبينهم ثم بكى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شوقا إليهم ثم قال : إذا أراد الله بأهل الأرض عذابا فنظر إليهم صرف العذاب عنهم فعليك يا أبا هريرة بطريقتهم فمن خالف طريقتهم تعب فى شدة الحساب » وروى الطبرى بسنده عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إن من عباد الله عبادا يغبطهم الأنبياء والشهداء قيل من هم يارسول الله لعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا فى الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) صنع الله تعالى فى عباده المقربين قد ذكرنا لك مرارا أن الله تعالى له فى تنشئة عباده الذين يشاء تبارك وتعالى أن يجعلهم من المقربين إليه سبحانه ليكونوا واسطة بينه عز وجل وبين خلقه المهتدين وهم الرسل أو الأنبياء أو الأولياء المذكورون فى قوله تعالى (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والشهداء والصالحين) والصالحون هم الأولياء كما بينه الإمام الفخر والألوسى ثم بين سبحانه وتعالى مايتدرجون عليه من أنواع بدء التقرب من بدء الوحى فى الأنبياء والمرسلين والأولياء مع أقسامهم التى هى مبينة فى محلها وبينا منها مايكفى كل طالب للحق وإليك ماورد من بيانه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم على قوله تعالى (لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) فروى الترمذي عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قوله تعالى (لهم البشرى فى الحياة الدنيا) قال « هى الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له » وعند الترمذي عن رجل من أهل مصر قال: سألت أبا الدرداء عن هذه الآية (لهم البشرى فى الحياة الدنيا)

قال ما سألنى عنها أحد منذ أن سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وقال ما سألنى عنها أحد غيرك منذ أن أنزلت « هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له » وكيف يكون ذلك البيان إلا فى معرفة سنن الله تعالى فى عباده من أسراره لعباده المرسلين ومن تبعهم إعلم ياذا العقل الرشيد أن مبدع الكائنات جل وعلا لم يجعلها على حالة واحدة فى الإبداع والايجاد بل فصلها تفصيلا ـ ونوعها تنويعا ـ وفضل بعضها على بعض تفضيلا كما قال تعالى (تبيانا لكل شىء) (وتفصيل كل شىء). ـ وبمقتضى كمال حكمته وبديع صنعته ـ أن جعل فى كل نوع منها فردا واحداً أفضل جميع أنواع أجناسها وما كانت هذه الموجودات إلا لمستلزمات أفضل مخلوق فيها ـ ليعرف الله تعالى بها ومنها . وهم بنو آدم . ولما كانوا هم أفضل المكونات وعرفوا بأنهم محل نظر الحق من هذه الموجودات وذلك لخلق جميع الكائنات لهم . وتسخيرها إياهم . ولجمع التضاد فيهم بالفعل والقوة . ولجمع أسرار المكونات فيهم حسا ومعنى ولأنهم على جمع الصفتين المتقابلتين . الرحمة والغضب . والبعد والقرب . والمشاهدة والحجب . والسر والعلانية .

أتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

والحكم عالية له تبارك وتعالى جعلهم على مشاهدة ماخلقوا له ـ ومباشرة ماجبلوا عليه وإقبالهم على ذلك بالقوة والفعل واستغراقهم فى التلذذ بما خلقوا لأجله ـ وانغماسهم فيما أحاط بهم من كل ماخلقوا لأجله وتسعة أعشارهم لم يشاهدوا إلا ذلك ولما كان سبحانه وتعالى العدل فى صفته وهو الحكم . زانهم بالعقل والتميز والادراك ليستجيبوا لدعوة من يبصرهم فى حكمة الوجود والموجودات ـ ويلفتونهم النظر إلى مبدع هذه المشاهدات ـ التى هى الحجاب الأعظم بينهم وبين خالق الأرضين والسموات . ولا يخفى أن تركيب ابن آدم على حالتين مادية وروحية وبالمادة الأقوال والأفعال وهى بالروح ألزم والروح هى الصلة بينهم وبينه سبحانه وتعالى ـ فكانت حكمة إرسال الرسل ضرورية لهم ولهذا لم يدعهم هملا . بل اختار منهم فيهم . مجتبين رسلا مبشرين ومنذرين . نشأهم بالتدريج بينهم بانواع الكمال ليقربهم إليه . ويدلهم عليه بالرؤى . التى ترقوا منها وبها وعليها إلى مشاهدة الملك الذى يكون واسطة بينهم وبين خالقهم جل وعلا . وبعد التعرف منه

والتحقق فيه . وملازمة تصديقه إياه ـ يصدع الواحد منهم بدعوته بالرسالة إلى قومه لله عز وجل معلنا بأنه رسول الله وأنه يدعو إلى الله كسالفه من المرسلين . مؤيدا بالمعجزات الباهرات التى لايستطيع أحد من الرسل إليهم الإتيان بمثلها . حتى يكون بذلك هاديا به الله تعالى من ينيب إليه من خلقه قال تعالى (الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب) الذين شاء تبارك وتعالى هدايتهم على أيديهم ودخولهم مع ذلك الرسول فى الإيمان والاسلام ـ فكان بها ومنها يسمى كل رسول وأتباعه بالمؤمنين المسلمين ومن خالفه . وعاداه . وخرج عليه وكذبه وأول دعوته على حسب هواه ومبدؤه المخالف يسمون بالكافرين ومن على قدمهم من المخالفين لذلك من الفرق الضالة فى كل أمة .

ومن هنا تعرف أن تربية الحق عز وجل لعباده الصالحين الذين يكونون من الأولياء المكرمين بهذا التدريج الإلهى الذى يبدأ بالرؤيا النامية ـ ثم يترقى بالرؤيا التى بين النوم واليقظة ـ ثم باليقظة المعطلة للحواس الظاهرية . ثم باليقظة المدركة بالحواس الظاهرية والباطنية ـ حتى تظهر منه وعلى يديه الكرامات وبهذا يمتازبها عن أفراد الناس كما أن الرسل عليهم الصلاة والسلام كأفراد الناس فى البشرية ويمتازون بالمعجزات . غير أن هذا وهو الرسول يدعى الرسالة . وهذا الولى يدعى بالصلاح والتقوى الولاية على قدم الأنبياء والمرسلين . وهؤلاء غير المجذوبين الذين خلقوا على المعرفة ونشأوا عليها فليسوا فى حاجة إلى التدرج فى المعرفة . بل هم العارفون لربهم من حين ولادتهم ويتفاوتون فى الجذب إليه تبارك وتعالى وهؤلاء هم أهل الخير والفضل وهم خيرة محل نظر الحق عز وجل من هذا الحق وهم الذين يرحم الله تعالى بهم عباده أجمعين ويرفع بهم عنهم العذاب كما رفع عن كفار مكة العذاب بالحرب بوجود المؤمنين والمؤمنات قال تعالى (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم) الآيات وفى قوله تعالى فى شأن سيدنا إبراهيم عليه السلام وسيدنا لوط عليه السلام (فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط إن إبراهيم لحليم أواه منيب) وكانت مجادلته عليه السلام للملائكة كما جاء فى السنة أرأيتم لو أن فى قرية خمسين رجلا صالحا أتهلكونها قالوا لا قال وأربعين قالوا لا قال وثلاثين قالوا لا قال وعشرين قالوا لا قال وعشرة قالوا لا قال وخمسة قالوا لا قال ولو رجلا مسلما قالوا لا قال

أرأيتم فيها لوطا (قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين) فعرفنا من هنا من كلام العزيز ومن بدن السنة المطهرة أن الله يرحم بالصالحين غيرهم ولو كانوا من الكافرين فنسأله تعالى إكراما لمن أرسله رحمة للعالمين أن ينفعنا بالصالحين ويحب الصالحين .

واعلم أننا قررنا كثيرا أن الله تعالى جعل الموجودات على أجناس وجعل فى كل فرد من أفراد تلك الأجناس بعضها أرفع من بعض والأجناس والجن والسموات والأرض والحيوان والنبات والجماد وأرقى هذه الأجناس كلها ابن آدم إذ هى مخلوقة لأجله قال تعالى (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً) وقال تعالى (هو الذى سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه) وبمقتضى حكمته العالية أنه تعالى لم يجعلهم على حالة واحدة بل فضل بعضهم على بعض تفضيلا قال تعالى (ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات) وقال تعالى (ولقد فضلنا بعضكم على بعض فى الرزق) وقال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وهم الأولياء يعنى الذين أوتوا العلم ورثة الأنبياء والذين عرفوا الله تعالى وهم من والاهم الله تعالى بالكرامة وخرق العادة على الدوام فهم أيضا كل فرد منهم يغاير الآخر وليس واحد مثل الآخر فى كل شىء بل قال تعالى فيهم وفى غيرهم من أفراد الموجودات (ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) وكذا جميع الأنبياء والمرسلين لم يكن واحد فيهم مثل الآخر قال تعالى (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وقال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) وهذه هى الأدلة النقلية فى الكتاب والسنة التى عرفنا منها أن فى كل فرد من أفراد أجناسها فردا واحدا يكون هو أرقى أفراد أجناسها . وإليك الدليل العقلى فنقول إن أفراد النوعى الإنسانى فى كل زمان محصورون بالعدد لا فرق فيهم بين كامل وناقص ضرورة أن الناقص داخل فى الكامل إذا ينتهى الكمال فى كل عصر إلى كامل واحد الأكمل منه وهو ما يسمى بالغوث أى المشهور بالقطب على ما نبينه قريبا . ثم إذا جمعنا هذا الكامل فى هذا العصر مع من هو كامل فى العصر السابق لابد وأن أحدهما يكون أكمل من الآخر لأنه لاضرورة إلى الثانى وهكذا إلى عصر النبوة لابد وأن تكون النبوة أفضل وهكذا مع جميع النبيين فقط إلى عصر النبى الرسول فلا بد أن يكون النبى الرسول أفضل وإذا جمعنا كل رسول مع كل رسول لابد وأن يكون أحدهما أفضل لأنه

لا ضرورة إلى الثانى وأيضا أن الكامل دخل فى الأكمل إذ لابد وأن ينتهى الكمال فى المرسلين إلى كامل واحد وهو لابد وأن يكون أوسعهم شرعة ومتى كان كذلك كانت معرفته بالله تعالى على قدر سعة البشر المرسل إليهم قال تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) وقال تعالى (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً) وقال تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ومع تقديمنا لك هذا الموجز المختصر نبين لك أن الأولياء ليسوا على درجة ولا درجات تعد بل سبحان من لا يحصيها إلا هو إذ منهم المحبوبون . ومنهم المحبون ومنهم المكرمون ومنهم المختارون ومنهم المجذوبون وهم أنواع لا تحصى ومنهم الراضون . ومنهم المرضيون ومنهم العاشقون ومنهم المعشوقون ومنهم المقربون ومنهم المشاهدون ومنهم البله وهؤلاء كلهم أولياء لله تعالى ولكنهم لم يكلفوا بشىء من أحكام الدنيا وإنما الذى يدخل تحت حكم أحكام الدنيا إنما هم الأقطاب والعمد والأوتاد والأخيار والرجال والأحبار والنجباء والبدلاء والنقباء وهؤلاء يعطون تنفيذ أوامر الله تعالى فى الأرض بإذن من الله عز وجل الذى قدمنا فيه قول العارف :

بهم تصرفه فى الكائنات فما   يشاء شاؤا وماشاؤه يقضيه

ماجاء عن الأقطاب والأوتاد والأبدال والنجباء

من أن منهم من يصلى بعيسى بن مريم ومن أن منهم من حاله كمال الملائكة فى الاستغناء عن الطعام بالتسبيح ويقاتلون أعداء الله فى الحروب

قال العلامة السيوطى فى باب اختصاص حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم إن طائفة من أمته لا تزال على الحق ـ أخرجه الشيخان عن المغيرة بن شعبة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله » .

وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال « لكل قرن من أمتى سابقون » .

وأخرج عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « فى الخلق ثلثمائة قلوبهم على قلب آدم ولله فى الخلق أربعون قلوبهم على قلب موسى ولله فى الخلق سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم ولله فى الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل ولله فى الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل ولله فى الخلق واحد قلبه على قلب إسرافيل بهم يحيى ويميت ويمطر وينبت ويدفع البلاء » .

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أنس قال قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « لن تخلوا الأرض من أربعين رجلا مثل خليل الرحمن فبهم تسقون وبهم تنصرون مامات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر ».

وأخرج أحمد في مسنده عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال « الأبدال في هذه الأمة ثلاثون مثل إبراهيم خليل الرحمن كلمامات رجل أبدل الله مكانه رجلا » قال أبو الزناد لماذهبت النبوة وكانوا أوتاد الأرض أخلف الله مكانهم أربعين رجلا من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يقال لهم الأبدال لا يموت الرجل حتى ينشيء الله مكانه آخر يخلفه وهم أوتاد الأرض قال السيوطي وقد بسطت الكلام على ذلك في تأليف مستقل .

وأخرج أبو يعلى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « لا تزال أمتي ظاهرين على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم فيقول إمامهم تقدم فيقول أنت أحق بعضكم أمراء على بعض أمر أكرم الله به هذه الأمة » الحديث أخرجه مسلم بنحوه وفيه يقول أميرهم « تعال صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء يكرم الله هذه الأمة »

وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم » .

وأخرج أحمد بسند صحيح عن عائشة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر جهدا يكون بين يدى الدجال فقالوا أي المال خير يومئذ؟ قال غلام شديد يسقى أهله الماء وأما الطعام فليس قالوا فما طعام المؤمنين يومئذ؟ قال التسبيح والتكبير والتهليل :

وأخرج أحمد من حديث أسماء بنت يزيد نحوه وفيه يجزيهم ما يجزى أهل السماء من التسبيح والتقديس .

واخرج الطبراني من حديث أسماء بنت عميس نحوه وفيه إن الله يعصم المؤمنين يومئذ بما عصم به الملائكة من التسبيح . وأخرج الحاكم من حديث ابن عمر نحوه اهـ

ظن الكثير من الناس أن ليس هناك أحكام باطنية تصدر عنها أحكام ظاهرية وقال: إنه كلام باطل ؟ نعم باطل في عقله ومن علمه به . كيف يظن إنسان أن الله تعالى الظاهر الباطن الذى قال تعالى (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) وقال تعالى (ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن) وقال تعالى

(قل إنما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق) فكيف يكون له تعالى حكام من الأرض من أمير إلى خفير ولا يكون له كذلك من خواص أحبابه يظهر على أيديهم نعمه حتى يكونون عارفين بمواقعها و بمصادر أمرها ممن بيده الحركة والسكون وملكوت كل شىء فلهم دولة وحكام وأحكام واجتماع عام لما يصدر فى جميع بلاد العالم ولولاهم لا نقلب الناس وحوشا ضارية يأكل بعضهم بعضا ولكن بهم لا يصدر إلا مابه الأمن والأمان والطمأنينة بين العباد والاعتدال حتى ما يصدر بينهم من الحروب لا يكون إلا لردع المتعدى والتزامه حقوق أخيه الإنسان ولا يحصل هذا إلا بانعقاد مجلسهم وتقريرهم فيه كلما يدور فيه من البدء للنهاية . وأيضا كلما يحصل بين أفراد بعض الناس فى البلد الواحد من المنازعات والخصومات والقضايا ولا يكون الشأن فيه باطنا إلا كذلك حتى من يوظف ومن يرقى فى وظيفته من درجة إلا كذلك وانتقال كل إنسان من مكان إلى مكان بل من بيت إلى بيت أو من دكان إلى دكان ومن عمل إلى عمل ومن تجارة إلى تجارة إلا كذلك بالمجالس الفرعية المحلية وهذا شوهد منهم وعنهم ومن كان له فى هذه الدنيا أمرهام فإنه يرى كذلك هذا. ولهم فى بلاد العالم ولو كفارا رجل من رجالهم من الثلثمائة النقباء يقطن فيه مراقبا لأوامر الله تعالى فيه فيقوم بما يؤمر به ويؤدى ماوجد هنا لأجله وحالهم فى هذا الشأن كحال الحفظة على كل فرد من أفراد بنى البشر يحفظونه بأمر الله . ومن جهل شيئا عاداه : ولقد حدثنى شيخى فى القرآن . فقال: بينما نحن جلوس عند الشيخ الحصرى رضى الله تعالى عنه وإذا برجل افندى قادم وقبل أن يصل للشيخ قال الشيخ نقلناه نقلناه قال سيدى جزاك الله كل خير ولكن أريد أن أسلم عليك فسلم وجلس فقلنا له ما الخبر قال عينتنى الحكومة المصرية سفيراً بأمريكا وكنت متألما هناك وكان سكنى فى بلد كذا وعملى فى بلد كذا ومابينهما مسافة كيلومتر فكنت أمشيها ذهابا وإيابا ففى يوم وأنا فى وسط الطريق شعرت برجل ورائى ولكن اعترانى خوف شديد وأنا فى وسط الطريق بين البلدين ولا أحد بالطريق غيرنا فوقفت فوقف ومشيت فمشى فوقفت فوقف وقال أتحب أن ترجع إلى مصر قلت نعم قال على شرط أنك تذهب إلى الشيخ الحصرى فى المغربلين وتقول له ينقلنى من هنا قلت نعم قال جهز نفسك ستسافر يوم الخميس ورجع من ورائى وفى يوم الأربعاء جاء لأمر بسفرى فسافرت يوم الخميس وحضرت لأبلغ الأمانة : فهؤلاء لم يخل الله تعالى منهم جميع بقاع الأرض وقد جمع بعض أفاضل الأمة وعاد يتوسل بهم إلى الله تعالى فى الدعاء وقال مانصه ــ اللهم إنى أسألك وأتوجه

إليك بجاه نبيك صلى الله تعالى عليه وسلم وبواحد قطبك وثلاثة عمدك وأربعة أوتادك وخمسة أخيارك وسبعة أحبارك وعشرة رجالك وأربعين بدلائك وسبعين نجبائك وثلثمائة أخيارك أن ترضينا برضائك وتصبرنا على بلائك وقضائك وترزقنا شكر نعمائك وتشفنا بشفائك وتداونا بدوائك وتجعلنا من أوليائك ولا تطردنا عن بابك برحمتك يا أرحم الراحمين إلى آخر الدعوة وهى ما تسمى بدعوة رجال الغيب ورجال النصر والاستغاثة والاستنصار وقد أفرد سيدى محي الدين بن العربى مؤلفا خاصا بهم وجعل لهم دائرة عرف فيها أن الله تعالى جعل لهم فى كل ليلة من ليالى الشهر اجتماعا فى مكان خاص فى دائرة الدنيا فالمتوسل بهم بعد أن يصلى ركعتين لله تعالى يكون عارفا جهة اجتماعهم فيستجاب له وهذا بتوفيق الله تعالى . قد قلنا لك إن مجلس أهل الباطن لا يعرفه إلا من كان منهم أو ممن رأى شيئاً منهم وعنهم وإليك واقعة خال طريفة فيها بيان عمل المجلس العام وفيها بيان عمل من هو مسند إليه الحفظ فى دائرته الخاصة وهى أن المرحوم الشيخ عبيد صاحب دكانين العطر الذين هم أول دكانين على شمالك وأنت داخل الجزاوى بجوار مسجد الاشرافية وهو والد المرحوم الشيخ عبد الرحمن والشيخ حسن جد الأفندية الموجودين الآن قال يوماً وأنا أسمع منه مشافهة لأشراف كانوا جلوسا عنده هذا مالكم يا أهل البيت والله مالى فيه شىء وإليكم البيان وهو أن أحد ذوات مصر الأغنياء كان يعطينى خمسمائة جنيه مصرى أسافر بها أشترى بها قمح وفول وعدس وأجىء لبيعها فى مصر وأسلمه الثمن فى كل سنة وهكذا سنين على هذا الوضع وجئت فى آخر سنة وبعت ولا أعلم أين ذهبت الفلوس ولا أدرى أين ضاعت منى فبقيت مدة حيران لا أستطيع مقابلة صاحبها وأنا مختف منه وعنه وأصبحت ولا شىء عندى أبدا فقالت أم عبد الرحمن أخرج ابتغ لنا شيئاً فخرجت وجئت إلى السيدة زينب وأنا خارج عند الباب وإذا بالبيه صاحب الفلوس على الباب فأمسكنى وأخذ يقول ويعيد اجتمع الناس علينا وأخذ الناس يرجونه وهو يقول لا إلا بضامن فقلت تضمنى السيدة فقال نعم مستهزئا لا أنا عاوز ضامن يدفع لى إذا تأخرت فرجوه الناس وتركنى فرجعت فدخلت المسجد وأنا ذاهل من الصدمة فدخلت المسجد وجلست فى الصف الأول حتى صليت الظهر وأنا فى دهشة غريبة وصليت العصر وصرت جالسا حتى صليت المغرب والعشاء وأنا لا أستطيع القيام للخروج حتى أطفأ خدم المسجد الفوانيس ولم يعلم أحد بى إلى بعد ساعتين بعد العشاء واستنار المسجد استنارة طبيعية كنور قبل طلوع الشمس يعنى كل واحد يعرف صاحبه من بعيد وأخذ الناس يفدون داخل المسجد كيوم الجمعة حتى ظننت أنه امتلأ وعرفت فيهم الشيخ عيسى الذى كنا حقا نراه كثيرا وكثيرا كان يشتم ويدع ولا أحد يعرف يشتم من ولا يدع على من وحقا رأيناه كذلك

وكان لا أحد يهواه ولا يجيء جهته ونسا ملء المسجد خرجت السيدة زينب رضي الله تعالى عنها عليهم من ناحية القبة فقاموا جميعا وجلست وجلسوا وقام واحد بيده كشف مكتوب يقول فيه مصر ياسيدتي تقول يقضي فيها بكذا وكذا اليمن ياسيدتي يقضي فيه بكذا وكذا وهكذا جميع بلاد العالم حتى انتهى الكشف قالوا خلاص السيدة هنا واحد من يقضي له خمسمائة جنيه قالوا أمرك ياسيدتي قالت سلوه يعرف في هذا المجلس فسألوني قلت أعرف الشيخ عيسى قالت السيدة ياشيخ عيسى وقف وقال نعم سيدتي قالت اقض له الخمسمائة جنيه قال حاضر سيدتي ثم قامت السيدة إلى ناحية قبتها وأخذ الناس ينصرفون وبعد أن انصرفوا رجع المسجد إلى ظلامه من الليل الشديد كما كان قبل المجلس قال وصرت جالسا حتى جاء خدم المسجد قبيل الفجر وأضاءوه قمت وتوضأت ورجعت مكاني حتى صليت الصبح وقمت دخلت القبة وجلست زائرا وأنا متحير هل هذا مناما أم يقظة حتى طلعت الشمس وفكرت أني أزور سيدنا الحسين رضي الله تعالى عنه وأرجع أروح البيت وعند بوابة المتولي رأيت الشيخ عيسى واقفاً كعادته يشتم فمشيت نحوه وقلت السلام عليكم ياشيخ عيسى صرخ في وقال انتظر فرجعت عنه وعرفت أن الأمر حقا وبينما أنا واقف وإذا بخادم يحمل على رأسه صينية نحاس فيها طعام مغطا فضرب الشيخ عيسى الصينية بعصاه قلبها في الأرض وجعل يدعكها برجليه ويقول بنت الكلب عايزه تموت الرجل وهي تضع يدها على الأولاد والأموال وأنا واقف أعمل إيه هنا والتفت لي وذهب إلى الضرب الأحمر وأنا وراءه إلى المحجر إلى التلعة ووراء القلعة وقف وقال لي افتح حجرك وهو يجمع من الحصى وأنظره في يده حصى أبيض ورماه في حجري فإذا هو ذهب جنيهات مصرية وقال لي عد فأعددته مائتين وخمسين جنيها قلت له مائتان وخمسون فوجدته مائتين جنيها فقال افتح حجرك في ناحية ثانية ففتحته وجمع من الحصى مثل الأول رماه في حجري فصار جنيهات ذهب وقال لي عد فعددته فإذا هو مثل الأول فقلت ياعم الشيخ عيسى جنيه واحد نصرف منه فأخذ يشتم وتركني ومشى فأخذت المبلغ وتوجهت إلى منزل البيه لأقول له ها هو ضمان السيدة وجئت إلى منزله وبمجرد أن شعر بمجيء نزل يبكي وهو يقول هو حرام على حلال لك تعال معي وقل لها سمحيه لا أرجو منك غير ذلك وتوجهنا للسيدة وهو يبكي وأنا أقول لها سمحيه ويكرر في هذا اللفظ وأنا أكرره معه ثم قال ها أنا معه حتى أقضي له ما أمرني به وأخذني وجئنا إلى هنا وقال لي رأيت الليلة كأني مار على كوبري على بحر فسقطت من على

الكوبرى فى البحر ورأيت السيدة واقفة فقلت لها يدك ياسيدتى فقالت وهل نحن ننفع أحداً فقلت لها تبت ياسيدتى فأخذت بيدى وأخرجتنى من البحر ثم قالت أنت غنى عن هذا المبلغ وهو يجىء به إليك باكر فلا تأخذه منه وقل له يفتح به محلا لبيع العطر فجئنا هنا فوجدنا هذين الدكانين خاليين فاستأجرهم ستة أشهر ودفع الإيجار وانصرف هذا ممن عاين المجلس الباطنى وها هو الشيخ عيسى الذى قام بدفع موت الرجل وخراب بيته ثم قال الشيخ عبيدها هو مال أهل البيت وقد اشتريت منه مائتى فدان وتبين فى شبرا

وإليك منى وعنى بأنه لا يصدر شىء فى الظاهر إلا ويكون مسبوقا بحكم فى الباطن ولا يكون فى الظاهر إلا على مقتضى ما يصدر فى الباطن وإليك البيان وهو أنه ذهب بى أبى رحمة الله تعالى عليه إلى مستشفى الرمد وبعد أسبوع قرر أربعة من الأطباء لابد من عمل عملية لقاع العين من الغد باكر بدرى وردونى إلى سريرى وفى تلك الليلة رأيت ثلاثة من الأطباء كشفوا على عينى ووضع أحدهم أصبعه فى عينى لآخر العين ولم أشعر بألم وقالوا القاع سليم ولاداعى للعملية وتشفى من باكر فلما أصبحت أخذونى لقاعة العمليات وكشفوا أيضا وقالوا لاداعى للعملية وقد كان من يومها أخذت تتماثل للشفاء هذا وهاهم حكماء الجراحة بمستشفى الدمرداش بالعباسية أخذونى لعملية البرسطاته بالمستشفى وفتحوا بطنى ووضعوا فيها خرطوما لنزول الماء من الحوض ومكثت شهراً وأنا فى منتهى الألم لذلك فطلبت الخروج لأعمل العملية عند أى أحد حدثنى الناس عنه فقال الطبيب الصالح إبراهيم الوكيل نحن أشفق على المريض من نفسه لنظره فيما بين يديه من القواعد العلمية وهى وأنه لو عملت لى العملية لمت تحت السلاح وذلك لعدم افراز الكليتين ولما رآنى متألماً ومصمما على الخروج من هذه المستشفى كتب لى على حزام وأخرج مقدار شهر ولما يصلح شأن الكلى أرجع أعمل العملية واستحضرنا الحزام فعلا ورأيناه لاينصلح ورأيت فى تلك الليلة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لى إعمل العملية وأنا أحضرها فأصبحت قلت للدكتور إبراهيم الوكيل مدير قسم الجراحة بالمستشفى وأخبرته خبر ما رأيت فتعجب العلم يقول لو عملت له العملية يموت تحت السلاح، ورسول الله يقول إعمل وفعلا كتبنى للعملية غداً وثالث واحد فى العمليات والدكاترة يعارضونه فى العملية قائلا إن كان صادقا تكون تجربة ويكون رجلا صالحا وإن كان كاذبا نريح العالم منه وفعلا بدأ بى فقال الدكاترة هو آخر واحد حتى لو مات نكون انتهينا قال

هاتوه هو الأول وفعلا بدأ بى وكانوا جميعا فى منتهى الدهشة وقد أخذ الله تعالى بيدى. ببركة سيد العالمين اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . هذه هى أحكام الباطن والظاهر ياأيها المكذب نسأله التوفيق لما يرضه ويطهر عقائدنا من الزيغ.

وإليك ماحدثنا به شيخنا الشيخ محمد عنتر المطيعى أنه جاء رجل من بلده فقيل له هو فى السيدة زينب فتوجه إلى هناك فوجد الشيخ هناك فقال له اليوم حجز على الما كينا وفدانين على مبلغ ثلاثين جنيها وجئتك ولا يعلم بى أحد فأعطنى هذا المبلغ لمدة شهر وتضمنى السيدة وأخذ يلح على الشيخ ويقول تضمنى السيدة فقام الشيخ بعد صلاة العشاء وتوجه به إلى المنزل وأعطاه الثلاثين جنيها ومضى الشهر ولم يسأل عنه فأرسل له جوابا مسجلا فلم يسأل عنه فجاء الشيخ إلى السيدة وقال لها الضامن غارم وجاء بعد أسبوع أيضا وقال ياسيدة الضامن غارم وجاء بعد أسبوع ثالث وقال ياسيدة الضامن غارم ولم يزد على ذلك شيئاً وبينما هو جالس فى مسجد المؤيد يدرس وإذا ببواب المسجد قال للشيخ كلم فقام وتوجه فإذا بسيدة فى عربة فمدت يدها فناولته قرطاسا فأخذه وهو داخل فإذا به الثلاثون جنيها فجاء بعدها وقال المبلغ وصل ياسيدة رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم وجعل الجنة متقلبهم ومثواهم .

وإليك ما حدثنا به شيخنا الشيخ حسن عرفه عن شيخه الشيخ المشهور الذى عاصرناه أخيرا إذا الكرامات المشهورة وهو أن أحد طلاب العلم بالأزهر أودعه ثلاثين جنيها مصريا لأجل أن يتزوج بها إذا ما وجد المناسب له فاستأذنه الشيخ لو احتاج يأخذ منها فقال الطالب ولو الجميع فوضع الشيخ يده فيها فصرفها وجاء الطالب بعد حين يطلب من الشيخ المبلغ لأنه وجد المناسب فكان للشيخ من المخلصين فى حبه أحمد باشا ومحمد بك السيوفية من تجار مصر وقص عليهما أمره فنظر كل للآخر وقالا علينا حوالات كبيرة فقام الشيخ من حينه منصرفا وقال لا يقضى هذا المبلغ إلا الإمام الشافعى فتوجه إلى هناك وقبل أن يصل إلى الشارع الموصل إلى الإمام الشافعى وإذا برجل نازل من الجبل جهة العرب وهو ينادى ياشيخ قف قال الشيخ فوقفت وقال لى أنت شافعى قلت نعم قال المسألة كذا فى مذهب الشافعى ما هى قال الشيخ كأنى لا أعرف من المذهب إلا هى فقال أنت شافعى صحيح ثم قال خذ وناولنى قرطاسا ورجع فعددته فإذا هى الثلاثون جنيها فالتفت للامام الشافعى وقلت كنت زدها ولو جنيها واحدا ورجعت سلمت المبلغ للطالب وهكذا ومثل ذا كثير لا نستطيع ذكره والله الموفق لمن يشاء .

الفصل الثامن

فى بيان المخالفين لجميع الصالحين من المسلمين المؤمنين

وأول من بدأ به فى جميع البرية وقد يجرى الله على أيديهم خرق عادة.

لايخفى عليك أن أول من أسس الشر والمخالفة فى البرية إبليس اللعين وهو القائم بمضادة الأنبياء والرسلين ومن على قدمهم من المؤمنين المسلمين . إذ ليس له فى الوجود إلا منازعة ومعاداة أهل الحق وأتباعهم ـ وإلهامه المخالفين الشر وفتح أبواب الزيغ والضلال لهم وعليهم ليكونوا من حزبه بالتأويل فى المخالفة وتلبس أسباب السوء بالعداوة . إذ عداوته لآدم وبنيه ثابتة بالعقل والنقل ـ وسببها الحسد ولذا قال أحد العقلاء :

كل العداوة قد ترجى إزالتها   إلا عداوة من عاداك عن حسد

ولاتظهر تلك العداوة والمشاحة إلا ممن جعل الله استعداد تكوينه قابلا لذلك من الفرق الزائغة عن طريق الحق وأهله فتراهم غير متفقين حتى فى زيغهم هذا فيجتمعون فى ناحية من الضلال ويفترقون فى أخرى منه وكل واحدة منهم تكذب الفرقة الأخرى المخالفة لها. مع العلم بأن الحق واحد ولم يختلف فيه أهله . ولا تنازع بينهم فيه . لكى تعلم منهم الفرق بين الحق وأهله والفرق الضالة وأهلها ـ إذ أن أهل الحق أمة واحدة ـ وأهل الزيغ فرق كثيرة كما حدث عنهم الصادق المصدوق صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث الصحيح المروى عند أصحاب السنن والمسانيد قال « افترقت المجوس إلى سبعين فرقة وافترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى إلى ثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتى إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة ـ قالوا ما هى يا رسول الله . قال السواد الأعظم » وفى رواية « الجماعة » وفى رواية « ما عليه أنا وأصحابى » فأنت ترى المخالف يعادى من على الحق بدون مبرر ولا مسوغ . ويعترض الحق وأهله ويكتب وينشر طاعنا فى أهل الخير ظنا منه أنه على الحق وهم على غيره مستدلا بالكتاب والسنة على حسب هواه غير مبال بالمفارقة والمخالفة متلبسا الشر والفساد المضادة للحق وأهله . بما يوحيه إليه ذلك العدو الأصلى المحيط به . اللهم له . الذى لا يراه . بل يظن أنه من ذكائه ونبوغه .

وقد عمى عن أن هذا لا يصدر إلا عن ابليس اللعين الذى لا يصدر عنه إلا الشر والشر كل الشر فى المخالفة وهو العدو لبنى آدم عامة . والأنبياء والمرسلين واتباعهم خاصة ولم يفطن لقوله جل علا (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون)

فلو عقل وبصر لعرف أن كل ما يدعيه ضد الحق وأهله والقائمين به — ماهو إلا عين الشر ولا يأتى الشر إلا من المضاد للخير وهو إبليس . لنزع ولم يرض أن يكون هو من أتباعه وحزبه قال تعالى (أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون)

إذ كل عاقل يعرف أن كل رسول لا يدعو إلا إلى الخير ومن تبعه من المؤمنين ومن خرج عنهم فيكون معارضا للرسول ولا يعارضه ويعاديه إلا أهل الشر ومصدر الشر لم يكن إلا عن طريق إبليس عليه اللعنة كما هو صريح القرآن الذى هو مصدر بيان كل ذلك قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا) نسأل الله تعالى أن يحفظنا منهم ومن شر أتباعهم

وما جاء الكتاب العزيز والسنة المطهرة عن هؤلاء المخالفين من بيان خالقهم جل وعلا وسبب نزول القرآن فيمن كانوا ومن يكونون على شاكلتهم إلى يوم القيامة من الكفار والمنافقين وأهل الزيغ والضلال والالحاد والمارقين عن أهل الاجماع والخوارج من جميع أهل الفرق ممن بينا وسنبين كما قال تعالى (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب) وقال تعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون) وقال تعالى(ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) وقال تعالى (الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا) وقال تعالى (ومنهم من يستمع حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) فالمتبادر من هذه الآيات القرآنية الصالحة لكل زمان النازلة بالأسباب فهى شاملة لجميع فرق الزيغ والضلال وأهل الأهواء من الخوارج وغيرهم على ما حققه وخرجه كبار أئمة التفسير الفخر والقرطبى وغيرهما

وأنهم لا يزالون كذلك وقد جاء في السنة المطهرة ما بين ذلك وها هو ما رواه أبو داود في سننه من حديث معاوية ابن أبي سفيان عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال « ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وأن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله قال العلامة القرطبي في تفسيره للقرآن الكريم في الجزء الرابع عند قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) صحيفة ١٦٠ بعد الحديث المستدل السالف به الذكر . فقد ظهر لنا من أصول الفرق ـ الحرورية ـ والقدرية ـ والجهمية ـ والمرجئة ـ والرافضة ـ والجبرية ـ وقال بعض أهل العلم أصل أصول الفرق الضالة هذه الفرق الست . وقد انقسمت كل فرقة منها إلى اثنتى عشرة فرقة فصارت اثنتين وسبعين فرقة وقد بينها فرقة فرقة إلى آخرها ومن أراد ذلك فعليه بكتب الملل والنحل أو الفرق بين الفرق اهـ ثم إن الله تعالى قد يجرى على أيدي الكافرين والمنافقين والضالين خرق عادات ولكن لا على سبيل الدوام والاستمرار بل قد تكون كما بين سبحانه تعالى لهم على سبيل الاستدراج قال تعالى (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) أو على سبيل الإملاء قال تعالى (وأملي لهم إن كيدي متين) أو على سبيل التخويف وكل ذلك على سبيل الإهانة لهم قال تعالى (فمهل الكافرين أمهلهم رويدا) ومنها ما يصدر بطريق المصادفة وهذا نادر والنادر لا حكم له . ثم إنه لا يوجد لصوفي أو متصوف الآن كرامة أفهل يوجد لكافر الآن كرامة . ألا وأن الكرامات قد دثرت مع أهلها الذين شاهدناهم أما وإني لأبحث عن رائحة هؤلاء الآن فلم أجد واحدا منهم إلا المصطبحين بالعفاريت فهم كثيرون ولذلك ترى الحال كما ترى رجال كما ترى ودينهم في القهقرى نسأل الله تعالى العفو والعافية وأن يسلمنا من حال أولياء وشيوخ هذا الزمان . إليك واقعة حال عملت مشيخة الصوفية المصرية ندوة في دار الإذاعة للتكلم عن التصوف والصوفية ودعوني وذهبت فلم أجد إلا شوبا من الأفندية الذين لا علاقة لهم بالتصوف والصوفية اللهم إن كان قد قرأ عنهم شيئاً في الكتب ولذا تجد كل واحد منهم يتكلم بتكلف .

ومن أعجب الأمر أنهم جعلوا حكما في هذه الندوة شيخ الصوفية وأستاذا ضريرا يقال له الدكتور محمود يقلد طه حسين وقد اشترطت المذيعة على المتكلم أن لا يزيد عن دقيقتين والحكم يتكلم نحو ربع الساعة كلاما بعيدا عن التصوف والصوفية ويأتي بكلام أخ سيف الدولة وينسبه للسيدة رابعة العدوية وكلام سيدي عمر بن الفارض ما فائدة السامعين لهذه الأشعار التي ليست من أخلاق الصوفية ولا من مكارم أخلاقهم ولا كرمهم

ولا من حسن مكارم أخلاقهم ولا فى عيشهم وزهدهم وإقلالهم من زخارف الدنيا حتى يقتدى بهم فى الأقوال والأفعال منهم الرجال من الصدر الأول والنساء فكأن التصوف لم يصدر إلا عن السيدة رابعة وسيدى عمر بن الفارض قال هؤلاء والتصوف حتى يتكلموا فيه وهم عنه بعيدون حتى الأسئلة كانت خالية عن معنى التصوف وصفات الصوفية وإن أخلاق الصوفية هى أخلاق سيدى العالمين وأخلاق الأجلاء من الصحابة والتابعين والعلماء العاملين الذين عناهم الله تعالى فى قوله عز وجل (والصالحين) قال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) راجع تفسير الألوسى والفخر والقرطبى وغيرهم لولا خشية الإطالة لجئتك بكل ذلك .

لفت نظر

فى معرفة أشياء تجرى على أولياء الشيطان تجب معرفتها

لا يخفى على ذوى البصائر النيرة أن أشياء تجرى على أيدى بعض الناس يظن الجاهل أنها كرامات أو أمور خارقة للعادة لأجل أن يعتقد فيمن تجرى على يديه الصلاح والتقوى وما هو فى ذلك فى شىء وهى أمور كثيرة نبينها لك مفصلة ليتبين الخبيث من الطيب وسبب ذلك أن الأمة الإسلامية افترقت إلى ثلاث وسبعين فرقة كما بيناه كثيرا لما استفيد من بيان الصادق المصدوق صلى الله تعالى عليه وسلم من قوله الشريف « افترقت المجوس إلى سبعين فرقة وافترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى إلى ثنتين وسبعين فرقة وافترقت أمتى إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة قيل ما هى يارسول الله قال ما عليه أنا وأصحابى » وفى رواية قال « الجماعة » وفى رواية قال « السواد الأعظم من المسلمين » فقد عرفنا أن الأمة الإسلامية منها فرقة واحدة ناجية وهى بالنسبة لتساوى الفرق فرقة فرقة طبعا هى التى تكون أكثر فرقة وأكبرها إذا هى التى يطلق عليها السواد الأعظم والجماعة فتكون هى خير عاملة بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وهى التى ينطبق عليها ما كان عليه صلى الله تعالى عليه وسلم إذا تكون هى الأمة الناجية بمقتضى البيان الشريف وعليه فالثنتان والسبعون فرقة كلها خارجة مارقة وإن كان الله تعالى لفتهم النظر لذلك فى كتابه العزيز ونبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن أبوا إلا أن يكونوا كذلك لحكم عالية اقتضتها الحكمة وحسن الاختيار منه سبحانه وتعالى وكل واحدة من هذه الفرق تعتقد أنها على الحق وما عداها على الباطل ومن

المقرر عقلا ونقلا أن الحق واحد ولا يتجزأ إذا لابد وأن يكون فى جانب واحدة دون الأخرى ويعرف ذلك من بيان الحكيم العليم سبحانه وتعالى فى قوله العزيز (كنتم خيرأمة أخرجت للناس) وفى قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطالتكونوا شهداء على الناس)ومن المعلوم أن الأمة التى يستحيل تواطئها على الكذب المعصومة بدعوة نبيها صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله الشريف« سألت ربى أن لا تجتمع أمتى على الضلالة فأعطانيها » وفى قوله « يد الله مع الجماعة ومن فارق الجماعة قيد شبر ـ وفى رواية ـ قيدشعرة فقدخلع ربقة الإسلام فى عنقه »وفى قوله «يدالله على الجماعة ومن شذشذ فى النار» فالأمة التى لوقابلناها بأية فرقة لاتكون إلاهى الأكثر . مع أن كل فرقة على حدتها لاتجدهامتحدة من كل الوجوه بل لابد وأن يكون فيها الخلاف بين أفرادها خصوصا فيماهم عليه ويخطىء بعضهم بعضا فكيف يكون أمثال هؤلاء على الحق وماهم من الحق فى شىء . فإذا عرفت ذلك فاعلم أن كل فرقة من هؤلاء فيهم طائفة تدعى أنها هى التى تعلم بالتصوف فى الإسلام وهذا فى نظرهم ونظر الجهال مثلهم كالبوزية والقرامطة والشيعة والبهائية والقاديانية وكثير وأكثر ما يكون فى الهند وغيرها وإليك بيان أصل شعوزتهم وإن تعددت المصادر ولكن أصلها واحد وهى شياطين الجن يسلكها بالرياضيات والاشراقيات حتى يسطحب بشيطان من الجن يكفره أولا ويتعد معه على إظهار الكرامات وخرق العادات والإجابة بالمغيبات حتى يظن كل جاهل من الأولياء الكبار وبعضهم يعطيه لقب قطب الوقت وهو ولى الشيطان ويموت والعياذ بالله تعالى على غير الإيمان والإسلام وخاصة إذا ظهر أنه شيخ طريقة والمغفلون من أتباعه يعملون له مولدا فى كل سنة ولانشقاق أتباعه يكثر الخلاف والشقاق بين طوائف الالحاد ومنهم ينطق الشيطان على لسانه فيظن أنه يفاض عليه من الله حاشا لله أن يخلط أولياء الشيطان بأولياء الرحمن والفارق بينهما أن ولى الشيطان يستحيل أن يصدق على الدوام بل لابد له من الكذب والخطأ وأما أولياء الرحمن فمستحيل خطأهم وعدم صدقهم وهذا هو الفارق الذى لا يخفى على أحد من ذوى البصائر النيرة . وأيضا من على شاكلتهم أهل الودع والرمل والكوتشينة والفنجال والنوى والبن وما شاكل ذلك فلقد حدثنى شيخى بقوله هذا يكون على ألسنتهم نوع من الجن يلهمونهم ذلك كما يلهمون الشعراء بالشعرالذى يقولونه كما هو ثابت فى صحيح السنة كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم فى حق سيدنا حسان« اللهم أيده بروح القدس» لأن لكل شاعر مؤيدا على لسانه من الجن . الإحسان لحصلت له بركة دعوة النبى

اللهم صل عليه وآله وكذلك طوالع الزايرجة والرمل وإن كان الطوالع والرمل الأصل فيهم علم وأين أهله فيضافوا إلى أولياء الشيطان كذب المنجمون ولو صدقوا ومنهم من يضرب على أستهوياتى بالأشياء من البلاد النائية البعيدة ومنهم من يركب فى القطار بدون تذكرة ولما يأتى الكمسارى يتناول من الهواء التذكرة ويناولها الكمسارى سواء كان هو منفردا أو معه آخرون ويعتقد الناس فيه أنه ولى ويطلبون منه الدعاء وهو كافر لأن الشيطان لم يعاهده على ذلك إلا بعد أن يكفره بالله والعياذ بالله تعالى وأسعد شىء للشيطان فى الحياة أن يكفر آدميا وهو ما خلقه الله تعالى إلا لإحداث السرو همة ذلك ومنهم من يرسل حبلا فى الهواء ويتناوله ويطلع فيه فى الهواء ومنهم من إذا رأى شخصا يتكلم معه بما حصل له فى منزله وبما حصل له من الحوادث التى لا يعلمها إلا هو ومنهم من يخبر بما فى نفس الشخص المقابل له ومنهم يعمل بالخنقطاريات العجايب ومنهم من يعمل بالدكيات ما هو أعجب ومنهم من يعمل بالتباخير ماهو أغرب وقد شاهدنا كل ذلك الذى لا يصدر إلا عن معاهدى الشياطين وقد حضرنا من يدعى إحضار الشياطين على نفسه أو على واسطة كل ذلك كذب وتضليل لأجل جمع المال وجمع المحبين له حوله ليشتهر بالسمعة وحب المحمدة والذكر له بالحسنى وهو أهوى من بيت عنكبوت ومنهم من يحضر الشياطين بالصور والخيالات ويصفون للناس أدوية للمرضى وحجبا لقضاء الحاجات ومنهم من يشتغل بتحضير الأرواح وهو من أكذب الأكاذيب وأسخر السخريات وقد شاهدنا فاعلها والقائمين بذلك فكنت أكون فى منتهى الدهشة والاستهزاء مع مجاراتى لهم حتى أتبين النتيجة فإذا هى كلام فارغ فى فارغ وخيالات شيطانية لا حقيقة لها لأن الله تعالى يقول فى الروح (قل الروح من أمر ربى) يعنى هى إحدى العوالم لله عز وجل وقال تعالى فى مآلها (عليين وما أدراك ما عليون) وهى أرواح المؤمنين وقال تعالى فى أرواح الكافرين (فى سجين وما أدراك ماسجين) وكلاهما لا تخرجان من مقرهما إلا إذا نفخ إسرافيل فى الصور كما هو صريح القرآن الكريم وبيان السنة المطهرة وفهم من يعمل من الكتابة فى السلة فمن اختلاج حركة الأعضاء كحركة العين وتحريك الرجل والكف وغيرها ومن تعود الشيطان على الشخص لعله تكون عنده عادة وسوسة ليفسد عليه عقله ودينه ومنهم من يعمل السيميا ليخطف بها عقول الناس وأشد من ذلك كله السحر إذ له التأثير العجيب والأمر الغريب كما جاء القرآن الكريم وبيان السنة المطهرة ولا تنس الحاوى الذى يزرع القمح ويخرج الأرانب فتأكله كل ذلك من عمل الشيطان ويمكن ابطاله فى أثناء عمله ومن الرجال

والنساء من يحضر عليهم الشيطان ويغير اسمه لأجل أن يعتقد ومن ذلك الحسد الذى إذا شاء فاعله يظهر أثره فى الحال كما جاء فى القرآن الكريم والسنة المطهرة وذلك أن الله تعالى خلق فى أنفس بعض الناس الاستعداد لقبول الشر لا يصدر لا عن إرشاد الشيطان فإذا توجهت نفسه لشىء تريد الشر فإنه يحصل فى الحال . ومن ذلك ما يسمونه بالزار وقد سمعت من أحد أشياخنا أن سبب اشتهاره بمصر أن أحد ملوك مصر أصابه مرض وأعيى الأطباء علاجه فكتبوا للرئيس على ابن سينا فحضر وعمل له طالعا وعرف مرضه فأخذ له طالعا عن اليوم الذى ولد فيه فأخذ من جلود الحيوانات المولودة فى ذلك اليوم والكوكب وأعوادا كذلك وصنع منها آلات طرب من طار وبندار ومزمار آ بنغم الكوكب المولود فيه حتى أشجاه وتركه حتى استيقظ من نفسه فقام نشطا وو الاه حتى يرى فكان كل من يراه بعد هذه الجلسة يقول جاء زاره فسموه زارا فصار كل من يعجز عن علاجه يقال اعملوا له زار والشياطين تحب اللهو واللعب فيحومون حول هذه الملاهى والطبل والزمر يرقص الثابت فما بالك بالمهاويس فلا يزالون يرقصون حتى يظهر على ألسنتهم كلام العفاريت فبعضها يصيب وعشرة أمثالها يخطىء . وأما ما يسمونه بالتنويم المغناطيس فهو من الشيطان أيضا بدليل أنه لا يكشف إلا أمامه لا غير وما كان خارج القاعة فلا يعرف فيه شيئا ويتخبط فيه فتارة يصادف وأكثره كذب وإن كان أصله من كشف الصوفية غير أن كشف الصوفية كشف مقدس يرى من وراء البحار ومن فى آخر أقطار الأرض وهو حق صدق وهو من كثرة استغراق الذاكر فى المذكور سبحانه وتعالى فيحصل له وعليه التجلى بإشراق الأسماء الحسنى والكرامات العلى فيرى بنور البصيرة إلا لبصر فلا يرى ما لا يراه غيره وأما النائم بالسبعة فلا يفصل منه إلا أمامه لا غير وما زيد على ذلك فهو تعليم صنعة ولذا كله كذب وقد بينا لك من تبيين الحق عزوجل فى كتابه العزيز والسنة الطهرة أن الله تعالى جعل الجن عدوا لبنى آدم ولا غاية له إلا تكفيره وتضليله أو إخراجه عن الجادة والطريق المستقيم وأنه دائما يتمنى أن يشككه وأول مبدأ منه الوسوسة حتى يجعله لا يثق بشىء ولا أحد حتى بنفسه وأكثر الجن أعداء لأهل حتى يكادوا يشككونهم فيه إلا بتوفيق الله تعالى لهم وحمايته إياهم فيثبتون عليه ليحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون واعلم أن الجن على نوعين مؤمن وكافر ولا يخدمون من نبى إلا اثنين أحدهما من كان من أحباب الله تعالى فيتبارى الصالحون من الجن فى خدمتهم لحب الله تعالى فيهم فهم يحبونهم لحب الله تعالى لهم فيتمنون لهم كل خير وكل سعادة

لراحة قلوبهم فيما يرغبون وثانيهما كل من يرغب من بنى آدم صحبة الجن فيسخر له عفريت من الجن بالطرق المتنوعة المعروفة ويصحبه بشرط أن يكفر أولا قبل أن يخدمه ويفعل له العجائب من خرق العادات وإظهار الكرامات كما هو عليه الكثير من الناس الآن يدعون المشيخة وحب المحمدة ومنهم من لا يصلى ويدعى أنه يصلى فى الكعبة ومنهم من يصلى أحيانا متساهلا فيها نسأل الله تعالى العفو والعافية من معرفتهم ومن معرفة من يفرقهم قال (تعرفهم بسيماهم) صدق الله العظيم .

الباب التاسع

فى الاستغاثة وبيانها فى كتاب رب العالمين وحكمها فى شرع سيد المرسلين وبيان وجه أقوال الضالين فى معناها وما خالفوا فيه إجماع عقلاء الأمة فى ذلك وفيه فصول :

الفصل الأول

فى رسالة ابن تيمية والرد عليه

قد بينا لك فيما تقدم أن ابن تيمية هو أول مؤسس وجامع للأمور الخارجة عن إجماع عقلاء الأمة الإسلامية من فرق الخوارج والضالين فى شتات كتبهم باطلاعه عليها وتحسين ما جاء بها .

أولا : لقبولها العقول المريضة الخالية من علوم الشريعة الاسلامية الحقة واستحسانها فى نظر كل من كان دائبا على مبادىء إبليس اللعين .

وثانياً : لعدم معرفته بأسرار المكونات ولجهله بمعرفة المكون جل وعلا فقال فى رسالته الثانية عشر صفحة ٤٧٠ المطبوعة بالمطبعة الشرفية بمصر سنة ١٣٢٣ هجرية قال فيما بدخله الساحر المعسول الذى من شأنه أن يتسلل به إلى غرضه كما هى عادته فى كتاباته فى جميع رسائله إذ يستفتحها بكلام يبدو لذوى العقول القاصرة أنه يوافق فيه الأمة الإسلامية ثم يتدرج منه إلى غايته وهى ذر الرماد فى العيون ولا يفهمه إلا من نور الله بصيرته وميز بين الحق والباطل فقال فى بدء هذه الرسالة : قد ثبت بالسنة المستفيضة بل المتواترة واتفاق الأمة أن نبينا صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع وأنه يشفع فى الخلائق يوم القيامة وأن الناس يستشفعون به يطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربهم وأنه يشفع له — هذا مطلع كلامه مع أن السائل سأله : هل يستغاث [illegible] الله صلى الله عليه وسلم أو لا يستغاث؟ وهل يحرم؟ أو هو كفر؟ هذا مضمون سؤاله.

فانظر هو فى جوابه استفتحه بالشفاعة التى هى معلومة من الدين بالضرورة بإجماع المسلمين وهل السائل يسأله فى الشفاعة وفى حكمها ؟ أو فيما خص الله به نبيه

دون إخوانه الأنبياء ولكن لا يخفى على ذوى البصيرة أنه يجعل فى كلامه براعة استهلال من طرف خفى يشعر فيها السامع بمقصوده وهى أن سيد العالمين لا يستغاث به كما هو فى نظره بل عقيدته لأنه مخلوق والمخلوق لا يستغاث به بل كل ماله من الكرامة أن اختصاصه بالشفاعة يكون فى الآخرة والدنيا ليست محل شفاعة فى نظره كما سيتضح لك من أقواله قال فى هذه الرسالة صفحة ٤٧١ « وأما من أقر بما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع من شفاعته والتوسل به ونحو ذلك ولكن قال لا يدعى إلا الله وإن الأمور التى لا يقدر عليها إلا الله فلا تطلب إلا منه مثل غفران الذنوب وهداية القلوب وإنزال المطر وإنبات النبات ونحو ذلك فهو مصيب فى ذلك بل هذا مما لا نزاع فيه بين المسلمين أيضا كما قال تعالى(ومن يغفر الذنوب إلا الله) وقال(إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) وكما قال تعالى (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض) وكما قال تعالى (وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله) وقال (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) اه انظر يا أخى ما بين هذه الآيات: وما بين سؤال السائل ما هو إلا تمام المباينة إذ يثبت بمقتضى ما يفهم أن لله أفعالا غير موجوداته ويتلو الآيات التى لا يعقل لها معنى إذ فى قوله تعالى(يرزقكم من السماء والأرض) تمام لفت النظر إلى الأسباب وأنه هو الفاعل فيها جل ذكره ولكن كعاداته فى التمويه والتضليل يقوم بسرد الآيات التى يموه بها على السامع بأنها تفيده فيما يقول ولكنها هى حجة عليه لا دليل له فيها إذ كل آية مما سرد وعد لها معنى خاصا يغاير ما يقول وإليك تلوناته كعاداته فى كفاياته قال فى هذه الرسالة صفحة ٤٧٢ ما يفيد أنه أثبت الاستغاثة ومن المخلوق إذ يقول ولهذا قال العلماء المصنفون فى أسماء الله تعالى يجب على كل مكلف أن يعلم أن لا غياث ولا مغيث على الإطلاق إلا الله وأن كل غوث فمن عنده وإن كان جعل ذلك على يد غيره فالحقيقة له سبحانه وتعالى ولغيره مجاز اه فانظر كيف وقع من حيث لا يدرى فى قوله وإن كان قد جعل ذلك على يد غيره فانظر إلى هذا الجاهل الذى يعتقد اعتقاد الكفار وبعض جهلة العوام بأن من أجرى الله تعالى على يده هذا هو غير الله فانظر إلى فهم الإمام وشيخ الإسلام فى نظر الأغنياء المقلدين له وقال فيها صفحة ٤٧٣ : وكذلك القسم قد ثبت فى الصحيحين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من كان حالفا

فليحلف بالله أو يصمت » وفى لفظ « من حلف بغير الله فقد أشرك » رواه الترمذى وصححه انظر يا أخى ما الداعى لدخوله فى القسم وهو بصدد الاستغاثة بالمخلوق وكيف يذكر هذا الحديث الذى يجهل معاناة ويجهل أنه معارض لصحيح السنة لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حلف بغير الله كما وضحناه فى الرد عليهم وتسفيه آرائهم فى جهلهم بهذا الحديث وأشباهه . ثم قال فى صفحة ٤٧٤ على أنه ليس من حلف بغير الله الذى نهى عنه والاستغاثة بمعنى أن يطلب من الرسول ما هو اللائق بمنصبه لا ينازع فيها مسلم ومن نازع فى هذا المعنى فهو إما كافر إن أنكر ما يكفر به وإما مخطىء ضال » انظر كيف حكم على نفسه بقوله إن أنكر إلى أجره وفى أول الجملة يقول أن يطلب من الرسول ماهو لائق بمنصبه وماهو منصب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم إلا غوث المستغيثين بحضرته بعد قوله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » وقوله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) ولا زال فينا صلى الله تعالى عليه وسلم إذ لا نعمل إلا بشرعته إلى يوم القيامة وفى قوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) فأى مقام أعظم من هذا المقام وأى منصب أسمى من هذا المنصب الذى أرشدنا الله تعالى إليه وإلى التوسل به والاستغاثة بحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم فى طلب المغفرة وهذا لعمرى هو عين الضلال والخسران المبين وهذا هو عين اعتقاد أسلافهم السابقين وهو عين اعتقاد من حذا حذوهم من الضالين ولاهم إلا إضعاف من جعل الله تعالى لهم المصدر الأول فى الاستغاثة والغوث وكيف لا يكون ذلك لائقا بحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم بعدما سبق لك من البيان فإذا نظرت إلى فتواه وتطلباته للمسائل البعيدة التى لا شأن له بها فى المسئول عنه فكأنه لا يريد إلا الصرصرة فى الكلام والكثرة فيه ليقال إنه أطال وأجاد ولذا تراه يتلمس أحيانا لنصرة كلامه بعض الأدلة التى ينسبها إلى من اشتهر من الصالحين كقوله فى هذه الرسالة صفحة ٤٧٤ ومن هذا الباب قول أبى يزيد البسطامى . استغاثة المخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق هذا فى نظرهم لأنهم يعتقدون أن العبد له عمل غير عمل الله تعالى ولا يقول الموحد هذا الكلام الفارغ فهذه كذبة منه على أبى يزيد البسطامى لأن قصيدته المشهورة فى السنة التى رده الله تعالى فيها إلى الخلق بين أن العبد إذا أراد الله تعالى نفاذ أمر أجراه على قلبه فيشتهيه فيجريه فقال بهم تصرفه فى الكائنات فما يشاء شاءوا وماشاؤه يقضيه وقول الشيخ أبى عبد الله القرشى الشهير بالديار المصرية استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون . كيف هذا وكان يستغاث به فى فتح الأقفال فانظر يا أخى كيف يتلمس لكلامه

الـكذب بكلام الصلحاء ويستشهد به عن عباد الله وهو لا يفهم فيه شيئا وإذا كان لا يفهم كلام الآدميين العادى فكيف يدعى أنه يفهم فى الكتاب والسنة أو لم يقرأ هذا الحافظ قول الله تعالى (وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر) وكيف أسند الله استنصار العباد بعضهم لبعض فى كتابه العزيز وبين فيه عز من قائل أن المستنصر أى المستغيث بالخلق مستغيث بالله تعالى لأنه تعالى سخر العباد بعضهم لبعض وهو المراد من إرشاده فى قوله تعالى (وأتوا البيوت من أبوابها) وباب الخلق خلق ثم أوليس قد استغاث صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة بدر فأغاثه الله تعالى بالمخلوقين ثم أو ليس قد استغاث لوط عليه السلام بالمخلوقين بل أوليس قد استغاث سليمان عليه السلام بقوله أيكم يأتينى بعرشها ثم أوليس قد استغاث سيد العالمين فى غزوة أحد فى قوله تعالى والرسول يدعوكم فى أخراكم فالاستغاثة بالمخلوقين سنة الله تعالى فى خلقه أيها الضالون . ثم ذكر فى هذه الرسالة بعد أن ذكر دعاء موسى عليه السلام لربه قال : ولما كان هذا المعنى هو المفهوم منها عند الإطلاق وكان مختصا بالله صح إطلاق نفيه عما سواه ولهذا لا يعرف عن أحد من أئمة المسلمين أنه جوز مطلق الاستغاثة بغير الله ولا أنكر على من نفى مطلق الاستغاثة عن غير الله قل لهذا المتخبط فى فتواه الجامع فيها من كل ماهب ودب بدون مناسبة كذكره فيها الشفاعة وخلق القرآن والحلف أى القسم وما اختص الحق عز وجل به فى الأمور التى ليست هى إلا لآثار صفاته كالإيجاد والإبداع والخلق والرزق وما انفرد به تعالى فى مخاطبة عبده إياه كما قال وكذلك الاستغاثة أيضا فيها مالا يصلح إلا لله وهى المشار إليها بقوله (إياك نعبد وإياك نستعين) فإنه لا يعين على العبادة الإعانة المطلقة إلا الله» فيا أخى مالهذه الآية والاستغاثة بالمخلوق التى هى محل سؤال السائل ولذا ترى من يقلد هذا الضال من الضالين مثله الذين نشأهم الله على هذا المبدأ ينقلون عنه هذه الضلالات سطرا بسطر وحرفا بحرف وإليك ما كتبه واعظ كوم حماده عبد الفتاح محمد عيسى الذى خيل للقراء أنه سأل سؤالا كسؤال سابقه فى الضلالة ابن تيمية فأجاب فيه بما أجاب ابن تيمية بالحرف ونشر فى مجلة نور الإسلام لعلماء الوعظ والإرشاد بالأزهر الشريف فى العدد السابع من رجب سنة ١٣٧٠هـ - ابريل سنة ١٩٥١م وما ذكرناه من فتوى ابن تيمية يغنيك عن الاطلاع عن فتوى متابعيه ولا يخفى أن الأستاذ المقلد يجهل حال ابن تيمية الذى يقلده إذ أن حاله التلون فى جميع كتاباته وعدم الثبات على مبدأ واحد فى الموضوع الواحد بل يضلل على السامع والقارىء بأنه يريد الحق وهو لا يعرف له سبيلا إذ يقول فى هذه الرسالة بعد أن ذكر مايستنتج

منه أنه لا يستغاث بالمخلوق فقال في صحيفة ٤٧٥ « وقد يستغاث بالمخلوق فيما يقدر عليه وكذلك الاستنصار قال الله تعالى (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر) والنصر المطلق هو خلق ما به يغلب العدو ولا يقدر عليه إلا الله اهـ هذا كلام الإمام الذى اقتدى به من نشأهم الله على مبدئه فانظر لهذه الجملة فقد أثبت فيها وهو لا يشعر بأن الاستنصار بالمخلوق جائز ولعل إقراره بالاستنصار بالمخلوق بعد أن نفاه عنه فهو كبير دلالة لك على أنه لا يوثق بكلامه ولا يقول على رأيه لأنه يعتقد أن للمخلوق أعمالا تغاير أعمال الله تعالى فكيف به وهو ذاهب إلى الخباز يطلب منه خبزا . أليس هذا الذهاب فى نظر العقلاء ذهابا إلى حيث أمر الله تعالى فى قوله تعالى (واسألوا الله من فضله) أى مما قربه إليكم وجعله بين أيديكم (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) .

الفصل الثانى

فى توضيح مخالفاتهم للاجماع

قال هؤلاء كمال الكفار الذين يعتقدون أن للعبد أفعالا يأتى بها من عند نفسه من غير فاعلية الحق تبارك وتعالى فيها فيعتقدون أن المتوجه للمخلوق القاصد له والمستغيث به غير متوجه إلى الله فيعدونه مشركا كما يقول بعضهم فى زائر الصالحين من عباد الله إنه مشرك ظنا منه أن لله ضريحا فى الأرض أو فى السماء وقد ترك هذا الزائر وتوجه إلى ضريح آخر عاد لها به وبين ضريح الله وهذا هو الشرك فى نظرهم وإلا فما معنى قولهم للزائر مشرك ومن المعلوم لا تكون الشركة والاشراك والمشاركة إلا فى المتعادلين فانظر يا أخى إلى فهم الأغبياء الذين ينكرون آثار صفات الحق عز وجل فى مكوناته التى يظهرها لعباده أولى البصائر النيرة لكى يصلوا بها ومنها إلى معرفة الحق عز وجل فى اختصاصه برحمته من يشاء من عباده حتى تظهر صورة فاعلية الحق عز وجل فى مكوناته وإن لم تكن فى هذه ففى أى شىء تظهر وإلا فلا يسعنا إلا أن نقول بالصريح الواضح بأنهم هم كالكفار الذين أخبر الله عز وجل عن حالهم فى كتابه العزيز حيث قال (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) قال العلامة الطبرى يعنى بذلك جل ثناؤه إن الذين يكفرون بالله ورسله من اليهود والنصارى ويرون أن

يفرقوا بين الله ورسله بأن يكذبوا من أرسل إليهم وقد أرسل الله الذين أرسلهم إلى خلقه بوحيه ويزعمون أنهم افتروا على ربهم وذلك هو معنى إرادتهم التفريق بين الله ورسله بنحلتهم إياهم الكذب والفرية على الله وادعائهم عليهم الأباطيل ويقولون نؤمن ببعض يعنى أنهم يقولون نصدق بهذا ونكذب بهذا كما فعلت اليهود من تكذيبهم عيسى ومحمدا صلى الله عليهما وسلم وتصديقهم بموسى وسائر الأنبياء بزعمهم وكما فعلت النصارى من تكذيبهم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وتصديقهم بعيسى وسائر الأنبياء قبله بزعمهم ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا يقول ويريد المفرقون بين الله ورسله الزاعمون أنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض أن يتخذوا بين إضعاف قولهم نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض سبيلا يعنى طريقا إلى الضلالة التى أحدثوها والبدعة التى ابتدعوها يدعون أهل الجهل من الناس إليه فقال جل ثناؤه لعباده منبها لهم على ضلالتهم وكفرهم أولئك هم الكافرون حقا يقول أيها الناس هؤلاء الذين وصفت لكم صفتهم هم أهل الكفر بى المستحقون عذابى والخلود فى نارى حقا فاستيقنوا ذلك ولا يشككنكم فى أمرهم انتحالهم الكذب ودعواهم أنهم يقرون بما زعموا أنهم به مقرون من الكتب والرسل فإنهم فى دعواهم ما ادعوا من ذلك كذبة وذلك أن المؤمن بالكتب والرسل هو المصدق بجميع ما فى الكتب الذى يزعم أنه به مصدق وبما جاء به الرسول الذى يزعم أنه مؤمن به فأما من صدق ببعض ذلك وكذب ببعض فهو لنبوة من كذب ببعض ما جاء به جاحد ومن جحد نبوة فهو به مكذب وهؤلاء الذين جحدوا نبوة بعض الأنبياء وزعموا أنهم مصدقون ببعض مكذبون من زعموا أنهم به مؤمنون لتكذيبهم ببعض ما جاءهم به من عند ربهم فهم بالله وبرسله الذين يزعمون أنهم بهم مصدقون والذين يزعمون أنهم بهم مكذبون كافرون فهم الجاحدون وحدانية الله ونبوة أنبيائه حق الجحود المكذبون لذلك حق التكذيب فاحذروا أن تغتروا بهم وببدعتهم فإنا قد أعتدنا لهم عذابا مهينا اه منه فانظر أيها القارىء الكريم إلى ظاهر الآية الذى أوضح المفسر الجليل القديم معانيها بأجلى بيان بأن اليهود والنصارى ادعوا بأن الأنبياء والرسل أتوا بأشياء من عند أنفسهم وأنكروا عليهم وهؤلاء يدعون أن صادر الأشياء تصدر من عنديات الأولياء أنفسهم وأنهم يؤمنون أى ويصدقون بأنها تصدر من الأحياء خاصة لا من الأموات فهم يؤمنون ببعض كرامات الأولياء الأحياء ويكفرون ببعض كرامات الأموات زعما منهم بأن الموت عبارة عن العدم والفساد على ما بينا فى معنى الموت والحياة المذكورين فى الكتاب العزيز فى بابه وشخصنا آراءهم فى ذلك فلست أدرى أو لم يقرأوا هؤلاء القرآن الكريم ولكن يقرأونه ولا يتدبرون.

معاينة صدق الله تعالى حيث قال (لهم قلوب لايفقهون بها) الآية وإنهم من قبيل قوله تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) فهم من مصداق قوله صلى الله تعالى عليه وسلم «يقرأون القرآن لايتجاوز تراقيهم» وفي رواية «حناجرهم». وإلا فما معنى قوله تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) والقرآن الكريم مملوء بنسبة الأفعال إلى الموجودات وعليها الثواب والعقاب وإلا فما معنى قوله تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) أنظر إلى نسبة الأفعال إلى العباد قولا وفعلا وإلا فما معنى نسبة هؤلاء إلى العلم وأهله ولا يسعنا إلا أن نقول نسبة هؤلاء إلى العلم النافع ماهي إلا كنسبة الجاهل الجهل المركب إلى المعرفة الإنسانية. فكأن هؤلاء لم يقرأوا إلا كتب أسلافهم الضالين ولم يحيدوا عنها ولم ينظروا إلى سواها وإن نظروا إليها لم يوفقوا إلى الهداية إلى معرفة مافيها من الحق ولم يفرقوا بينها وبين كتب أسلافهم وإن تشأ فقل هاهم يقرأون القرآن الحق الصريح الواضح وقد عموا وصموا عن هدايته واتبعوا الشيطان وأهواءهم بالفهم المنحرف عن الحق المراد به فيه وإلا فما معنى من سمى كتابه المشهور بأنوار الحق بالاستغاثة بسيد الخلق الذي أبان فيه مؤلفه الموفق كل معنى يتضمن ذلك وهكذا كل عمل أهل الحق من المحققين رضي الله عنهم وإليك بيان الحق الصريح الواضح المستفاد من كلام رب العالمين وسنة سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم.

الفصل الثالث

في الاستغاثة ومعرفة الحق المراد بها ومنها

قال غير واحد من المحققين هي طلب الغوث وهو التخليص من الشدة والنقمة وقد ذكر الله عز وجل في كتابه العزيز الاستغاثة في ثلاثة مواضيع قال تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) وقال تعالى (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه) وقال تعالى (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه).

وفي كل من الآي ما يفيد أن الاستغاثة ليست على حالة واحدة في كل الآي بل في كل آية ذكر عز وجل مايتناسب مع مفادها فقال عز وجل في الآية الأولى: (إذ تستغيثون ربكم) الآية قال الإمام الفخر أي تطلبون الإغاثة يقول الواقع في بلية أغثني أي فرج عني. واعلم أنه تعالى لما حكى عنهم الاستغاثة بين أنه تعالى أجابهم وقال (أني ممدكم

بألف من الملائكة مردفين) وقال العلامة البيضاوى :وقرأ أبو عمرو بالكسر على إرادة القول وأجرى استجاب مجرى قال لأن الاستجابة من القول بألف من الملائكة مردفين أى المتبعين المؤمنين أو بعضهم بعضا .

وقال العلامة القرطبي فائدة الله تعالى بالملائكة وذكر الحديث المشهور (وماجعله الله إلا بشرى) وهو المراد بالامداد . وقال العلامة الالوسى : أى فأجاب دعاءكم عقيب استغاثتكم إياه سبحانه على أتم وجه أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين أى وردف كل ملك ملك كما خرجه ابن جرير وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما والردف والرديف بمعنى اه هذا أقوال أئمة المفسرين على قوله تعالى(إذ تستغيثون ربكم)فى سورة الأنفال ولا يخفى عليك أن استغاثة الصحابة والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بربهم إذ طلبوا منه تعالى أن يغيثهم بأى مخلص من مستحدثات قدرته فأمدهم بالحوادث المخلوقين وهم الملائكة والمطر والماء التجمع لكفايتهم المثبت للرى كما لا يخفى على من له أدنى عقل

وأما قوله تعالى فى الآية الثانية فى سورة الكهف من ذكر الاستغاثة التى نحن بصددها وهى قوله تعالى (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه)الآية قال الإمام الفخر:- يحتمل أن تكون هذه الاستغاثة لأنهم إذا طلبوا ماء للشرب يعطون هذا المهل قال تعالى (تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية) ويحتمل أن يستغيثوا من حر جهنم فيطلبون ماء يصبونه على أنفسهم للتبريد فيعطون هذا الماء قال تعالى حكاية عنهم : — أن أفيضوا علينا من الماء) وقال فى آية أخرى (سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار) فإذا استغاثوا من حرجهنم صب عليهم القطران الذى يعم كل أبدانهم كالقميص وقوله تعالى (يغاثوا بماء كالمهل) وارد على سبيل الاستهزاء وقال العلامة الألوسى (وإن يستغيثوا) من العطش بقرينة قوله(يغاثوا بماء كالمهل)مما حل بهم من أنواع العذاب والمهل على ما أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وابن جبير هو ماء غليظ كدردى الزيت اه منه هذا ولعلك تفهم أن المستغيث فى الآية الثانية يغاث بالمخلوق أيضا حسبما طلب وهو الماء وأما الآية الثالثة فى الكلام العزيز فى معنى الاستغاثة فى سورة القصص . قال تعالى (فاستغاثه الذى من شيعته) قال الإمام الفخر : أى سأله أن يخلصه منه واستنصاره عليه فوكزه موسى عليه السلام كما فى قوله تعالى بعد (فاذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه) أى فاذا الذى استنصره وهو الاسرائيلى بالأمس يستصرخه يطلب نصرته بصياح وصراخ اه منه . وقال العلامة

الألوسى (فاستغاثة الذى من شيعته) أى فطلب غوثه ونصره إياه (على الذى من عدوه) والتضمين الفعل معنى النصر عدى بعلى ويؤيده قوله تعالى بعد استنصره بالأمس ويجوز أن يكون تعديته بعلى لتضمين معنى الاغاثة ويؤيده قراءة فاستعانة بالعين المهملة والنون بدل الثاء اه منه لعلك أيها العاقل الرشيد فهمت من هذه الآية ومن كل معانيها ومن سياقها ومن عدم النقد من الحق عز وجل على المستغيث والمغيث بل مساقها يفيد بكل صراحة لاشيء في المستغيث بالمخلوق وفى معنى الاستغاثة الاستنصار كما هو مصرح به فى هذه الآيات وبهذا المعنى جاء مايؤيده فى قوله تعالى (وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر) قال صاحب الكشاف أى واجب عليكم أن تنصروهم على المشركين وقال الإمام الفخر روى أنه لما نزل قوله تعالى (مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) قام الزبير وقال فهل نعينهم على أمر ان استعانوا بنا ؟ فنزل (وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر) وقال العلامة الألوسى : أى فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين أعداء الله وأعدائكم فالنصر هنا فى عموم الآيات والمعونة للمستنصر فهو عين الاغاثة للمستغيث ولقد قال تعالى (ولقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) قال الإمام الفخر قال الواحدى : النصر المعونة على العدو خاصة والمواطن جمع موطن وهو كل موضع أقام به الانسان لأمر فعلى ومواطن الحرب مقاماتها ومواقفها والمواطن الكثيرة غزوات الرسول ﷺ ويقال إنها ثمانون موطناً ثم قال تعالى : (وأنزل جنودا لم تروها) أى لم تروا مثلها

وقال العلامة صاحب البحر : وخص الاستنصار بالدين لأنه بالحمية والعصبية فى غير الدين منهى عنه وعلى تقتضى الوجوب ولذلك قدر الزمخشرى بقوله فواجب عليكم أن تنصروهم اه وهكذا جميع المفسرين . وقال العلامة الألوسى اللام موطئة للقسم أى أقسم والله لقد نصركم الله فى مواقف ومواقع كثيرة وروى أن المتوكل اشتكى شكاية شديدة فنذر أن يتصدق إن شفاه الله تعالى بمال كثير فلما شفى سأل العلماء عن حد الكثير فاختلفت أقوالهم فأشير إليه أن يسأل أبا الحسن على بن محمد بن على بن موسى الكاظم رضى الله تعالى عنه وقد كان حبسه فى داره فأمر أن يكتب اليه فكتب رضى الله تعالى عنه يتصدق بثمانين درهم ثم سألوه عن العلة فقرأ هذه الآية وقال عددنا تلك المواطن فبلغت ثمانين — وقال تعالى (وأنزل جنودا لم تروها) أى بأبصاركم كما رى بعضكم بعضا وهم الملائكة عليهم السلام على خيول بلق عليهم البياض وكون المراد لم تروا مثلها قبل ذلك واختلف فى عددهم فقيل ثمانية آلاف لقوله تعالى (ألن

يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين)مع قوله سبحانه بعد (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) وقيل خمسة آلاف للآية الثانية والثلاثة للأولى داخلة فى هذه الخمسة وقيل ستة عشر ألفا بعدد العسكريين اثنى عشر ألفا عسكر المسلمين وأربعة آلاف عسكر المشركين اه

وقال العلامة أبو حيان صاحب البحر لما تقدم قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم) واستطرد بعدذلك بما استطرد ذكرهم تعالى نصره إياهم فى مواطن كثيرة والمواطن مقامات الحرب ومواقفها وقيل مشاهد الحرب توطنون أنفسكم فيها على لقاء العدو وهى جمع موطن وقوله تعالى (وأنزل جنودا لم تروها) هم الملائكة بلا خلاف والظاهر انتفاء الرؤية عن المؤمنين لأن الخطاب هولهم وأما غيرهم فقد روى أن رجلا من بنى النضير قال للمؤمنين بعد القتال أين الخيل البلق والرجال الذين كانوا عليها بيض ؟ ما كنا فيهم إلا كهيئة الشامة وما كان قتلنا إلا بأيديهم . فأخبروا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تلك الملائكة اه . وقال صاحب الخازن النصر المعونة على الأعداء باظهار المسلمين عليهم اه .

فيا أيها القارىء الكريم والحكم الرشيد النزيه تبصر وأنعم النظر فى كلام الحق عز وجل فلا تجد إلا أن الله سبحانه وتعالى أوجد الموجودات ولفت عباده النظر إليها بعد أن أعطى كل شىء خلقه وبين لهم أن كل محتاج إلى أمر ما فى هذه الحياة فإنه يطلبه من الموجود فى هذا الوجود من الموجودات وجعله بابه الذى يقصد منه تبارك وتعالى فى قوله (وأتوا البيوت من أبوابها) وباب الخلق خلق وقد حث عليه جل ذكره فى قوله تعالى (واسألوا الله من فضله) أى مما قربه اليكم وجعله بين أيديكم كما عليه عقلاء الأمة من المفسرين والسائل للمخلوق والمستغيث به والمستنصر به سائل للحق عز وجل مستغيث به ومستنصر وهذا هو سنن التكوين الإلهى فى هذه الدنيا وعليه جاء بيان الرسل المكرمين للخلق أجمعين كما دل عليه كتاب رب العالمين الجامع لجميع الكتب السماوية والمبدعات من المبدإ المعاد وعليه بيان سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم فمن قال غير ذلك فقد جهل وضل عن الحق وعن الصراط المستقيم ومن هنا تعلم أنه غير خاف على ذوى العقول الراجحة أن مكون الأكوان جل وعلا هو المبدع لما المبين فى كتابه العزيز بأن لكل فرد من أفرادها مميزا خاصا عن غيره وأنها ما هى إلا آثار صفاته وصور أفعاله التى يظهرها على وفق إرادته بمقتضى حكمته (ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) ومن مقتضيات كماله جل وعلا أن جعلها

تظهر الأفعال المرادة له جل وعلا وإن الموجودات ليس لها انفعالات من عندياتأنفسها تفعل بها ما تشاء من غير فعل الفاعل جل وعلا بل ما هي إنما تؤدى أفعالا مرادة له تبارك وتعالى (والله خلقكم وما تعملون) فالعبد مهما ارتقى فى درج الكمال والقرب من الله عز وجل لا يستطيع أن يأتى بشىء من عندياته وماهو الشىء الذى يأتى به غير مكون للحق عز وجل ومخلوق له وهل يستطيع أن يتصرف فيما لا يملك وهو والملك والملكوت بيد من بيده ملكوت كل شىء وها كم الأنبياء والمرسلين لم يستطيعوا أن يأتوا بشىء من غير إذن الله كما قال عز من قائل « وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله) فإذا كانت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين يؤسسون لله الدين ويرجون رحمة ربهم لا يستطيعون أن يأتوا بشىء من غير إذن الله فهل لمخلوق غيرهم يستطيع أن يأتى بشىء من عنده من غير إذن الله ؟ وهل هو وما يعمل وما أجراه الله على يديه من غير إذن الله كلا وألف كلا — وإنما هنا مسألة دقيقة لا يعقلها إلا العالمون ولا ينكرها إلا من قصر ذهنه عن إدراكها ولا يستطيع تفهمها إلا بمرشد بصير وهى أنه يجب على كل طالب للحق مريد لما أمر الله تعالى به أن يتعقلها وهى أن جميع الموجودات هى آثار صفات الحق عز وجل وهى التى تراها فعالة فى الموجودات ولفت الله عز وجل عباده إليها وأمرهم بالأخذ فى أسبابها ولفتهم النظر بأن جل وعلا جعل لكل شىء مصدرا فى مكوناته ولا يتأتى حصول شىء فى هذا العالم إلا من مصدره ولا يتطلب ذلك الأمر المطلوب إلا منه ومن حاد عن ذلك فقد ضل سعيا وحاد عن الجادة وخالف أمر الله تعالى (وأتوا البيوت من أبوابها) وبين لهم عز وجل بأنه هو الفاعل فى الكل فقال تعالى (أينما تولوا فثم وجه الله) وإن هذا ليشاهد بالآيات التى نصبها جل وعلا لتكون دلائل تدل عليه وأنه هو الفعال لا غيره والدلائل هى الجماد والنبات والحيوان فبين لعباده أنه جعل فى كل فرد من أفرادها مزية تغاير الفرد الآخر وأمرهم فى كل ما يحتاجون إليه يطلبون ما فيه المزية الخاصة لهم فى حاجياتهم كالحجارة بأنواعها والمعادن بأنواعها وغير ذلك مما يندرج تحت الجماد وقد فصلناه فى غير هذا الموضع والنبات كذلك وفصلناه أيضا والسموات وما فيها كائنة كذلك وجمع جميع ما فى هذه الموجودات من مزايا وآلاء ونعم وفضل فى بنى الإنسان إذ قد جعل تبارك وتعالى فى كل عضو من أعضائه مزية تغاير الأخرى قال تعالى (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) إذ جعل سبحانه وتعالى حاجة العين غير حاجة الشم والسمع غير الذوق والإحساس غير الإدراك .

جعل فى كل جزئية منه تغاير الأخرى إ. الأسنان غير الأنياب وغيرها الأضراس وغير الجميع اللسان ولا يستطيع أى أحد من هذه الأربع يؤدى عمله الموصل للغاية إلا باللعاب الذى أجراه تحت اللسان فيا أيها العاقل إذا كان فيك هذه المميزات ولا تستطيع أن تؤدى عملا إلا بالتجائك إلى ذلك العضو المخصوص لهذا العمل فكيف تنكر أثره فى أفراد الموجودات ولنرجع بك بأن الله تعالى ما خلق شيئا إلا وأعطاه عمله الذى لابد من تأديته والقيام بما وجب عليه وبما خلق لأجله وأن الله هو الفاعل المختار إن شاء أدى ذلك الفرد ماطلب منه فعل وان لم يشاء فقدسلب منه تلك الخاصية وأبعدت عنه هذه المزية إذن فالنرجع إلى قوله تعالى (فعال لما يريد) (ولو شاء ربك ما فعلوه) من هنا تعلم أن العبد لايملك لنفسه حولا ولا قوة وأن الله هو ذو الحول والقوة ولإيجاده لهذه المزايا التى لفت عباده النظر إليها وبين لهم أن خواص حاجياتهم لها مصادر يرجعون إليها ولا يحيدون عنها ومن أعرض عنها فقد خالف واعتدى ثم لايخفى كما أن هذه المزايا فى افرادالعباد ويقصدونها كذلك جعل فيما يدل عليه فى الأحكام التى يعاملونه تعالى بها ويرجون بها رحمته خصص لها أمكنة وجهات مختلفة فجعل السماء مصدرا للوحى حيث كان النزول يتناسب مع العلو والرفعة الزمانية والعندية الزمانية فقال تعالى (نزل به الروح الأمين)(تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم) (وأنزلنا من السماء ماء مباركا) وغير ذلك مما هو مصدر للعلوى المتناسب وكذا جعل رفع الأكف إلى السماء علامة على قبول الدعاء وكذا التوجه إلى القبلة فى أنواع العبادة دليلا على القبول وكذا التوجه إلى أمكنة الحج دليلا على القبول وكذا بذل المال للصدقات دليلا على الثواب وهكذا ماترك الله شيئا من الخير أو الشر إلا وجعل له مصدرا لا يعرف إلا به ولا يعول إلا عليه وكذا أيضا لا يخفى على ذى عقل سليم أن فى نسبة الأفعال إلى الاشياء فى الموجودات نسبة حقيقية والتمسك بها والتعويل عليها لا يعد إشراكا لأن الشأن فى الشرك أن يكون ذلك الفاعل أو الذى تنسب إليه الأفعال يأتى بها من عنده وهل يعتقد هذا إلا من اعتقد أن هناك إلها غير الله وإنى أقول ليس هذا بشرك فقط بل هو كفر بجميع مستلزماته وأما الذى يعتقد أن هذا المستغاث به أوجد الله تعالى فيه الغوث والإيجاد وأنه هو وغوثه وإيجاده وفائدته ونفعه من الله تعالى وإلى الله وجعله الله تعالى مصدرا للغوث فالمستغيث به مستغيث بالله تعالى وقد أتى البيت من بابه حسبما أمر الله تعالى وهذا هو عين التشريع وما جاءت به الرسل وما أمر الله تعالى به عباده على أيديهم حيث وجههم إلى الأسباب

٨٧

والأخذ بها وقد أسند الله عز وجل الأفعال إلى مصادرها وأمر عباده أن يأتوا إليها من تلك الأبواب قال تعالى (واسألوا الله من فضله) وفضله تعالى هو ما قربه إليهم وجعله بين أيديهم على ماقرره المحققون وقد أسندت الأنبياء والرسل والأفعال إلى الموجودات واستغاثوا بالمخلوقات هل أشركوا بالله تعالى ياأيها القارىء للقرآن هذا سيدنا أيوب قال (مسنى الشيطان بنصب وعذاب) وها هو سيدنا لوط قال (لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد) وهاهو سيدنا نوح وصنعه الفلك لنجاته ولمن معه وهاهو سيدنا موسى (اضرب بعصاك الحجر) وفى قوله (هذا من عمل الشيطان) وهاهو سيدنا يوسف وفى قوله تعالى (اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم) (بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى) وسيدنا جبريل فى قوله للسيدة مريم (لأهب لك غلاما زكيا) وسيدنا عيسى (من أنصارى إلى الله) وسيد العالمين: «من لكعب ابن الاشرف ومن لأبى رافع سر تجار الحجاز » ولايخفى عليك قوله تعالى (جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) هذا قول الحق تبارك وتعالى وهو الخالق للموجودات وجعل صور فاعليته فى الكائنات وإن لم تكن هذه هى أفعاله وآثار صفاته فبأى شىء غيرها يعرف وتتحقق ألوهيته تبارك وتعالى مع تحقيق العبودية فى الموجودات ؟ أو لم ينظر هذا إلى ما أوجده الله تبارك وتعالى لبنى الإنسان الذى هو محل نظر الحق من هذا الخلق ووجهه إلى أن ينتفع من كل من الجماد والنبات والحيوان وأنها تعطيه الغرض المطلوب له قال تعالى (وسخر مافى السموات وما فى الأرض جميعا منه) وقال تعالى (وخلق لكم مافى الأرض جميعا) ووجه رغباتهم فى كل ما يحتاجون إليه منها فمن توجه إلى شىء من ذلك فهو متوجه إلى الله تعالى لأن الله تعالى هو الذى خلقه وخلق المتوجه إليه إذن فالموجودات هى صور فاعلية الحق عز وجل المرادة له تبارك وتعالى فمن عمد إلى السكين للقطع امتثل أمر الله تعالى والسكين لاتعصيه وكذا فى كل آلة تستعمل فى كل ماخلقت لأجله وكذا الجماد والنبات والحيوان وعلى ماقدمنا أنه تبارك وتعالى جعل لكل شىء مصدرا فالصناعات كل نوع منها قيض لها صانعا مخصوصا والتجارات كذلك وهكذا فى كل نوع من مستلزمات الحياة واليك حال الآدميين بعضهم لبعض فجعل تبارك وتعالى لكل فرد مزية خاصة فمزية العلماء غير مزية الحكام ومزية الحكام غير مزية المنتفع بهم من أفراد الناس وكذا مزية العباد الذين لاحاجة لهم فى الدنيا إلا وجه الله الكريم فلهم مزية وخاصية ثم أمرنا تبارك وتعالى بأن يقص بعضنا بعضا فى حاجياتنا الدنيوية والأخروية فمن أوجد الله تعالى مصدراً لرحمته لعباده بصالح دعواته

غير العالم المشرع للأحكام المبين للحلال والحرام قال الله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) وقال صلوات الله تعالى وسلامه عليه « ابغونى الضعفاء إنما تنصرون بدعواتهم وتحويطاتهم » وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن لله تعالى عباداً اختصهم بحوائج الناس يفزع الناس إليهم فى حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله ، أخرجه الطبرانى عن ابن عمر وفى الطبرانى الكبير وفى الحلية لأبى نعيم وابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج عن ابن عمر رضى الله عنهما « إن لله تعالى أقواما يختصهم بالنعم لمنافع العباد ويقرها فيهم ما بذلوها فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم » فالمستغيث بهذا أقرب إلى الله فى الاستغاثة به إلى الله من غيره ممن يستغاث به فى أمور الدنيا وهذا قد أتى البيوت من أبوابها وذاك قد أتى البيوت من أبوابها وإليك ما قد رواه ابن قيم الجوزية فى كتابه الكلم الطيب بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من كان بأرض فلاة لا أنيس بها وقال ياعباد الله أغيثونى فإن الله يرسل له من يؤنسه » قال ابن قيم الجوزية أى من الإنس أو الجن حيا كان أو ميتا فراجعه أيها الفاضل إن شئت وانظر إلى عقائدهم فى ربهم ويقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله اللهم صل وسلم وبارك عليه وآله. فكيف يقولون لا إله إلا الله ويعتقدون أن موجوداته لها أفعال مستقلة عن الحق سبحانه وفى نظرهم من يقصدها فقد ترك الله وتوجه إليها ويرمونه بالشرك فانظر من المشرك فى الفريقين وأيهما أحق بالأمن نسأله التوفيق اللهم أرنا الحق حقا فنتبعه وأرنا الباطل باطلا فنجتنبه إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

الفصل الرابع

فى لفت نظر طالب الحق ومعرفته

لا يخفى عليك أن من كان على مبدإ الخوارج من الملحدين يتلمس الشبه والضلالات ليعكر بها صفو الأخيار من ذوى العقائد الصحيحة والفطرة السليمة فيقول هذا بالنسبة للعلماء والعارفين منهم فاذا ألزمته الحجة على ما سنبين ينتقل بك إلى شبه أخرى أضل من الأولى وهى قولهم قد يجوز هذا فى الأحياء ممن توجد فيهم هذه الأهلية وكمال الاستعداد من الأحياء . وأما الأموات فقد انتهت مدتهم وتمت مأموريتهم الدنيوية فلا فائدة فيهم ولا منفعة لهم لأهل الدنيا ظنا منهم بأن الموت عبارة عن العدم والفناء

وليست هذه عقيدتهم فى الاستغاثة فقط بل عقيدتهم دائما الزيغ والضلال فى كل ما هو على شاكلة الاستغاثة كانكارهم الكرامات التى لا تصدر إلا عن الأولياء فقد يسلموها أيضا فى الأحياء عند التضيق عليهم فى ذلك وكذا الاستنصار وكذا الانتفاع الدنيوى للأشخاص الأحياء من الأموات وكذا التوسل والوسيلة وهكذا عقيدتهم الزائفة التى هى على مبادىء من يفرقون بين الله ورسله باعتقادهم أن الرسل جاءوا بأشياء من عند أنفسهم فكذبهم الله عز وجل وقرعهم فى كتابه العزيز وهؤلاء مثلهم . على مبادئهم يفرقون بين الله وخاصة عباده الصالحين باعتقادهم أنهم يأتون بهذه الكرامات من عند أنفسهم فنبين لهم بحوله وقوته تعالى ما جهلوه فى الحالتين فنقول إن هذا ليس خاصا بالمتعلمين لأن المستغيث والمستغاث به ليسا من صنع العبد ولا اختياره بل هو من صنع البارى جل وعلا الذى أنشأ كل شىء بمقتضى حكمته العالية مشتملا على ما يصدر منه وعنه وليس هذا يستوى فيه العالم والجاهل بل ربما كان جاهلا فى العلوم الظاهرية أعرف بمكونات الحق عز وجل فى موجوداته من العالم الزائع الصيت فى العلوم الشرعية ووسائلها وإليك واقعة حال وصلت إلينا بالسند الصحيح إذ حدثنى رحمة الله عليه العالم الصالح الفاضل الشيخ خميس بلال الذى كان مدرسا بمعهد طنطا فى المدة التى استطاع الإنجليز أن يعينوا فيها الإمام الشيخ محمد عبده وكيلا لمشيخة الأزهر الجليلة وكان وقتئذ لم تنشأ معاهد دينية إسلامية فى القطر المصرى إلا فى طنطا فتوجه الشيخ محمد عبده ليفتش على معهد طنطا فصادف دخوله امرأة أمية تنادى سيدى أحمد البدوى قائلة : (ياسيدى خللى بالك من الأولاد والراجل والزراعة والمواشى وأنت عليك الصبر واحنا علينا الوفا)

فقال الشيخ محمد عبده للشيخ إبراهيم الظواهرى والد شيخ الأزهر الشيخ الأحمدى الظواهرى رحمة الله على الجميع وكان فى ذاك الوقت شيخا لمعهد طنطا ماهذا ياشيخ ! ! ! آلوثنيه فى معهد العلم ؟!! فأمر الشيخ إبراهيم الظواهرى شيخ المعهد أحد الخدم أن يجىء إليهما بالمرأة المستغيثة المخاطبة لسيدى أحمد البدوى فقال لها : ما الذى تقولينه ؟ آالسيد ربنا يخلى باله من الأولاد والراجل والمواشى والزراعة حتى تطلبى منه ذلك ؟ فقالت : لا ياسيدى هو طاهر مقرب يطلب لى من الله فانصرف الشيخ محمد عبده ولم يستطع رد جواب وبرهنت هذه المرأة الأمية على حسن عقيدة ونية لم يوجدا فى الإمام. ومثل هذا فى الأمة كثير ولقد قال من قال «اللهم إيمانا كايمان العوام » وفى هذا المعنى والمقام أشياء كثيرة لا تخفى على ذوى العقول النيرة من العلماء

العاملين وذوى النور الفطرى الإلهى من الجاهلين وأما من ينكر هذا فهو عالم ولا ننكر عليه علمه بأنه عالم غير أن مبادئه تنطبق على مبادىء المخالفين الذين جعلهم الله تعالى أحزابا وفرقا الذين أضلهم الله على علم . يريدون المظاهر الدنيوية ليكونوا قادة لغيرهم ممن (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله) الآية فكل ضال يدعو الضالين مثله ليكون حزب الشيطان معادلا فى العدد حزب الرحمن ليتساوى الضلال والهدى والخير والشر فى الحياة الدنيا وإلا فبمقتضى كلام رب العالمين قد يوجد فى الأميين من هو أصح عقيدة وأقوى إيمانا من المتعلمين قال تعالى :(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم) الآية وفى السنة «أبغونى الضعفاء ـ الحديث واللهم إيمانا كإيمان العجائز» الحديث ـ فنلخص لك أن من العوام من هو صحيح العقيدة سليم الإيمان وإن كان لا يستطيع أن يعبر عما فى ضميره .

وأما قولهم إن هذا أى المستغاث به أو المتوسل به أو المستشفع به إنما يكون فى الأحياء لا فى الأموات نقول لهم : قد بينا ذلك فى هذا الكتاب فى كل باب بما يناسبه من التوسل والكرامات والموت والحياة وفى هذه الاستغاثة نشير أيضا بما بيناه فى تلك الأبواب نقول : إن المستغاث به وهو حى فى الحياة الدنيا فقد سلمتم به واعترفتم بفائدته ومنفعته قهرا وإلزاما لكم وإليكم الحجج القاطعة والأدلة الساطعة العقلية المستفادة من الأدلة العقلية « الكتاب والسنة » فكذا أيضا نلزمكم الحجة والاقرار بالأدلة العقلية المستفادة من الأدلة النقلية الكتاب والسنة وذلك أن الله سبحانه وتعالى بين لعباده فى كتابه العزيز أن الموت والحياة عبارة عن وصفين يقومان بالموصوف على ما بيناه فى محله « فى معرفة الموت والحياة من هذا الكتاب » وبينا أيضا بمقتضى صريح الآيات المحكمة بأن كل ابن آدم ميتة حى أحيا من الحياة الدنيا مع مختلف مللهم ونحلهم وإذا كان بنص القرآن العزيز الكافر حى فى قبره أحيا من حياة الدنيا أفلا يكون المؤمن أحيا منه وإذا كان كذلك أفلا يكون الولى أحيا من العبد المؤمن وإذا كان كذلك أفلا يكون الشهيد أحيا منه وإذا كان كذلك أفلا يكون الرسول والنبى أحيا من الجميع إذن يلزمكم أن النفع والانتفاع بما هو أقوى وأرقى وأنفع ممن هو فى الدنيا بطريق الأولى وقد بيناه فراجعه والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم ما يؤكد لك ما قدمنا ما ذكر العلامة القرطبى فى تفسيره للقرآن الكريم فى الجزء السابع صحيفة ٣٤٨ عند قوله تعالى (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم) قال فأمر تعالى أن يدفع الوسوسة بالالتجاء إليه والاستعاذة به . ولله المثل الأعلى . فلا يستعاذ بالكلاب إلا برب الكلاب .

وقد حكى عن بعض السلف أنه قال لتلميذه : ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا ؟ قال: أجاهده قال : فإن عاد؟ قال : أجاهده . قال : فإن عاد ؟ قال : أجاهده . قال هذا يطول .. ، قال أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ومنع من العبور ما تصنع ؟ قال : أكابده وأرده جهدى . قال : هذا يطول عليك ، ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك اه وهذا من قبيل قوله تعالى وأتوا البيوت من أبوابها والله سبحانه وتعالى أعلم .

الباب العاشر

في المولد الشريف النبوى وحكمه في الشرع
مع جميع مايعمل فيه . وفيه فصول

الفصل الأول

في الدليل من الكتاب والسنة لمن ألف في ذلك كتبا وقصصا وقصائد تسمى بكتب المولد .

لا يخفى أن إنكار المنكرين على المولد وما يعمل فيها ، صدرها بانكارهم على ما ألف فيها من الكتب ويسمونها بدعة؛ بل يكفرون بعض من ألف في ذلك من المؤلفين .

نقول : تكلم الناس قديما وحديثا في وعن شخصية سيد العالمين صلوات الله تعالى وسلامه عليه بطرق شتى مختلفة الوضوح والدلالة فمنهم من تكلم شعرا ومنهم من قال نثرا مسجعا وغير مسجع حتى الأمين بالمواويل كل بقدر استعداده وإدراكه وبتوفيق الله تعالى له وفيضه عليه فمنهم من تكلم في نسبه الطاهر الشريف وحمله وولادته الشريفين وما حصل فيهما من خرق العادات والإرهاصات البينات التي لم تدع بقعة في مشارق الأرض ومغاربها إلا عمتها بالبشارات وخصب العيش لكافة المعمورات وما من أحد من البشر إلا قد عرف ذلك حتى كبار المكابرين وصغار العارفين من الحذائين . وكيف لا والله تعالى قد قال لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم : (ألم يجدك يتيما فآوى) واليتم قد لحقه وهو في بطن أمه فانظر إلى إيواء الله عز وجل لعبده وليس هو مطلق عبد فحسب بل هو من جعله سبحانه وتعالى سيدا للعالمين ومثلا أعلى للخلق أجمعين . ومنهم من تكلم في تربيته وكفالته وتطوراته الشريفة المرفلة بالهداية والتوفيق الهى حتى كان في كل ذلك مثلا أعلى بين أقرانه المماثلين لحضرته في السن والولادة وأطلق عليه من بينهم الصادق الأمين . ومنهم من تكلم على أطواره في معترك الحياة من غناه ورعاية الله تعالى له في كل تلك الحالات البشرية التي تعترض بني البشر في أحوالهم من العوارض الدنيوية حتى كان مثلا أعلى في معاشراته ومخالطاته

ومعاملاته لبنى البشر . ومنهم من تكلم في بدء الوحى إليه صلوات الله وسلامه عليه وما لاقى فيه من العناء والشدة فى الدعوة إلى أن تتابع الوحى الجامع لكل شيء المبين لكل شيء والمفصل لكل شيء والذى لم يفرط فيه من شيء . ومن الوحى قد اتضح لنا أن الكلام فيما يتعلق بذاته الشريفة صلوات الله تعالى وسلامه عليه لايخرج عن حالتين : بشرية وروحانية كما هو مبين فى حديث « كيف يأتيك الوحى » الحديث. فالبشرية التى من ضرورياتها اقتداء البشر بها فى مكارم الأخلاق كالحياء والعفاف والعفو وما أمر الله تعالى به بالاقتداء بحضرته فى الأقوال والأفعال وما يعرض لذلك من العوارض البشرية التى لم تؤد إلى نقص فى رتبه العلية ليكون قدوة حسنة ومثلا أعلى لجميع أنواع البشر إلى أن تقوم الساعة ولكى يكون مصداقا محققا لقوله تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) وعليه تحقيق جميع الآى المحكم فى بشريته من قوله تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم) (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) (قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) (إنك ميت وإنهم ميتون) (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين). « فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فأسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك) (لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا)(ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحد عنه حاجزين) (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا). (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه). وهكذا من جميع الآيات التى مفادها البشر والبشرية المحضة وذلك لئلا يكون للبشر على الله حجة فى تقصيرهم فى شيء من الاقتداء بحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وإن كان لكل آية مما تقدم معنى خاص فى ذاته ولكنها تفيد أيضا أن البشر هو أفضل الموجودات حيث كان منه أفضل الكائنات هذا وإن الأحاديث الواردة فى بعض معانى الآيات المتقدمة فى بشريته صلى الله تعالى عليه وسلم تفيد أن الله تعالى جعله كذلك جامعا لكل ما يطرأ على بنى البشر من العوارض الدنيوية من مستحدثات الزمان فى الأفعال والأقوال والحركة والسكون والصحة والمرض والغنى والفقر وغيرها مصداق قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « لم أنس ولكن أنسى لأسن » كسهوه

فى الصلاة وكنومه حتى طلعت الشمس وكالسحر له وكالحسد وكإهانته أحيانا واحتقاره وإيذائه بفاحش القول أخرى وكخاصمته وكغضبه مع نسائه وكفقره وغناه وزهده وورعه وكقيام الليل وكجهاده واجتهاده وغير ذلك مما لا يخرج الدين الإسلامى عن دائرته وهو محصور فيها — وهى أقواله وأفعاله وتقريراته صلى الله تعالى عليه وسلم وأما روحانيته فلا يتصور من عنده أدنى مسكة عقل بأنه كالبشر من كل الوجوه خصوصا إذا عرف ما جاء به صلى الله تعالى عليه وسلم من البلاغ وما كان عليه من الخصوصيات التى كان من بعضها ما اشتمل عليه تكوينه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم المغاير لتكوين البشر كما هو مستفاد من نزول الوحى بالحالة التى لم تسبق لأحد غيره من جميع الأنبياء والمرسلين ودخول الملك الكريم فى جسده الشريف ولا يدخله النور إلا فى النور كما هو مقرر فى محله فهو إذن صلى الله تعالى عليه وسلم ليس كالبشر من كل الوجوه بل هو بشر لكنه لا كالبشر إذ لا يخفى على كل ذى لب أن الله كما جعله مثلا أعلى فى البشرية فكذلك كان مثلا أعلى فى الروحانية حيث قال تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) ولا يعلم كنه ذلك العظم إلا مبدعه تعالى كما يستفاد من الآيات الأخرى المبينة لما اشتمل عليه ذلك التكوين العظيم ومن الرعاية الحباوة الخاصة التى لم يشاركه فيها أحد من الأنبياء والمرسلين كقوله تعالى (ألم يجدك يتيما فآوى) (وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين) . (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) (وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) والمعراج (أفتمارونه على ما يرى) (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) وأيضا الأيام التى مفادها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أصل التكوين فى الوجود والموجودات كقوله تعالى (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) الآيات والمتحققة فى قوله تعالى (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) وأنه صلى الله تعالى عليه وسلم النفس الكلية التى بها قوام كل شىء أخذا من قوله تعالى (وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) . (ونفس وما سواها) وأنه صلى الله تعالى عليه وسلم الروح الكلى الذى به حياة كل

شيء وهو من عالم الأمر أخذا من قوله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) وأنه صلى الله تعالى عليه وسلم النفس الرحماني المنبعث في جميع الوجود الامكاني أخذا من قوله تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء) المتحققة في قوله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ولا يخفى أيضا على من هو من نوع الإنسان المكمل بنور اليقين بأن الوجود كله عبارة عن رب وعبد وأنه صلى الله تعالى عليه وسلم أول عبد لله تعالى أخذا من قوله تعالى: (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) وهكذا من الآيات الدالة على خصوصياته الشريفة صلى الله تعالى عليه وسلم التي منها قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده) ومنها قوله تعالى (وأنه لما قام عبد الله يدعوه) ومنها قوله تعالى (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) ومنها قوله تعالى (فأوحى إلى عبده ما أوحى) وإليك نبذة من الأحاديث الثابتة في صحيح ماجاء في السنة كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « لست كأحدكم إنما أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني » « يا معشر الناس لم يخف على مقامكم فإني أراكم من الخلف كما أراكم من الأمام » « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي من الأنبياء » الحديث « كل نسب مقطوع يوم القيامة إلا نسبي » الحديث « كل صهر مقطوع يوم القيامة إلا صهري » وحديث جابر بن سمرة عند الترمذي « رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في ليلة أضحيان وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر إليه وإلى القمر فو الله الذي لا إله إلا هو إنه عندي لأبهى من القمر » الحديث وهذا بالنسبة لروحانيته صلى الله تعالى عليه وسلم التي هي مثل أعلى لجميع الروحانيات .

ومن هنا لا يخفى على كل ذي نظر أن مبدع الكائنات جل وعلا وجود الموجودات على حالتين مادية محضة باعتبار ، وروحانية محضة باعتبار آخر وذلك فيما نصبه دلائل لعباده على عظيم قدرته وبديع صنعته بما في كل من الأراضين والسموات .

فالسموات جوهرية لطيفة مادتها روحانية ربانية والأراضين مدتها كثيفة جسمانية لا يشاهد فيها إلا الكثافة والجواهر الكثيفة المادية ومادتها الكثافة المشتملة على اللطافة ومنها المواليد الثلاثة أو الأجناس الثلاثة فجعل سبحانه كل جنس منها مركبا من حالتين لطافة وكثافة فالجماد مثلا مركب من حالتين اللطافة التي بها تماسكه وقوامه والكثافة التي بها حرمه وحجمه — والنبات كذلك والحيوان كذلك ومن الحيوان الإنسان الذي هو أرقى الموجودات وأرفعها عند الله تعالى قدرا وكل ما في الوجود خلق

للانسان فهو محل نظر الحق جل وعلا فى هذا الخلق وعين موجوداته وهو ابن آدم وهو على حالتين أيضا مادى وهو مابه قوامه . وروحانى وهو مابه حياته وصلته بخالقه ولا يخفى عليك أيضا أن المواد فى أفراد الإنسان مختلفة وكذلك أيضا الروحانيات فمنهم من مادته أقوى من الآخر ومنهم من روحانيته أعلى وأفضل من الآخر وإذا عرفت هذا فالمادية لابد أن تصل إلى حد ما فى الكمال من كل الأنواع فيكون منتهاها أعلى مادة فى هذا النوع . والروحانيات لابد لها من ذلك فتبين لك مما ذكرنا أن من تكلم فى حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم من حيث البشرية . لم يسعه إلا أن ينهى إليه كل مثل أعلى فى البشرية ومن هنا صح قول الأباصيرى رحمه الله تعالى:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

ومن تكلم فى حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم من حيث الروحانية لم يسعه إلا أن يكون كذلك مثلا أعلى فى الروحانية بمعنى انتهاء الأصالة إلى روحانية حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم فى مبدأ التكوين للروحانيات قبل خلق الماديات وذلك كما علم لنا من بيان القرآن الكريم من أن جميع الموجودات كائنة كذلك وكما علم مما تقدم فى كل مكون لله عز وجل ومبدع له تعالى أخذا من قوله جل ذكره (ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) (سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) وذلك من مبدأ أول محدث فى الإبداع وهى أول العبودية للحق عز وجل وحقيقة الحقائق التى خلق بها ومنها جميع الحقائق مصداق قوله تعالى (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) ثم صورها جل شأنه على وفق إرادته ومقتضى حكمته فقال تعالى (فعال لما يريد) (إن الله على كل شىء قدير) وإذا عرفت ذلك وعرفت أن البشرية مخلوقة لله عز وجل كائنة ما كانت وأن إرسال رسل الله تعالى إليهم منهم وكان من مقتضى حكمته العالية أن يكونوا من جنسهم وبألسنتهم ولهجتهم (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) . (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) هذا وقد عرفنا كتابه العزيز كل ذلك من المبدإ للمعاد الذى بين فيه كل شىء وفصل فيه كل شىء ولم يترك فيه بيانا لشىء ومن أهم ما بين لنا سبحانه وتعالى أحوال البارزين من أنبيائه ورسله من مبدأ تطوراتهم فى الوجود إلى نهايتها فكيف لا يذكر لنا حال أبرز البارزين فى الوجود وهو حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم كما هو مأخوذ من بيان الكتاب والسنة على ما قدمنا من مبدأ تطوراته الشريفة بتطور الوجود الإمكانى من أنه

صلى الله تعالى عليه وسلم نور وأنه الحق المخلوق به وأنه الرحمة السابقة وأنه النفس الكاملة والروح الكلية والرحمة الواسعة وأول العبودية فعلى هذا يكون حضرته أول محدث لله عز وجل ولا يخفى على ذى عقل أن الوجود كله عبارة عن عبد ورب فالعبودية لا بد لها من أول ولا تكون الأولية إلا لمن هو أعلا وأفضل الخلق أجمعين ومن هو غيره صلى الله تعالى عليه وسلم إذ لو كان غيره لكان أفضل منه لسبقه فى الفضل ولم يوجد دليل لا فى الكتاب ولا فى السنة على من هو أسبق منه فى الفضل فإذن هو حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم مصدر العبودية أخذا من قوله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين» وفى قوله تعالى (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) فدل ذلك على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل خلق الله ، ومتى كان أفضل خلق الله كان أفضل رسل الله فهو أفضل خلق الله ، فليس بعده فى الفضل إلا الله تعالى . فإذن فحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم أول العبودية والرحمة الواسعة التى شملت كل مكون (وسعت كل شىء)وهو رسول الرحمة للعالمين(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فجميع الأنبياء والمرسلين ما هم إلا نوب عن حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم فى البلاغ فهو رسول الرحمة من بدء الخلق لنهايته كما لا يخفى على ذى عقل ناضج .

فمن أمعن النظر وتأمل بعين الفكر وجد أن حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم قد جمع الله فيه أصول الزوجين من كل زوجين فإن من أراد أن يقف على أصل كمال البشرية ، فإنه لا يجدها تنتهى فى حد الكمال إلا إلى حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم ومن نظر إلى حد كمال الروحانية المودعة فى جميع أنواع الموجودات فإنها لا تنتهى إلا إلى حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم ، فمن نظر إلى أفضل الموجودات وهم بنو آدم فلا ينتهى الحد الأعلى فيهم إلا إلى حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم ، ومن نظر إلى حد الروحانيات من الجن إلى أعلا الكروبيين من الملائكة المقربين فلا ينتهى كمال الروحانيات إلا إلى حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم .

فمن عرف ذلك فقد عرف أن حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم هو العبد الكامل الذى ينتهى إليه كمال العبودية المتحققة فى قوله تعالى (إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا) والمتحقق فى قوله تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده) فهو العبد الكامل الذى تصح إضافته إلى الله تعالى

ولا يعقل هذا ولايستسيغه إلا من نور الله قلبه بنور الإيمان وأفاض عليه من حقيقة اليقين فنسأله تعالى أن يجعلنا منها ويحشرنا فى زمرتهم إنه خير جواد كريم

حكمة تأليف المؤلفين للموالد من أفاضل الأمة الاسلامية

قد عرفت مما تقدم أن أفاضل الأمة الذين دونوا الموالد شعرية ونثرية وسجعا أخذا من بيان الحق عز وجل لشخصيته الكريمة صلى الله تعالى عليه وسلم من مبدأ تطوره الشريف إلى آخر ماهو عليه قبل الآن والآن وما بعد الآن ، وما كان ذلك منهم إلا من توجيه الحق تبارك وتعالى لهم ليقوموا فى هذه الناحية بأشياء شاء تبارك وتعالى إظهارها لعباده . وذلك لأمور : —

أولا : — لبيان حكمته تعالى فيما اختص به بنى البشر ولفت أنظارهم للأمور الهامة وتدوينها لما يحتاج إليها بنو الإنسان الذين لم يأتوا من بعد هذا وقدوفق سبحانه رجالا من أصحاب حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم ورضى الله تعالى عنهم بالتدوين والحفظ والمحافظة لمن بعدهم ، وقد كان ذلك فى كل مستلزمات بنى الإنسان من أمور الدين والدنيا والآخرة وكان من أهم ذلك فى السنة المطهرة السيرة النبوية التى ماترك الأوائل للأواخر فيها شيئاً من البيان تصريحا أو تلويحا .

ثانيا : — توفيقه جل وعلا لهذه الطائفة الخيرة البررة ليؤجلوا أنظار عباده إلى نعمه عليهم وأجلها نعمة — نعمة وجود سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم — فقد قاموا رضوان الله تعالى عليهم ببيان شىء من ذلك بعد ذكر النسب الطاهر والنشأة المكفولة بالعناية الربانية وإسناد الرسالة إليه وتكليفه بالتبيان والبيانات الرحمانية وطرفا مما خصه به تبارك وتعالى من الحفاوة الإلهية وإن كان الواقع والحق والحقيقة لا يعرف قدر محمد إلا رب محمد الذى سماه سبحانه وتعالى تارة بالنعمة . وأخرى بالذكر . وأخرى . بالحق . وأخرى . بالرؤوف . وأخرى . بالرحيم وناهيك بما وصفه به تعالى فى البشرية (وإنك لعلى خلق عظيم) ولا يخفى أن الخلق العظيم هو الجامع لأمهات الكمال التى ماتنتهى البشر فى معرفتها إلا ما أظهر له منها .

ثالثا : — من توفيقه تعالى لهذه الطائفة الخالصة الخاصة ليبينوا العباده لفت نظرهم فيما أوجبه تعالى عليهم من إدامة النظر فى الآيات التى انفرد فى إبداعها جل شأنه ونصبها دلائل على وجوده ولمعرفته وأنه المبدع ومن مهام النظر فى تلك الآيات آيات إبداعها فى أول زمن صدورها وحثهم تبارك وتعالى على إدامة النظر فى ذلك وعدم نسيان زمن

إسدال تلك النعمة عليهم كما هي سنته تبارك وتعالى لعموم بنى البشر فى قوله جل وعلا (يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا) الآية والأخرى (يابنى آدم لايفتننكم الشيطان) الآية والأخرى (يابنى آدم خذوا زينتكم) الآية والأخرى (يابنى آدم إما يأتينكم رسل منكم) الآية وفى الرد على بنى إسرائيل من اليهود والنصارى المعارضين لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم قوله تعالى (يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) الآية وفى حقه تبارك وتعالى لعباده المؤمنين حيث قال جل وعلا (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) فالنعمة التى ألف الله بها بين الأوس والخزرج خاصة وكل من آمن عامة هو حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم . فوجب علينا أن نذكر الله تعالى فى هذا اليوم الذى أنعم الله تعالى فيه على جميع عباده بهذه النعمة العظمى التى هى أجل نعم الله تعالى على عباده أجمعين ليتحقق قوله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ولا تنسى ماحصل من بيان حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم لما دخل المدينة ووجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فقال لم تصومونه فقالوا هذا اليوم الذى نجى الله فيه موسى فقال صلى الله عليه وسلم « نحن أولى بموسى منكم وصامه وأمر بصيامه » الحديث . فكفى بهذا البيان تعيين الذكر ليوم إصدار النعمة فجزاهم الله عن الأمة الاسلامية خير ماجوزى به عامل عن عمله .

رابعا : — أجرى الله عز وجل على أيدى هؤلاء المختصين بتأليف كل مايتعلق بالمولد ليبين لعباده أن نعمه تعالى لاتحصى ولا تستقصى ولا تخصص بأفراد دون أفراد ولا أشخاص دون أشخاص ففيه بيان لمزية المؤلفين فى هذا الشأن بل يختص برحمته وبفيضه وكرمه على من يشاء فليس كل عالم جديرا بذكر كل شىء بل هذا فضل الله يؤتيه من يشاء بل ماقاموا به هو من بيان سنة الله تعالى فى خلقه مما وفق له عباده السابقين من الأمم الماضية الذين كانوا يحرزون قصب السبق فى بيان من يخصهم الله تعالى لمزيد الفضل حتى برزوا فيدونوا عنهم كل فضل ومزية ليعلم الحاضر بحال الماضى ليدأب على تلك المبادىء السامية عله أن ينال منها شيئا خصوصا فى كل من يجمع فى كل عصر على فضل وكمال وصفه وهى من حكمة الحكيم العليم فى ذكر القصص فى كتابه العزيز لعظة الحاضرين بأحوال الماضين فالتدوين والتأليف ماقصد به إلا ذلك فى مثل هذا الشأن ومن أهم ذلك وحسناه التقريب لمن قصرت همهم عن بيان هذا التراث الخالد الذى فيه كبير التنويع لمبدع الوجود ومنوعه.

خامسا: — ليكون قيام هذه الطائفة من تحقيق مصداق قوله تعالى (هو الذى

بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) فمن عرف ذلك فقد عرف أن الله تبارك وتعالى له فى خلقه شؤون وأن فضله وكرمه وإحسانه بالدوام على عباده والاستمرار فى كل عصر وزمان وأن كل منكر ومعارض لمؤلفى الموالد والقائمين باحياء ذكرها فى كل عام لم يصلوا إلى معرفة هذه الآى الشريفة ولو عرف لتبصر أن ذلك كله من توفيقه جل وعلا لعباده وأن حالهم يغاير حال من قبلهم من الأمم الماضية الذين كانت تنزل عليهم الكتب ولا يعلمون ما فيها من البيانات الالهية والارشادات لعباده الربانية . فلم يستنبطوا منها شيئا يستفيدون منه لدينهم ودنياهم وآخرتهم فندد تبارك وتعالى عليهم فى قوله تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدى القوم الظالمين) هذا حال من لم يفقه شيئا فى كتاب الله ولا سنة نبيه كمثل ما مثل الله تعالى به . وأما حال من فقه فقد امتدح الله تبارك وتعالى الراجعين إلى كتابه العزيز وسنة نبيه الكريم فما يحدث لهم من محدثات الزمان التى علم تبارك وتعالى بأنه سيحدثها وأن الحكم فيها يكون مرجعه إلى كتابه تعالى وسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم قال تعالى (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) وخاصة أنه قد أبان جل وعلا حسم النزاع بين المتنازعين المدعيين أنهما يؤمنان بالله ورسوله ويرجعان إلى الله ورسوله فيما شرع لعباده وخاصة عند بدء القيام بعمل المحدث فقال تعالى (فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) فالمراد بالرد إلى الله تعالى كتابه والرسول سنته وذلك بعد أن أسند الله تبارك وتعالى إلى حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم البيان والتبيين قال تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم) فلعلك قد عرفت حكمة تأليف المؤلفين للموالد والمداحين لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم . فهذا هو مصدرها ومنشأها وبيان حكمتها والله يهدى من يشاء ويوفق من يشاء لما يشاء وهو الفعال لما يريد .

وأما قول من يقول لم يكن ذلك فى زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو فى زمن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أو التابعين أو تابعيهم فقد بينا ذلك فى غير ما موضع فى هذا أو غيره وقد أكثرنا ذلك لكل من يصادفه (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه) فالتأليف فى المولد من أهم بيان سنة الأقوال للفتح

نظر العباد إلى ذلك وأصله ما ورد عن الحق عز وجل فى قوله تعالى : (ألم يجدك يتيما فآوى) وما جاء فى بيان السنة المطهرة فى أول مدون فيها . السيرة النبوية كحديث قراءة سورة الكهف يوم الجمعة وكحديث الصلاة والسلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عقب الأذان وغيرها من أحاديث سنة الأقوال التى شاء الله تعالى بيانها فى الأزمنة التى شاء أن يبينها فيها وغيرها كثير من الأحكام التى جعل الله تعالى أصلها فى كتابه العزيز وأجرى على قلب ولسان نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم التكلم بها لأجل إذا ما شاء تعالى بيانها وإظهارها واستحداثها يكون لها الأصل والصدارة فى الكتاب والسنة لتكون دينا لا بدعة مذمومة ضلالة فمن وفقه الله تعالى وعلم مصدرها من الكتاب والسنة علم أنها دين لله تعالى وبينها على لسان حضرته فتكون من سنة الأقوال لا بدعة مذمومة ليس لها أصل فى الكتاب والسنة .

سادسا : — بتوفيقه تعالى لمؤلفى الموالد ليبينوا للناس بعض مميزات حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم بما خصه تعالى به دون أنبيائه ورسله من كون حضرته أفضل خلق الله تعالى على الإطلاق وأن بنى آدم أفضل ما فى الوجود وأفضل بنى آدم الأنبياء والرسل وأفضل الأنبياء والرسل حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم ضرورة أن مفردات الموجودات فى كل نوع منها يوجد فيها فرد هو أعلاها ولا يوجد معه أعلا منه فى مكوناته تبارك وتعالى بالكتاب والسنة والاجماع . علم أن حضرته كان كذلك فلا أعلا منه فى الفضل إلا الله تبارك وتعالى . لحضرته مصدر العبودية وأولها وحقيقة الحقائق الأولية بصريح الكتاب والسنة إذ لا يخفى أن أول مخلوق لله تعالى فى عالم الذر هم بنو آدم حين أخذ عليهم العهد بعد خلق الحقيقة الأولى قبل خلق كل شىء قال تعالى (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) الآية ولا يقدح فى كون حضرته آخر الأنبياء والرسلين إذ هى سنته تبارك وتعالى فى بدء المكونات بالأفضل ثم فى الظهور بعد أن أوجد له كل شىء من الموجودات بطريق التدلى فى الظهور من الأنوار النورانية إلى الأجرام النورانية فالجواهر الفردية فالمواد الجسمانية فالمستلزمات فيها للمفضلين فى الدنيا والآخرة مع تسخيرها وتذليلها لهم فى كل نوع منها بحسبه . ثم أوجد المفضل الذى أوجد له كل شىء قبل وجوده وهو آدم عليه السلام أصل البشرية الإنسانية .

فسنة الله تبارك وتعالى هكذا مع حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم قال تعالى (ولن تجد لسنة الله تبديلا) فبعد أن أوجد عز وجل أفضل المفضلين وأرسلهم لعباده تعالى

وجعل كل واحد منهم يلهج باسمه وينهج على منوال سابقه بوصفه ونعته مصداق قوله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) الآية وقوله تعالى (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) الآية .

ثم اقتضت الحكمة الإلهية والعناية الربانية باظهار السر المصون والحق المكنون في عالم الظهور كما وعد جل شأنه عباده السابقين واللاحقين به .

أليس هذا جديرا بذكر بعض مزاياه الشريفة وخصائصه اللطيفة

سابعا : ـ من أهم التأليف في هذا الشأن وجمع مبادىء الحقائق تبيين ذكرها في كل شيء تحدثا بنعم الله تعالى وبالتحدث كما أمر تعالى يكون الثواب والأجر للذاكر والمحدث على أى وجه يقدمه للسامعين الطالبين لذلك الراجين للثواب كما وعد جل شأنه سواء أكان شعرا أو على أى نوع منه أو نثرا مسجعا أو غير مسجع وإن كان الغالب فيه الشعر على مقدار ما يلهم الشاعر وهو ممدوح شرعا على كل حال وخاصة في مثل هذا المقام ولطالما ذكر الشعر بين يدى حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم وشجع قائله وكافأه وكثيرا ما تمثل بقول الشعراء على حسب ميول العرب وإن كان الله تعالى حماه وحفظ قريحته الشريفة من تأليفه وتعليمه قال تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغى له) الآية

وإنا نرى بعض الخوارج ينكرون على بعض الأجلة المؤلفين ويقولون فيه زيادة إطراء كقولهم في البوصيرى رضى الله عنه حيث قال في حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم :

فمن جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

فكأنه رضى الله تعالى عنه عالم بهم وبما يقولونه في حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال في الهمزية :

كيف يهدى الله منهم قلوبا حشوها من حبيبه البغضاء

حقا تعجز مداركهم وتقصر مشاعرهم وتعمى بصائرهم عن إدراك ذلك فأين هذا من قول خالقه جل وعلا (وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) وقوله تعالى (فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) ولا تنسى الآية الجامعة المانعة في قوله تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم)

فلعلك قد عرفت حكمة تأليف المؤلفين للموالد والمادحين لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم في القصائد فهذا هو مصدرها ومنشأها وبيان حكمتها ومن أهم التأليف

فى المولد كما لا يخفى على كل ذى عقل متعقل :

الرد على هؤلاء المنكرين . وإن تشأ فقل : ـ علم ربك تبارك وتعالى أنه سيظهر فى عصر ما من يقول منهم بالتنقيص فى قدر حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم والتسوية له فى البشرية من كل الوجوه ، وهو الباطل المعارض للحق كما هى سنته تبارك وتعالى فى خلقه ، فقيض رجالا وفقهم لبيان ما ورد بخصوص حضرته وتدوينه فى مؤلفاتهم وتقريبه لمن قصرت هممهم عن ذلك فيكون ردا على هؤلاء المنكرين والله يهدى من يشاء ويوفق من يشاء لما يشاء وهو ولى التوفيق .

الفصل الثانى

فى حكمة القيام عند ذكر ولادته الشريفة صلى الله تعالى عليه وسلم

والرد على منكرى ذلك

لا يخفى على كل عامل أن كل مخالف لما عليه إجماع المسلمين فهو من المارقين من الدين بصريح السنة وما هو إلا من منشىء المنافقين الذين كانوا فى عصره صلى الله تعالى عليه وسلم الذين نشأ عنهم الخوارج فى زمن الصحابة والتابعين فهو من سلالة هؤلاء وهم يظهرون فى كل عصر وجيل فيقيض الله تعالى لهم من يجاهدهم ويقطع أوصالهم بالحجج والبراهين ، فأنت تعرف من إنكارهم ما عليه إجماع المسلمين من قيامهم عند ذكر ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم وإنكارهم على ليلة المولد بالذات قائلين تلك ليلة خلت وما أدرانا بأنها هى هذه بالذات حتى يعملوا فيها هذه العمليات وهم غير متحققين منها خاصة مع تطاول الأزمان وتداول الأيام والليالى وتلك نزعتهم الشيطانية فى هذه المسائل ولو أنهم ممن يعقلون أو يريدون الرشد لكفاهم إجماع المسلمين على ذلك ، إذ هو الحجة العالية فى الدين بنص كلام رب العالمين وصريح سنة سيد المرسلين .

نقول : لا يخفى على ذوى العقول الراجحة والبصائر النيرة المتيقنة أن القيام من الحاضرين الذين يستمعون قصة المولد الشريف أمر قد استحسنه عقلاء الأمة ودأب عليه الناس إلى يومنا هذا وأن الحكمة فى ذلك هى استحضارهم لعظمة الله تعالى المنعم عليهم بأعظم نعمة قد تفضل بها على عباده . تلك النعمة التى كانت الدنيا تنتظرها . فهم وأسلافهم من قبل القبل يقومون ابتهاجا بأولية ظهور ذلك النور الذى سطع على

الوجود نعمة وغمره بالسرور وهز العواطف وآثار الشعور ولاستحضارهم الآيات الإلهية التي كانت وقت ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم : وفرحا برضوان الله تعالى عليهم بأن جعلهم من هذه الأمة التي لها الخصائص والبشارات في الكتب المقدسة من قبل وقد تمنى حتى الأنبياء والمرسلون أن ينالوا هذه الحظوة والحبوة بأن يكونوا من هذه الأمة كسيدنا عيسى عليه السلام وحقق الله له ذلك الصلاة عليه وسيدنا موسى عليه السلام كما هو مبين في السنة .

فقيام الجالسين ما هو إلا امتثالهم لأمر رب العالمين حيث أمر عباده أن يذكروه عند سبب ذكر النعمة والقيام لبعث الهمم وحملها على الإخلاص رجاء قبول الذكر وهو صلاتهم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم حيث أمرهم بذلك على الدوام والاستمرار وعلى أية حال من الأحوال وبسبب وبدون سبب قال تعالى (صلوا عليه وسلموا تسليما) والمصلي على حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم ذاكر لله تعالى وأن القيام بالذكر والوقوف على الأقدام سنة متبعة وهي أعلى المراتب فيها وأولاها حيث قال تعالى (والذاكرين الله كثيرا) وقد جمع عقلاء الأمة على أنه لا يعد الإنسان ذاكرا لله كثيرا إلا إذا ذكر الله تعالى قائما وقاعداً وهم يصلون على النبي قعوداً وقياما والصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر لله تعالى وذلك للتبصرهم فيما جاء في السنة المطهرة من أن الملائكة يتداعون إلى المجتمعين على الذكر وأنهم لا يتفرقون إلا وقد غفر لهم لأنهم يذكرون الله تعالى لسبب هو أعظم الأسباب ونعمة لا تعادلها نعمة وفخر للإسلام والمسلمين لا يعادله فخر وشرف وعز لا يعادلهما شيء وحيث كان الحامل عليه ذكر الله تعالى والصلاة على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد حث الله تعالى عليهما عباده في كتابه المبين وجاء في بيان سنة سيد المرسلين فهو من الدين والوقوف لهما شعيرة من شعائر الله تعالى وقد قال جل ذكره (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) وكيف لا وقد أجمع عليه عقلاء الأمم سلفا وخلفا والإجماع حجة في الدين والأمة هي المعصومة بدعوة نبيها صلى الله تعالى عليه وسلم « لا تجتمع هذه الأمة على الضلالة وما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن » لعله قد لاح لك مما ذكرنا أحسن دليل من الكتاب والسنة على أن القيام عند ذكر ولادته الشريفة من الدين وجاء بهذا كلام رب العالمين وأرشد إلى فعله سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وإن حالة القائمين في هذه اللحظة لم تخرج عن كونها ذكرا لله تعالى وطلبا منه جل ذكره أن يصلى على حبيبه وما هو إلا امتثال لأمره تعالى حيث أمر عباده أن يذكروه على

النعمة قال تعالى (وإذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون) وقال تعالى فى حق هذه الأمة (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) وهذا الذكر والصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طاعة لله تعالى وهى شعيرة من شعائر الله تعالى على ما قدمنا .

وهنا نذكر لك مسألة دقيقة لا تخفى على ذى عقل متعقل فى الكتاب والسنة أن الموجودات جعلها الله تعالى على حالتين : ــ مادية وروحانية على ما قررنا فى هذا الباب وغيره من أن الموجودات كذلك وخاصة ابن آدم المتعقل لهذه النعمة الكبرى واستحضار عظمتها عند بدء ظهورها فإن روحه تضطرب وتهتز لأثر تلك النعمة العظمى فتبعث الجسم على القيام إجلالا بذلك الفضل الأكبر فيكون الباعث فى ذلك أثر الروح الأعظم الذى بذكره توجل القلوب وتضطرب الأجسام وتهيم فرحا بذكر ذلك الأمر الجليل الذى تخشع لذكره الموجودات . هذا ولك أن تقول بعد أن عرفت أن أرواح الموجودات لابد أن يكون لها أصل كلى ترجع إليه عند النهاية إلى أصل التكوين وأن هذه الأرواح المتفرعة من ذلك الأصل كلا يصدر منها وعنها وخاصة فى طاعة الله ومرضاته وأهمها الذكر الذى قال تعالى فيه (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) وخاصة أن داعيه تذكر بدء هذه النعمة فإذا حصل ذلك كله فلابد من اتصال ذلك الفرع إلى هذا الأصل العظيم الذى تنبعث منه جميع الفروع فلان من اتصالها به وتشوقها إليه حتى تتحقق تلك الصلة بذلك الوصول وإذا كان هذا محققا فى الجمادات أفلا يكون بطريق الأولى فى الإنسان الذى جمع الله تعالى فيه أنواع الكمال وما هى الكهرباء التى فيه والتلغرافات اللاسلكية والتليفونات ذات الأسلاك والمغناطيسات المعدنية والإحساسات الروحانية إلا وهو متحقق بجميعها وإذا كنت ترى الجماد الذى فيه ذلك يتصل بفروعه أفلا يكون ذلك فى الإنسان الذى هو أعم وأشمل من هذا الجماد ؟ وإذا كنت تعرف وجه صلة العابد بالمعبود والمحب للمحبوب عرفت ما قررنا وكذا أيضاً وجه تحقيق امتثال الأوامر واجتناب النواهى وما هى صلة العبد بربه وما هو قربه إليه تعالى فلا يكون إلا كذلك وهو مثال لنتائج العبادة وثمرتها وفائدتها التى تعود على العابد من المعبود .

وهنا نذكر لك أيضا مسألة أدق وأرق مما ذكرنا هى أن هذا القيام لم ينشأ إلا عن تحقق وحقيقة وهى أن الله تعالى جعل فى عباده درجات الوصول والقرب متفاوتة فمنهم من يكون دأبه على دأب بدء الرسالة من الرؤيا الصالحة ومنهم من ترقى فى هذا

إلى ما هو أرقى منه وهو المشاهدة واللقى وهذا لمن يرى الروحانيات التى هى من شأن غيره لا ترى له إلا فى النامات وهو يدركها عيانا ويشاهدها يقظة غير أنه تعطل منه الحواس الظاهرية فيراها على حقائقها الظاهرية . ومنهم من كمل ظاهره وباطنه وقويت روحه وغلبت على مادته فيراها حقيقة يقظة بدون تعطل حواس ظاهريه وهذا ما يسمى الإنسان الكامل الذى تحققت فيه العبودية (ياعبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) وهذا العبد إذا وصل إلى هذا المقام يسمى بالجامع بين الضدين الدنيا والآخرة وعالم الأنوار وعالم النار يرى الملائكة والجن والأحياء والأموات وهو الذى يشاهد سيد العالمين على الدوام والاستمرار ومن هذا تعرف وجه قول كل من قال من أهل الكمال فى هذه الأمة « لوغاب عنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسى من المسلمين » وهذه مسألة دقيقة لاينكرها إلا كل من قصر عقله عن إدراكها وإلا فما نتيجة قوله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وكذا قول الصادق المصدوق صلوات الله تعالى وسلامه عليه « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما — الحديث » وكذا قول الحق عز وجل فى الحديث القدسى المروى فى جميع كتب السنن « فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى — الحديث » وبهذا يتضح لك من بدء الأمر — أن حال من استحسن القيام عند ذكر هذه الحالة قد شاهدوا تشريفه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم وعاينوا طلعة ذلك المثل الأعلى عند ذكر اسمه واللهج به والابتهال إلى الله تعالى به فيكون صلى الله تعالى عليه وسلم عندما يلوح لهم النظر إليه كالقادم عليهم فوجب القيام لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الحديث المشهور فى السنة « قوموا إلى سيدكم — الحديث » فيا أخى إذا كان الثابت فى صحيح السنة أن الملائكة تحضر عند تلاوة القرآن بنص الكتاب والسنة أفلا يكون حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم يحضر بطريق الأولى عند الصلاة عليه وإذا عرفت أن الأصل فى القيام حضوره صلى الله تعالى عليه وسلم لمشاهدة من يشاهدونه فمنهم سرت وصارت إلى وقتنا هذا مع غير المشاهدين تشبها بهم لعلهم يفوزون بتلك الحظوة الكبرى والنعمة العظمى والله يختص برحمته من يشاء وهناك مسألة أخرى وهى مسألة الدعاء والطلب من الله تعالى فى ذلك الوقت .

لا يخفى أن الله تبارك وتعالى شرع لعباده الطلب منه دائما على إثر طاعة وغيرها قال تعالى (ادعونى أستجب لكم) وفى تقديم الطاعة على الطلب قال تعالى (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا) وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

« ما أذن الله لعبد فى الدعاء حتى أذن له فى الإجابة » رواه أبو نعيم عن أنس وعند البخارى وأحمد والترمذى عن جابر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ما من أحد يدعو بدعاء إلا أتاه الله ماسأل أو كف عنه من السوء مثله مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم » .

وروى أبو نعيم وأحمد عن أنس رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « ما اجتمع قوم على ذكر فتفرقوا إلا قيل لهم قوموا مغفورا لكم » هذا يا أخى وإن كان الله الكريم شرع لعباده الطلب منه لسبق طاعة ولغيرها ولكن مع تقديم الطاعة يكون أرجى فى القبول وأجدر فى التحقيق وهؤلاء قد ذكروا الله تعالى وصلوا على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فهم حريون بتحقيق مطالبهم بأن الكريم لايخيبهم كما هو نص الأحاديث الشريفة السابقة وهذا لا ينكره ولا يعارض فيه إلا كل مكابر بدون حق وليس له أى مستند يعول عليه إلا قوله بدعة وفى نظره أن البدعة هى التى لم تكن فى زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم ويجهل أن هذا كله جاء به الدين فى كلام رب العالمين وبيان سنة سيد المرسلين على مابينا لك فى هذا الباب وفى غيره وما من مسألة فيه استحسنت إلا مردها إلى الكتاب والسنة والله يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم قال تعالى (وبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) .

ومن أقوى دواعى الأدلة للقائمين عند ذكر ولادته الشريفة صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مما لا يخفى على من له أدنى إلمام وذوق سليم من أن حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم يحضر مجلس من يصلى عليه عامة ولا يغيب عن أحبابه خاصة كما هو مدون فى بطون الكتب المهمة التى تظهر لمن له أدنى اطلاع عليها وخاصة كتب المرائى لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم منها ما للمحدث العلامة ابن أبى جمرة رضى الله تعالى عنه وما للامام الغزالى رضى الله تعالى عنه ولغيرهما كثير .

وأما أهل هذا المشهد الشريف فهو عندهم حالة مسلم بها حتى لا يتحدثون عنها أمام المنكرين المعارضين ، ولذا قال العارف بالله تعالى :

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه غدا بالروح يشريه

ولقد حدثنى شيخى فى القراءات الشيخ خليل عامر أنه سمع بأذنه من لسان شيخه أبى يوسف المرزوقى أنه جلس يصلى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالصيغة

المعروفة بالطبية فقال : اللهم صل على سيدنا محمد طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ونور الأبصار وضيائها فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم : وروح الأرواح وسر بقائها يا أبا يوسف اقرأ قوله تعالى (وتقلبك فى الساجدين) .

أفلا يكفى هذا دليلا على حضور حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم للمصلى على حضرته؟

وإليك ماحدث لى شخصياً وأنا المحدث بنعمة ربى المنان ذى الفضل والإحسان أقول محدثا بكرمه وهو أنى جلست مرة أصلى على سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم فحضرنى صلى الله تعالى عليه وسلم والصديق رضى الله تعالى عنه وجلسا عندى نحوا من ساعة وتحدث صلى الله تعالى عليه وسلم معى وسألت حضرته وأشياء فى أمور كثيرة لاداعى لذكرها خشية الإطالة ، ومنها أنه كانت بى علة عظيمة أعيت الأطباء فقلت لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم هذه علة ظاهرة أعيا الأطباء علاجها فقلت لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم هذه تؤلمنى ياسيدى يارسول الله فمد أصبعه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم ووضعه على العلة الظاهرة البارزة فطارت كأن لم تكن حدثت بها كل من كان يعرفها فاطلعوا عليها فلم يجدوا لها أثرا أليست هى أخت مسألة سيدى على أبى شباك ابن أخت سيدى أحمد الرفاعى :

* فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى *

وقد كان ، وما ذكرت ذلك إلا لمناسبة حضور حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم عند المصلى عليه ، وأما حضوره عند أحبابه فيما يحصل لهم من نوائب الدهر فكثيرة جدا فهى من مصداق قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « لا يشاك أحدكم بشوكة إلا وأشعر بها قبل أمه » صدق الله العظيم حيث قال (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وقد قال البوصيرى رضى الله تعالى عنه :

ما رامنى الدهر ضيما واستجرت به إلا وجدته لخلاصى خير مستلم

ولو أردت أن أتكلم فى رأفته ورحمته بعباد الله وحضوره صلى الله تعالى عليه وسلم لحوادث الزمان لأحبابه لضاق بنا المقام ولخرجنا عما نحن فيه وهو حضور حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم عند المصلين على حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم سواء كان فردا أو جماعة وهو أعم وأشمل ،وكان يكفينا المأثور عن السنة أفاضل الأمة وهم علماؤها من قوله الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم « ماذكرت فى مجلس إلا وحضرت » والحمد لله قد شاهدنا ذلك كما شاهد أفاضل الأمة ، وإذا كان العالم أو الولى إذا ذكر فى مجلس يحضران كما شوهد ذلك أفلا يكون سيد العالمين أولى ؟

وإليك ما حدث لى أيضا وهو أنه لما وصلت إلى الصيغة المشهورة بالنارية وهى: «اللهم صل صلاة كاملة وسلم سلاما تاما على سيدنا محمد الذى تنحل به العقد وتنفرج به الكرب وتقضى به الحوائج وتنال به الرغائب وحسن الخواتيم ويستسقى الغمام بوجهه الكريم وعلى آله وصحبه وسلم فى كل لمحة ونفس عدد كل معلوم لك يارب العالمين» فأعجبتنى وصممت على أنى أصلى بها ليلة الجمعة ألف مرة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فلما كان من ليلة الجمعة وجلست أصلى بها على حضرته فما تلوتها نحو خمسين مرة إلا ورأيته صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لى: «صل بالصلاة الخفيفة الصغيرة التى تعودتها هذه طويلة عليك» فقلت فى نفسى صدق الله حيث قال : (بالمؤمنين رءوف رحيم) دنيا وأخرى أولم يكف هذا دليلا على حضور حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم عند ذكر المصلين عليه صلى الله تعالى عليه وسلم . أولم يستحسن القيام لحضور حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم ؟

(حادثة الهند)

وإليك حادثة الهندى التى كانت سببا فى تأليف كتاب خاص فى ذلك وهو أن ملك حيدر أباد الدكن أحيا ليلة المولد الشريف ودعا فيها عظماء وكبار رجال الدولة من العلماء والوزراء والأعيان والأمراء ثم لما تلى المولد الشريف وجاء ذكر ولادته الشريفة قام السلطان والناس جميعا إلا عالما موظفا بالدولة وفى الحقيقة ليس بعالم غير أنه ممن رفعهم الزمان وهم ليسوا أهلا لذلك فهم على رأى القائل :

تحط صروف الدهر كل مؤدب ... وترفع أقواما يستوجب الحط
موسى كلم الله بالشام راعيا ... وفرعون فى مصر له الحل والربط
فلا خير فى الدنيا ولا فى نعيمها ... ما حطت البازات وارتفع البط

ولقد رحم الله تعالى القائل :

إنا نرى نفرا عند الملوك سموا ... ومالهم همـة تعلو ولا ورع
وأنت ذو همة فى المجد عالية ... فلم ظمئت وهم فى الجاه قد كرع
قلت باعوا نفوسا واشتروا ثمنا ... ولم أذل النفس واخضع كما خضع
فقد يكرم القرد إعجابا بخسته ... وقد يهان لفرط النخوة السبع

فلما كان من أمر ذلك الشيخ المتقدم فى وظائف الدولة البعيد عن الدين وإجماع المسلمين فقد ألف قارىء المولد فى ذلك الحفل ، الشهم الهمام والعالم العامل بالتمام عين

قضاة حيدر أبادى وطنا ، واللكنوى سكنا ، فى ذلك كتابا سماه « نهاية الإرشاد بليلة احتفال الميلاد » طبع بالهند سنة ١٣٣٧ هـ خاصا بالرد على منكرى القيام عند ذكر ولادته عليه الصلاة والسلام وتعيين هذه الليلة بالاحتفال قال فيه فى صفحة ٧٨ ما نصه: « أما القيام التعظيمى المستحب فهو القيام الذى يترتب على العظمة الدينية بغرض دينى وهذا هو المستفاد مما قال الإمام النووى فى الجزء الذى صنفه فى إكرام الكرام بالقيام. وقال فى صفحة ٨٦ منه :

وهذا مما نقله الإمام النووى فى الجزء المذكور : لأن القيام عند القدوم لا يقصد به القائم إلا مجرد تعظيم من يقوم له . وقال فى صفحة ٨٩ « هو القيام المستحب كما أشار إليه الإمام النووى فى جزئه المذكور وقال الله تعالى : (ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه) وقال تعالى : (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) وقد قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لغيره قياما تظهر به عظمته وكذا الصحابة وأئمة الأعصار وقد قاموا تعظيما أى لغيرهم . وقد قال فى صفحة ٩٢ منه : أن القيام الميلادى إنما يقاس على القيام الأنصارى لإثبات الشرعية وإن قيل : القيام الأنصارى هو الحضور البصرى للمعظم وهو مفقود فى القيام الميلادى وقال فى صفحة ٩٣ : إن القيام الحضورى البصرى هو عين القيام العلمى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مقام الحضور البصرى

وقال فى صفحة ١٠١ : قال الإمام النووى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم يحضر عند ذكر ولادته للمصلين عليه . ألا ترى المسلم عليه فى تشهده عند قوله : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله والكاف لا تسند إلا إلى المخاطب الشاهد المعاين ومنها تعرف أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يغيب عن مخاطبيه حتى يغيب عن المصلين عليه ، فالقيام عند ذلك حتم لازم ولا ينكره إلا كل من قصر عقله عن إدراك ذلك .

وأما قولهم: كيف يحيون هذه الليلة بالذات وهم لا يعرفون متى حصل ذلك لتقادم العصور، وتداول الأيام والليالى والساعات ومرور الدهور والشهور والأعوام فانا نرد عليهم ولا نطيل الكلام فى ذلك لقصر عقولهم وعدم تمييزهم بين الحق والباطل؛ إذ قولهم هذا قول من كانوا ينسبون الشهور ويحولونها إلى غير أصولها بل إلى من كانوا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ولم يفطنوا إلى أن هذا يقدح فى أصول دينهم . إذ قولهم هذا يطعن فى يوم عرفة وفى يوم النحر وفى ليلة القدر وفى ساعة يوم الجمعة وفى ليلة النصف من شعبان ويوم عاشوراء وفى الليالى العشر وفى حديث « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات

والأرض ـ الحديث » فأنت ترى كل مخالف لإجماع المسلمين المفارق لهم المارق من الدين لا يوفق إلى الصواب ولايهتدى إلى الحق أبداً فهم عمى البصائر كما أخبر الحق عز وجل عنهم فى قوله تعالى : (ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما) وقال تعالى : (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا) وقال تعالى مخبرا عن مآلهم واستفسارهم عن سبب عماهم وقت قيامهم من القبور على خلاف عادتهم فى الدنيا فيجيبهم الحق عز وجل بقوله بعد أن أوضح لهم السبل وأنار لهم الطرق وأبان لهم كل شىء وقطع حجتهم بذلك بقوله تبارك وتعالى : (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) وما أصابه ذلك وماناله وما حل به إلا لإعراضه عن إجماع المسلمين ومخالفته لهم تابعا الضال ونسج على منواله ونهج طريقه واتبع هواه ولذا ترى الضال منهم فى مسألة هو ضال فى جميع المسائل فنسأل الله تعالى العفو والعافية من ذلك

الفصل الثالث

فى الدليل من الكتاب والسنة والإجماع على اهتمام المسلمين بإحياء مولد سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم

نقول: إن إجماع عقلاء الأمة الإسلامية سلفا وخلفا على إحياء مولد سيد المرسلين سيدنا محمد ابن عبد الله ورسول الله تعالى إلى الناس كافة من عهد قديم وزمن طويل من القرن الثالث الذى هو داخل تحت قوله الشريف «خير القرون قرنى ـ الحديث» ودأب عليه المسلمون أعواما بعد أعوام وأجيالا بعد أجيال ومن المقرر عقلا ونقلا لا تجتمع هذه الأمة المحفوظة بدعوة نبيها صلى الله تعالى عليه وسلم على الضلالة ولا يخفى أن الإجماع هو الحجة الثالثة فى الدين بنص كلام رب العالمين والمفارق لهم المنكر عليهم فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه بنص الكتاب والسنة ، أما الكتاب فقوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) والسنة قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « من فارق الجماعة قيد شعرة ـ وفى رواية ـ قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه ـ الحديث» رواه أحمد وعقلاء الأمة هم علماؤها أهل الحل والعقد فى كل عصر وأنه لا يخفى على كل ذى عقل أن عقلاء الأمة لا يستجيزون شيئا من مستحدثات الكون الإلهى إلا ويكون الكتاب العزيز قد لفت أنظارهم إليه فما

أحله الله تعالى لعباده والسنة المطهرة مرشدة إليه ليكون البيان فى الكتاب والسنة مشتملا على بيان كل شىء وتفصيل كل شىء وما فرط الله تعالى فيه من شىء وهذا هو وجه صلاحية القرآن والسنة لكل زمان إلى آخر أيام الدنيا وعليه جاء البيان الشريف ممن لا ينطق عن الهوى وإجماعهم على عمل المولد الشريف والاحتفال به ما هو إلا الاقتداء برب العالمين حيث قال عز من قائل فى بيان فضله تعالى عليه وتعداد نعمه لديه ودفع الوحشة عنه وبيان الاستئناس به ودوام رعايته له ولطفه وحباوته وعظم قدره عنده تعالى فقال له جل شأنه (ألم يجدك يتيما فآوى) قال العلامة البيضاوى فى معنى هذه الآية : تعديد لما أنعم عليه تنبيها على أنه كما أحسن إليه فيما مضى سيحسن إليه فيما يستقبل إن تأخر . أقول لعل العلامة البيضاوى أشار بقوله «كما أحسن إليه فيما مضى» يريد به ما جاء فى بيان السنة فيما عمله الحق عز وجل وأظهره لعباده من الأفراح الكونية والابتهاج العام الذى عم الموجودات فى المكونات من خرق العادات التى لم تسبق لغيره من أمثاله من جميع الأنبياء والمرسلين فالإحسان إليه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من كل الوجوه عمل الأفراح وشمول المكونات بالنعماء وتسخير خلقه إليه بالعطف والحنو والكفالة والرعاية كل ذلك يدخل يا أخى تحت قول العلامة «كما أحسن إليه فيما مضى» وكما يؤخذ أيضا من عبارة العلامة الألوسى فى قوله فى معنى هذه الآية تعديد لما أفاض عليه صلى الله تعالى عليه وسلم من أول أمره إلى وقت النزول من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على الترقب الموعود فيزداد قلبه الشريف وصدره الرحيب طمأنينة وسرورا وانشراحا وحبورا .

وقال الإمام الفخر إن اتصاله بما تقدم هو أنه تعالى يقول «ألم يجدك يتيما» فقال الرسول بلى يارب فيقول أنظر كانت طاعتك فى ذلك الوقت أكرم أم الساعة فلابد من أن يقال بل الساعة فيقول الله تعالى حين كنت صبيا ضعيفا ما تركناك بل ربيناك ورقيناك إلى حيث صرت مشرفا على شرفات العرش وقلنا لك لولاك لولاك ما خلقنا الأفلاك أتظن أن بعد هذه الحالة نهجرك ونتركك ونقلاك انتهى . قد تبين لنا من كلام أئمة التفسير حباوة الحق عز وجل بحبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم وتذكيره إياه بما أنعم به عليه من الرعاية والحماية والكفاية من حين ولادته إلى تبليغ رسالته ولفت نظره الشريف إلى بيان إكرام الحق عز وجل له وما صنع معه يوم ولادته وبأمه حين حملته ووضعته كما أخذ عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى صريح السنة وفيما روى فى السير التى هى أول مؤلف ألف فى الدين الإسلامى وتأسيس قواعده وأولاها وأهمها بيان نسبه الشريف

وتزوج أبيه بأمه .وما روى عنها فيها بصحاح الأسانيد المتواترة فيها من حمله صلى الله تعالى عليه وسلم وليلة ولادته من خرق العادات لها وإظهار الإرهاصات من الآيات البينات التى رأتها وروتها عنها الأئمة الثقات فى السيرة وبما روى عن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف فى صحيح السنة وكما قال صاحب ينابيع المودة ـ وفى المشكاة عن الأباض بن سارية عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : ـ « إنى عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمجندل فى طينته وسأنبئكم بتأويل ذلكم وإنى لدعوة إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمى التى رأت حين وضعتنى وقد خرج منها نور أضاءت منه لها قصور الشام وكذلك أمهات النبيين » رواه فى شرح السنة ورواه أحمد أيضا وفى جمع الفوائد قال أحمد والكبير والبزار اه منه . وإنى أرجع بك إلى الآية الكريمة وألفت نظرك إليها مع تأملك فى قوله تعالى (فـآوى) فانظر يا أخى إلى إيواء الحق عز وجل وكيف تكون رعايته وحمايته وكفايته بأفضل مكون فى الوجود أليس يدخل فيها وهو فى بطن أمه وحين نزوله فى الدنيا وما قام به الحق عز وجل من عمل الأفراح التى بحيث لو كان أبوه صلى الله تعالى عليه وسلم موجودا لما عمل شيئا إلا ما كان فى طوق البشر ولكن الحق جل وعلا أدخل فى إيوائه له ما قام به جل علاه مالم يقم به لغيره من إخوانه جميع الأنبياء والمرسلين من خرق العادات مما ظهر لأمه صلى الله تعالى عليه وسلم وروته عنها الثقات وقابلته التى تلقته على يديها حين نزوله من بطن أمه وكساء الشمس ضوءا ونورا لم تكس بعده ولا قبله مثله ومما حصل لجميع النساء اللاتى حملن فى عام حمله فولدن كلهن ذكورا إكراما لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم وكساء الأرض خصباً وجودة حتى أصبح مشهورا بعام الجود والفتح فهذا هو تفريع الحق جل علاه بولادته وهذا هو القيام بعمل الفرح الذى عم الكرة الأرضية إذ فى العادة ما من مولود يولد إلا ويسر به أهله وقد يشعر بولادته من فى البيت أو من حوله من الجيران وإذا أظهروا فرحا تشعر به أهل الجهة أو البلد كلها إن كانت صغيرة وكان أبوه عظيما وهاك سيد العالمين الذى قد أحدث عند ولادته خرق العوائد حتى ما من أحد إلا وسمع بولادته بتساؤله عن أسباب تلك المستحدثات الفارقة للعادات فما كان الجواب إلا أن يقال ولد مولود مبارك ميمون وتسأل كل حذاء من علماء الفلك والكهان ومن تنزل عليهم الشياطين وتبادلوا الرسائل فى ذلك الشأن بأن ملك هذه الأمة قد ظهر خصوصا لما حصل من إخبار الشياطين للكهان بحجبها عن السموات جميعا إلى السماء الرابعة وإخماد نار فارس وتنكيس الأصنام وتصدع

إيوان كسرى أليس هذا كله يدلك على تكريم الحق عز وجل لحبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم
وأليس يحسن من المسلمين المؤمنين أن يقتدوا بخالقهم بالاحتفال بذلك المولد الشريف
وأيضا يندرج تحت إيواء الحق عز وجل تسخير قلوب المحبين له الأقربين منه صلى الله
تعالى عليه وسلم كجده وأعمامه حتى عدوه كأبى لهب حين سر وبشر بولادة زوج أخيه
عبد الله ذكرا وأخبرته جاريته ثويبة فأعتقها وأمرها بإرضاعه وفى السنة تخفيف عذابه
لذلك كل يوم اثنين وقد قال العلامة السيوطى :

إذا كان هذا بالنص جاء ذمه وتبت يداه فى الجحيم مخلدا
أتى أنه فى يوم الاثنين دائما يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذى طول عمره بأحمد مسرور مات موحدا

وما حصل لحليمة وشفاء الشلاء وإخصاب عيشها وعيش بلدها وتحبيبه إلى جده أكثر
من سائر أبنائه وهو أولاهم فى عطفه عليه ثم إلى عمه أبو طالب وهذا باعتبار الظاهر
فى معنى الإيواء والكفالة وفى الباطن تربيته التربية الإلهية ونشأته كذلك حتى كان
مغايرا لأمثاله فى السن فى التربية والأخلاق ليكون مصداق قوله صلوات الله تعالى
وسلامه عليه « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » حتى امتدحه الحق عز وجل بقوله تعالى
(وإنك لعلى خلق عظيم) وهذا بالتحقيق يندرج تحت الإيواء ومن يقول : الإيواء
الكفالة فقط فقد أجحف بمدلول الآية العامة وخصصها بدون مخصص وخاصة بعد
البيان العظيم الذى جاء فى السنة المطهرة وفى السيرة المكرمة التى هى أول مؤلف فى
الدين الإسلامى وفى عصر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وأجمع العقلاء من الأمة
على صحيح ماجاء بها خاصة فى أزهر العصور المشار إليه فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
« عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ » وإذا
تقرر لك هذا واتضح عندك شمول معنى إيواء الحق عز وجل وما حصل يوم ولادته
صلى الله تعالى عليه وسلم من الابتهاج الكونى العام والسرور الشامل التام أو لم يكفك دليلا
تفريح الحق عز وجل لعباده أجمع وإدخال السرور عليهم بنعمة أنعم بها على بنى البشر
لم يسبق بمثلها ولن يجاء بعدها بمثلها أبدا فيكون قاعدة كلية عامة يبنى عليها جميع
ما يدخل به على بنى البشر من الانعامات التى لا تتناهى فيكون اقتداء حسنا لجميع العالم
البشرى مما يعمله من الأفراح والاحتفالات عند تجدد أية نعمة ينعم الله تعالى بها على
عبده فيعمل لها الأفراح والمسرات والحفلات وذلك كمولود وقد أشار صلوات الله تعالى
وسلامه عليه لما فى معنى ذلك ولما أجراه الله عز وجل له يوم ولادته بقوله صلى الله

تعالى عليه وسلم « من يولد له ولد فليسمه وليحلق رأسه ويتصدق بوزنها فضة ويتصدق به وليعق فى السابع » وكإسداء نعمة جديدة عليه من نعم الله التى لا تحصى على عباده وكقدومه سالما من أسفار بعيدة — وقد سرى هذا الاقتداء بالحق عز وجل فيما لفت عبادة النظر إليه فى قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم) فالمحتفل والمفرح والمسرور فى حقيقة الأمر هو شاكر لله عز وجل على إسدائه تلك النعمة وهو تعالى يقول (لئن شكرتم لأزيدنكم) وفى الحديث « بالشكر تزداد النعم » ولنا أن نقول إن سيد الوجود صلوات الله تعالى وسلامه عليه هو لكافة ما اشتمل عليه بالله ومن الله وإلى الله فيكون هو أعظم مشعر من مشاعر الحق عز وجل التى أمر عباده أن يعظموها بقوله تعالى (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) وإذا كان تعظيم الشعائر لا يصدر إلا من وعن متحقق الإيمان فكيف وهو أصل النعمة ومعرفتها صلى الله تعالى عليه وسلم لا يعظم ومن جحد تلك النعمة يكون جاحدا لمن أجرى الله تعالى على يديه ذلك الفضل أفلا يكون على أقل تقدير وأدنى اعتبار عمل المولد الشريف ولما فيه من الظهور والبيان ورفعة شأن الإسلام والمسلمين تعظيما لشعائر الله تعالى وإذا لفتنا النظر وأمعنا الفكر وجدنا أن المولد الشريف تسعة أعشار قوامه والأسس التى يبنى عليها ذلك الاحتفال العظيم والابتهاج الكبير هو :—

أولا : تلاوة القرآن الكريم الذى أمرنا الله عز وجل بحفظه وتلاوته وحثنا على الملازمة لذكره سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم بما يعود على بنى البشر من رحمة الله تعالى لهم جميعا إذ بتلاوته تنزل السكينة وتعم الرحمة.

ثانيا: ذكر الله تعالى الذى أمرنا به خالقنا والمنعم علينا بنعمة الوجود التى هى أجل النعم وأعظمها بقوله تعالى (فاذكرونى أذكركم) ورغبنا فيه سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم بالوعد المبرور المحتوم المشمول بالرحمة والرضوان من الله الكبير الرحيم الرحمن

ثالثا : الصلوات على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكافة طرق التنويع فى ألفاظها الواردة الثابتة فى صحيح السنة المطهرة وقد أمرنا الله تعالى بالصلاة عليه ووعدنا بعودة المنجز المحتوم عظم الأجر عليها قال تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) والوارد فيها عمن لا ينطق عن الهوى فى قوله الشريف « من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا » وفى قوله « أنا حبيب الله والمصلى على حبيبى » فمن أراد أن يكون حبيبا للحبيب فليكثر من الصلاة على الحبيب .

رابعا : إطعام الطعام والتوسعة على الفقراء حيث أمر الله عز وجل فى قوله تعالى الكريم الذى يؤخذ منه بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقد قرن الله تعالى العناية بإطعام الفقراء الإيمان به تعالى حيث قال تعالى (إنه لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين) وفى ذلك تشديد الحث على إطعام الفقراء والمساكين فى قوله تعالى (لينفق ذو سعه من سعته) وقوله تعالى فى الآية العامة (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) وفى قول الصادق المصدوق صلى الله تعالى عليه وسلم «وإطعام الطعام» الحديث أليس ذلك كله تعظيما لشعائر الله تعالى وقياما بما رغب عباده فيه ووعدهم عليه الثواب العظيم والنعيم المقيم أو لم تكفك هذه الأدلة من الكتاب والسنة والبراهين القاطعة على أن قيام المسلمين بإحياء مولد سيد العالمين من الدين وجاء بها كلام رب العالمين وأجمع عليها السواد الأعظم من عقلاء المسلمين نسأل الله تعالى أن يجعلنا والمسلمين ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، كيف لا وقد وقف أولو العلم والتحقق والبحث فى السنة المطهرة والتنقيب على مافعله الله الكريم فى سنة ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم على عباده من الخير العظيم حتى عم الوجود والآفاق حتى سميت تلك السنة بسنة العز والابتهاج وما جاء أحد من ناحية إلا وحدث بالحق والخيرات ، أفلا يقتدى المؤمنون بخالقهم امتثالا لقول الصادق المصدوق صلى الله تعالى عليه وسلم «تخلقوا بأخلاق الله» ويوسعون فى هذه الأيام على الفقراء والمساكين وخاصة المعدمين حتى يعم السرور كل العالم من كل الوجوه حتى يكون هذا الفرح أعظم فرح للمسلمين ويشعر به العظيم والكبير والصغير ولولا أن الله تعالى شرع الأعياد لقلت هو أكبر وأعظم عيد على الاسلام والمسلمين بل على عباد الله تعالى أجمعين لوجود أكبر نعمة أنعم الله تعالى بها على كل من فى الوجود وهى أول ظهورها على بنى الإنسان خاصة بل وعلى كل من الوجود عامة ، ولاينكر شيئاً من ذلك إلا كل منافق وكافر ومعاند للإسلام والمسلمين قال تعالى (ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح) فهؤلاء يغتاظون من كل عمل من أفراح المسلمين بصريح كلام رب العالمين وبيان سنة سيد المرسلين ، كيف وقد أجمع علماء الأمة الإسلامية على أن مولد سيد العالمين فرح وجميع ما يعمل على شاكلته من موالد أهل بيته الطيبين الطاهرين والأولياء والصالحين هم من أهل البيت بصريح القرآن وبيان السنة والله ولى التوفيق .

الفصل الرابع

فى الدليل من الكتاب والسنة على تعود المسلمين على إحياء ذكرى المولد الشريف فى كل عام

غير خاف على ذوى البصائر النيرة والعقول الراجحة أن تعود المسلمين على إحياء ذكرى المولد الشريف النبوى فى كل سنة فى ميعاد ولادته الشريفة إنما هو أمر واجب القيام به امتثالا بقوله تعالى (فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون) قال الإمام الفخر مفسرا لهذه الآية الكريمة كلفنا تعالى فى هذه الآية بالتفكير فى الدلائل الدالة على كيفية تكاليفه وأحكامه ـ وأن نتفكر فى أسرار مخلوقاته ـ فصار الأمر بقوله (اذكرونى) متضمنا جميع أنواع الطاعات. فلهذا روى عن سعيد بن جبير أنه قال اذكرونى بطاعتى، فأجمله، حتى يدخل الكل فيه اه ملخصا فلا يخفى أن ذكر الحق عز وجل لا يكون إلا فى مقابل النعمة ونعمه عز وجل لا تحصى وفضله لا يستقصى ومن أجل نعمه تعالى على عباده وجود الرحمة فيهم وإسدائها عليهم وشمولها بهم ـ وأعظم تلك النعم النعمة التى أنعم بها على بنى الإنسان بوجود سيد ولد عدنان ومن رحمته بهم أن لفتهم النظر إلى مصادر النعم التى يشكرونه عليها ويذكرونه بها كما قال تعالى (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) قال الإمام الفخر : فعلم أن الوقوف عند المشعر الحرام . تبع للذكر وليس بأصل والوقوف بعرفة فهو الأصل لأنه قال (فإذا أفضتم من عرفات) ولم يقل من الذكر بعرفات، والمشعر الحرام معلم من معالم الحج وقال (واذكروه كما هداكم) فكأنه تعالى قال إنما أمرتكم بهذا الذكر لتكونوا شاكرين لتلك النعمة ـ ونظيره ما أمرهم به من التكبير إذا أكملوا شهر رمضان فقال (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم) وقال فى الأضاحى (كذلك سخرها لكم ولتكبروا الله على ما هداكم) وقال تعالى الذكر الذى هو القول كقوله (فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا) (واذكروا الله فى أيام معدودات) وقال وإنه تعالى أمر بالذكر عند المشعر الحرام إشارة لوظائف الشريعة ثم قال بعد (واذكروه كما هداكم). والمعنى أن توقيف الذكر على المشعر الحرام فيه إقامة لوظائف الشريعة وقال أيضا قوله تعالى (واذكروه كما هداكم) يعنى اذكروه على كل حال وفى كل مكان لأن هذا الذكر إنما وجب شكرا على هدايته ، فلما كانت نعمة الهداية متواصلة غير منقطعة فكذلك الشكر عليها يجب أن يكون مستمرا غير منقطع (وكما هداكم) عامة متناولة لكل أنواع الهدية فى معرفة الله تعالى ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وشرائعه اه ملخصا أفلا تكفى هذه

الآيات الدالات الصريحات على شكر النعم عند حلول أسباب النعم واستذكار الفضل والتفضل بها أن تكون دليلا على إحياء ذكرى المولد فى كل عام عند حلول تذكر ميلاده الشريف هذا وإن المسلمين بتوفيق الله تعالى لهم وهدايته إياهم وتحقيق قوله تعالى إنهم خير الأمم فيرشدهم تعالى ويبعث فيهم باعث النشاط والنهوض فيقومون بذكره عز وجل عند حلول بدء تلك النعمة وهى ميعاد مولده الشريف ويذكرون تلك النعمة العظمى والفضل الأسمى عليهم امتثالا لما أمرهم به سبحانه وتعالى فى الآى المحكم والتنزيل المبرم فيعملون بذلك الأمر الإلهى ويذكرون أصل النعمة وهو حضرته صلى الله تعالى عليه سلم من مبدأ تطوراته البشرية لنهاية تبليغه الرسالة الربانية ولما أمره به تعالى للخلق أجمعين وما هو كائن به وعليه فى خلال ذلك مما تستمده العقول وتنتعش به الطباع وتهيم به النفوس وتشتاق إلى معارجه الأرواح وتطمئن إليه القلوب إذ ما من حالة من حالاته الشريفة إلا وكانت مثلا أعلى فى جميع الكائنات مادية وروحانية فهو أعظم استذكار وأكبر برهان على آيات الله التامات ونعمه الشاملات العامات التى لا تشوبها طبيعة ولا تخترقها عادة ولا تحوم حولها حيلة ولا خديعة بل هى منه وإليه جل وعلا ليعلم الذاكر والمستذكر أنه هو الفعال المنفرد بالإبداع والإيجاد أن كل مكون من فضله وتفضيله وإنعامه على عباده وقد ألهم سبحانه وتعالى العقلاء من عباده إلى ذلك ووفقهم بهدايته إياهم حتى قاموا بإحياء تلك الذكرى الخالدة وألفوا فيها كتبا قيمة لا يخفى على عاقل أن مصدرها تلك الآيات المتقدمة وامتثال أمر الله تعالى فيها للبيان لهذا الشأن العظيم من كل الوجوه وتلك صارت سنة متبعة وعادة محمودة ويكفينا فيها إجماع العقلاء من الأمة المعصومة بدعوة نبيها صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال « سألت ربى ألا تجتمع أمتى على الضلالة فأعطانيه » .

ومن أهم الدواعى لقيام المؤمنين بإحياء مولد سيد المرسلين هو امتثالهم لأوامر الحق عز وجل حيث قال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم) لفتنا الحق عز وجل النظر فى كتابه العزيز إلى أسباب النعم التى هى أساس الذكر فى كثير من الآى المحكم فى قوله تعالى (يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) وفى قوله تعالى (وإذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون) ولا يخفى أنه ليس الغرض هو ذكر النعمة بل المراد ذكر المنعم بها وعليها بالشكر لأن نعمه سبحانه وتعالى لا تحصى ولا تستقصى فسبحان المنعم المتفضل قال الإمام الفخر اعلم أنه كلما يصل إلينا آناء الليل والنهار فى الدنيا والآخرة

من النفع ودفع الضر فهو من الله تعالى على ما قال تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) ثم إن النعمة على ثلاثة أوجه أحدها: نعمة تفرد الله بها نحو أن خلق ورزق وثانيها: نعمة وصلت إلينا من جهة غيره بأن خلقها وخلق المنعم ومكنه من الإنعام وخلق فيه قدرة على الإنعام ودواعيه ووفقه عليه وهداه إليه فهذه النعمة فى الحقيقة أيضا من الله تعالى إلا أنه لما أجراها على يد غيره كان ذلك إليه مشكورا ولكن المشكور فى الحقيقة هو الله تعالى ولهذا قال (أن اشكر لى ولوالديك) فبدأ بنفسه وقال عليه السلام « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » . وثالثها : نعمة وصلت إلينا من الله تعالى بواسطة طاعاتنا من الله تعالى لأنه لولا أنه سبحانه وتعالى وفقنا على الطاعات وأعاننا عليها وهدانا إليها وأزاح الأعذار عنا وإلا لما وصلنا إلى شىء منها فظهر بهذا التقرير أن جميع النعم من الله تعالى على ما قال سبحانه وتعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) فتحقق أن نعم الله تعالى على عبيده مما لا يمكن عدها ولا حصرها على ما قال تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وإنما لا يمكن ذلك لأن كل ما أودع فينا من المنافع واللذات التى ننتفع بها والجوارح والأعضاء التى نستعملها فى جلب المنافع ودفع المضار وما خلق الله تعالى فى العالم مما يلتذ به ويستدل بها على وجود الصانع وما وجد فى العالم مما يحصل الانزجار برؤيته عن المعاصى مما لا يحصى عدده وكل ذلك منافع لأن المنفعة هى اللذة أو يكون وسيلة إلى اللذة وجميع ما خلق الله تعالى كذلك لأن كل ما يلتذ به نعمة وكل مالا يلتذ به فهو وسيلة إلى دفع الضرر فهو كذلك والذى لا يكون جالبا للنفع الحاضر ولا دافعا للضرر الحاضر فهو صالح لأن يستدل به على الصانع الحكيم فيقع ذلك وسيلة إلى معرفته وطاعته وهما وسيلتان إلى اللذات الآتية فثبت أن جميع مخلوقاته سبحانه نعم على العبيد ولما كانت العقول قاصرة عن تعديد ما فى أقل الأشياء من المنافع والحكم فكيف يمكن الإحاطة بكل ما فى العالم من المنافع والحكم فصح بهذا معنى قوله تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) هذا ولا يخفى على عاقل أن من أجل النعم من أرشدنا الله على يديه ودلنا بالهداية والتوفيق على قبول نصحه ورشده والنهج على السبيل الذى دعانا إليه فبطريق الأحرى والأجدر أن نذكر تلك النعمة دائما ولا ننسى من كان سببا فى توصيلها إلينا اهـ ولعلك من هنا تفهم معنى الإشارة فى قوله تعالى الذى حث عباده على الملازمة به على الدوام (صلوا عليه وسلموا تسليما) ولا يخفى عليك أيضا أن وقوف الناس بعرفة كل عام أو كل سنة ما هو إلا إحياء واستذكار أثر تعارف آدم بحواء وهو لافت للأنظار العالية وهو

سبب نزولهما من الجنة وأسباب تأسيسها معالم العبادة وكلما هو ضرورى لحياة البشر وغيرهم من مستلزماتهم ولمزيد العناية بذلك قد جعل الوقوف به خاصة حجا وماعداه متمم لبيان مزيد النعم كالنزول منه إلى المزدلفة ورمى الجمار والمبيت بمنى ثلاث والسعى بين الصفا والمروة والفداء للأضحية وكصوم يوم عاشوراء وسببه وبيانه فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وكإرشاده فيما يعمل من أنواع الطاعات فى كل سنة مرة كصوم يوم عرفة والستة من شوال وغير ذلك من معالم الخير التى لاتفعل إلا فى كل سنة مرة عند حلولها ووجوب استذكارها لاستذكار النعم بها وسبب النعمة ليشكر المنعم عليها وأية نعمة على بنى البشر أجل من نعمة الله تعالى عليهم وعلى غيرهم من المكونات من حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم بعد قوله جل ذكره (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فكيف لانذكر تلك النعمة وكيف لا نستذكرها خصوصا عند حلول موعد طلوع شمس تلك الحقيقة بعد بيان الله عز وجل لتلك النعم التى هى آثار الخاصة من خلقه وهى المعالم المتقدمة وأمرنا بذكره جل وعلا عندها وقد جعلها من شعائره تعالى قال الإمام الفخر فى تفسيره شعائر الله . أعلام طاعته وكل شىء جعل علما من أعلام طاعة الله فهو من شعائر الله . قال تعالى (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله) أى علامة للقرب به وقال تعالى (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) أى فإن تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب أو لم يكفك هذا دليلا من الكتاب والسنة على جواز تعود المسلمين بعمل المولد فى كل سنة نسأل الله تعالى التبصر والتوفيق للوصول لمعرفة الحق والهداية إلى الطريق المستقيم ، وجميع الموالد التى تعمل للأولياء ما هى إلا على شاكلة مولد سيد العالمين لأنهم من آل بيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالتحقق وولادتهم فى الدنيا أيضا من نعم الله تعالى على عباده أجمعين وقد قدمنا البيان والأدلة من الكتاب العزيز والسنة المطهرة فى معنى ذلك بأحلى بيان وأدق تبيان عند ذكر الأولياء فراجعه وتحقق منه والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب .

الفصل الخامس

فى الدليل من الكتاب والسنة والإجماع على أعمال المسلمين من التوسعة والزينات والذبائح التى تعمل فى المولد النبوى وجميع موالد آل البيت وهم الأولياء

لايخفى إنكار كل منكر على ما يعمل فى المولد الشريف من جميع حالاته من الزينات والأضواء والذبائح وغيرها ، وكان يكفى كل منكر على جميع ما يعمل

في المولد : ـ الإجماع . وأن الإجماع هو الحجة الثالثة في الدين بنفي كلام رب العالمين وصريح سنة سيد المرسلين ، وقد بينا ذلك مراراً ، وأن الانكار لم يصدر إلا من كل خارج على الإجماع المفارق للجماعة المارق من الدين وليس له في ذلك حظ إلا المخالفة، ولم يعد عليه شيء من ذلك إلا الحسد ، ولكني أسليك لأن ذلك من مقتضيات حكمة الحكيم العليم الذي لا يوجد خير إلا ويقابله بالشر قال تعالى :ـ(ونبلوكم بالشر والخير فتنة) وقال تعالى : ـ(وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون)ـ وقال تعالى :ـ (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين) ـ كيف لا وقد أجمع أفاضل الأمة على أن أعمال المولد الشريف وما يصدر فيه عن المسلمين ماهو إلا فرح لهم وسرور وابتهاج:

قال العلامة محمد بن أحمد بنيس : « في لوامع أنوار الكوكب الدري في شرح همزية الإمام البوصيري المطبوع على هامش شرح الشمائل لابن قاسم جاسوس ص ٢٤ عند قوله

ليلة المولد الذي كان لله الدين سرور بيوم وازدهاء

وإذا ثبت أن ليلة ولادته التي ولد فيها ، أو ولد صبيحتها أفضل الليالي ، واليوم الذي تشرق عنه أفضل الأيام فهو عيد وموسم فيعظم ويحترم ويعمل فيه ما يدل على التعظيم والاحترام . كما اختاره الحافظ الزين العراقي والجلال السيوطي . وقال الإمام ابن عباد في رسائله : وأما المولد فالذي يظهر لي أنه عيد من أعياد المسلمين ، وموسم من مواسمهم وكل ما يفعل فيه مما يقتضيه وجود الفرح والسرور بذلك المولد المبارك من إيقاد الشمع وإمتاع البصر والسمع والتزين بلباس فاخر الثياب وركوب فارة الدواب أمر مباح لا ينكر على أحد قياسا على غيره من أوقات الفرح ثم ذكر حكايته مع الشيخ ابن عاشر السلاوي ثم قال في رسالة أخرى : وكون هذا الأمر لم يكن في الصدر الأول حيث الإيمان راسخ في القلوب، وشرائع الإسلام مطوية على تعظيمها والانقياد إليها وقال الإمام القسطلاني في المواهب اللدنية الجزء الأول صفحة ٢٧ : ـ وقد رؤي أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له ما حالك؟ فقال : في النار إلا أنه خفف عني كل ليلة اثنين فأمص من بين أصبعي هاتين ماء وأشار برأس أصبعيه وأن ذلك بإعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبإرضاعها له . قال ابن الجزري : فإذا كان أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه جوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به فما حال المسلم الموحد من أمته عليه السلام الذي يسر بمولده ويبذل كل ما تصل إليه قدرته في محبته صلى الله تعالى عليه وسلم؟ لعمري إنما يكون جزاؤه عند الله الكريم أن يدخله بفضله العميم جنات نعيم

وقال العلامة فتح الله البناني في المولد الشريف : « فتح الله في مولد خير خلق الله

صلى الله تعالى عليه وسلم» صفحة ١٥٢. إن أحسن ما ابتدع في زماننا هذا كما قاله الإمام أبو شامة وغيره رضى الله عنهم ما يفعل كل عام في اليوم الذى يوافق يوم مولده صلى الله تعالى عليه وسلم من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان للفقراء مشعر بمحبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيمه في قلب فاعل ذلك وشكر الله تعالى على ما من به من إيجاد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذى أرسله رحمة للعالمين.

وقال الإمام السخاوي رضى الله عنه: إن عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة ثم لا زال أهل الإسلام من سائر الأقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم. ثم نقل عبارة المواهب. إلى أن قال في صفحة ١٥٣: وفي مقدمة مولد الشيخ الإمام العلامة الهمام سيدى خالد بن الوالدى رحمه الله تعالى ما نصه: قال الجنيد رضى الله تعالى عنه من حضر قراءة مولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعظم قدره فقد فاز بالأمان. وقال «معروف الكرخي» رضى الله تعالى عنه من هيء لأجل قراءة مولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم طعاما وجمع إخوانا وأوقد سراجا ولبس جديدا وتبخر وتعطر تعظيما لمولده صلى الله تعالى عليه وسلم حشره الله يوم القيامة مع الفرقة الأولى من النبيين وكان في أعلا عليين.

وقال زيد دهره ووحيد عصره «فخر الدين الرازى» رضى الله تعالى عنه: ما من شخص قرأ مولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ملح أو بر أو شيء من المأكولات إلا ظهرت فيه البركة وفي كل شيء وصل إليه ذلك الملح أو البر أو غيره ومن وصل إلى جوفه شيء من ذلك فإنه يضطرب أى يتحرك ولا يستقر في جوفه حتى يغفر الله له، وإن قرىء مولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ماء طاهر فكل من شرب من ذلك الماء دخل قلبه ألف نور ورحمة وخرج منه ألف ظلمة وعلة. وفي صحيفة ١٥٤: ولا يموت قلبه يوم تموت القلوب الخ إلى أن قال: وقال «الإمام الشافعى» رضى الله تعالى عنه من جمع لمولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إخوانا، وهيء لهم طعاما وأخلا لهم مكانا، وعمل إحسانا، وصار سببا لقراءته بعثه الله يوم القيامة مع الصديقين والشهداء والصالحين ويكون في جنة النعيم.

وقال (السرى السقطى): من قصد موضعا يقرأ فيه مولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقد قصد روضة من رياض الجنة لأنه ما قصد ذلك الموضع إلا لمحبته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم: «من أحبني كان معى في الجنة» وقال سلطان العارفين «الإمام جلال الدين السيوطى» في كتاب الوسائل في شرح الشمائل: ما من بيت أو محل أو مسجد قرىء فيه مولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

إلا حفت الملائكة أهل ذلك البيت أو المحل أو المسجد وصلت على أهل ذلك المكان.
وعمهم الله بالرحمة والرضوان . وأما المطوقون بالنور وهم : جبريل ، وميكائيل ،
وإسرافيل ، وعزرائيل والصافون والحافون والكروبيون أى المسرعون فى طاعة
الله تعالى فإنهم يصلون على من كان سببا لقراءته .

وقال « مصنفه » العلامة فتح الله البنانى : ـ ما من مسلم قرىء فى بيته مولد النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم إلا رفع الله عنه القحط والبلاء والحزن والغرق والآفات والعاهات
والبليات والنكبات والبغضاء والحسد واللصوص فإذا مات هون الله عليه جواب منكر
ونكير وكان فى مقعد صدق عند مليك مقتدر اهـ بحروفه ثم ساق حكايات فى الموضوع
قال آخرها وللإمام السيوطى رضى الله عنه فى هذا الموضوع رسالة سماها : «حسن
المقصد فى عمل المولد »

وفى جواهر البحار للعلامة النبهانى جزء/ ٣ صفحة ١١٢١ فى الكلام على جواهر
السيد / أحمد عابدين « التى منها شرحه على مولد الإمام ابن حجر »: قال ابن عابدين
فى المقدمة . ـ اعلم أن من البدع المحمودة عمل المولد الشريف فى الشهر الذى ولد
فيه صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأول من أحدثه الملك المظفر صاحب أربل : قال ابن
كثير فى تاريخه كان يعمل المولد الشريف فى ربيع الأول ويحتفل فيه احتفالا هائلا
وكان شهما شجاعا بطلا عاقلا عادلا وطالت مدته فى الملك إلى أن مات وهو محاصر
الفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة محمود السيرة والسريرة .

وقال سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان صفحة ١١٢٢ : حكى لى بعض من حضر
سماط المظفر فى بعض الموالد أنه عدد فيه خمسة آلاف رأس غنم شوى وعشرة آلاف
دجاجة ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى وكان يحضر عنده فى المولد أعيان
العلماء والصوفية فيجمتع عليهم ويطلق لهم ؛ وكان يصرف على المولد فى كل سنة ثلثمائة
ألف دينار كما فى سيرة العلامة الشيخ محمد الشامى تلميذ الإمام السيوطى ومثله فى شرح
المواهب للعلامة الزرقانى .

وقال فى روح السير : للعلامة إبراهيم الحلبى الحنفى قد صنف ابن دحية سنة ٦٠٤هـ
للملك المظفر كتابا فى المولد الشريف . سماه ، « التنوير فى مولد النبى البشير» فأجازه
بألف دينار . وقال فى النعمة الكبرى للمؤلف يعنى ابن حجر الهيتمى « وهى المولد
الكبير» عن الشمس ابن الجزرى وأكثروا الناس عناية بذلك أهل مصر والشام
وأنه شاهد من الظاهر برقوق سلطان مصر سنة ٧٨٥ هـ وامرأته بقلعة مصر فى ليلة
المولد المذكورة من كثرة الطعام وقراءة القرآن والإحسان للفقراء والقراء والمداح

ما بهره، وأنه صرف على ذلك نحو عشرة آلاف مثقال من الذهب: قال غيره - وزاد ذلك فى زمن السلطان الظاهر. أما سعيد جقمق على ماذكر بكثير. وكان الملوك الأندلس والهند ما يقرب بن ذلك أو يزيد عليه اهـ.

وقد أكثر الإمام أبو شامة شيخ الإمام النووى الثناء على الملك المظفر بما كان يفعله من الخيرات ليلة المولد الشريف وثناء هذا الإمام الجليل على هذا الفعل الجميل فى هذه الليلة أدل دليل على أن عمل المولد بدعة حسنة لا سيما وقد ذكر أبو شامة هذا الثناء الفائق فى كتابه الذى سماه «البواعث على إنكار البدع والحوادث» وهذا الفضل إذا خلا من المفاسد وعبارة أبى شامة ومن أحسن ما ابتدع فى زماننا ما يفعل كل عام فى اليوم الموافق ليوم مولد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الصدقات ومثل الخيرات وإظهار الفرح والسرور فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء مستمد بمحبته عليه الصلاة والسلام وتعظيمه فى قلب فاعل ذلك وشكرا لله على ما من به من إيجاده صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه إغاظة الكفرة والمنافقين اهـ.

قال الزرقانى: وقد اختاره أبو الطيب السبتى نزيل قوص وهو من أجلة المالكية ١٠هـ إلى أن قال: - وما زال بحمد الله تعالى فى كل عصر طائفة من الإسلام ملتزمين له غاية الالتزام حتى قد استعدوا فيه لعمل المولد فى سائر شهور العام محبة وعنا به فى مولده الشريف عليه الصلاة والسلام ويعملون الولائم وفى صفحة ١١٢٣ ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات ويظهرون السرور به ويزيدون فى المبرات لا سيما ملوك الدولة العلية العثمانية وأمراءها أصحاب الهمم القوية، فإنهم يعتنون لقراءة قصة مولده الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم. إلى آخر ما قال. وقال عمدة المحققين نور الدين على الحلبى فى كتابه «إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون» والبرهان إبراهيم الحلبى فى روح السير بعد ذكر ما حصل أكثر ما قدمناه، واستحسان الطعام عند سماع ذكر وضعه صلى الله تعالى عليه وسلم ما نصه: وقد سئل الإمام المحقق أبو زرعة العراقى عن عمل المولد هل هو مستحب أو مكروه؟ وهل هو ورد فيه شئ؟ وهل نقل فعله عمن اقتدى به فأجاب رحمة الله تعالى عليه. بأن اتخاذ الوليمة وإطعام الطعام مستحب فى كل وقت، فكيف إذا انضم إلى ذلك الفرح والسرور لنور النبوة فى هذا الشهر الشريف ولا نعلم غير ذلك عن السلف ولا يلزم من كونه بدعة كونه مكروها، فكم من بدعة مستحبة بل واجبة اهـ. فهو بدعة حسنة.

وقال الحافظ ابن حجر فى جواب سؤال : وظهر لى تخريج على أصل ثابت وهو ما فى الصحيحين أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم . فقالوا : هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجا موسى ونحن نصومه شكرا . قال فيستفاد منه مثل الشكر ما من به تعالى فى يوم معين . وأى نعمة أعظم من بروز نبى الرحمة والشكر يحصل بأنواع العبادات كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة والذكر . وسبقه إلى ذلك الحافظ ابن رجب الحنبلى اهـ . إلى أن قال السيد أحمد عابدين : فالاجتماع لسماع قصة مولد صاحب المعجزات عليه أفضل الصلاة وأكمل التحيات من أعظم القربات لما يشتمل عليه من المبرات والصلاة وكثرة الصلاة عليه بسبب حبه الموصل إلى قربه قال سيدى محمد بن جعفر الكتانى فى السلوة جزء /١ ص ٦٢ فى الكلام على عمل المواسم للأولياء والصالحين . أن حكم اتخاذها فى الجملة ومن حيث ذاتها هو الإباحة إذ على الأصل فى الأشياء حتى يرد ما يعارضها أو يخالفها ، ثم نقل عن سيدى أبى سالم العياشى فى رحلته ما ملخصه . ولا يمنع ما يحدث فى المواسم وما يخالطها من حضوره صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه كان معه فى حياته وهم على هذا الحال منهم المسىء والمحسن ولم تحمله إساءتهم ولا عصيانه بعضهم ونفاقه على مقارفتهم والتخلى عنهم إذ لو فعل لوجل المسىء بالهلاك وخذل المطيع فى طاعته فكذلك هو صلى الله تعالى عليه وسلم معهم بعد موته ولذلك قال : «حياتى خير لكم ومماتى خير لكم» الحديث وقد رفعه الناس من أشجار شتى حتى ألف فيه بعض العلماء كتابا سماه : (نهاية الآمال فى حديث عرض الأعمال) فالخلاصة : أن أفاضل الأمة وخيرتها وهم علماؤها قد صرحوا بعمل المولد الشريف قديما وحديثا وألفوا فى ذلك مصنفات الكتب لتقرأ فى ليلة المولد الشريف ، وممن ألف فى ذلك : -

(١) ابن دحية سنة ٦٠٤ (٢) وابن الجوزى : التنوير بمولد النبى البشير (٣) ابن حجر الهيتمى : النعمة الكبرى بمولد سيد ولد آدم واختصره وشرح المختصر السيد أحمد عابدين سنة ١٢٢٠ هـ (نثر الدرر على مولد ابن حجر) (٤) مولد العلامة الداوودى (٥) المناوى (٦) النابلسى ١٠٦٣ . هـ (٧) البرزنجى ١١٧٩ (٨) شرح الشيخ عليش عليه (٩) سيدى أحمد الدردير ١٢٠١ (١٠) الدمياطى المصيلى التجارى (١١) شرح العلامة الباجورى (١٢) سيدى محمد المغربى ١٢٤٠ (١٣) سيدى محمد بن جعفر الكتانى (١٤) الحافظ محمد عبد الحى الكتانى .

هذه نبذ ممن كتب من أفاضل الأمة وأعلامها البارزين الذين لهم القدم الراسخ

فى الدين فقد وفقهم الله تعالى فى إبانه شىء مما خص الله تعالى به سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم فلو كان هناك محظورا أو ممنوعا لما وافقهم على ذلك وأقرهم أقرانهم ومعاصريهم ممن لهم الشوكة والشهرة أمثالهم خاصة (المعاصرة مضارة) ولكنهم تلقوه بالرحب والسعة لعلمهم ببيان ذلك من الكتاب العزيز والسنة المطهرة لاشتمالها على بيان ذلك ممن يفهمه من أهل الإشارة أو العبارة .

وأما من لم يقبل لذلك شأوا ، ولم يرفع له رأساً فلا يعول عليه ولا يقبل له فياعدا ذلك قولا إذ أنه خالف ما عليه إجماع عقلاء الأمة المعصومة بدعوة نبيها صلى الله تعالى عليه وسلم من الضلالة . ولذا تجد الكثير من خيرة الأمة وأعلامها ممن وفقهم الله تعالى للدأب على نهج هؤلاء الأماثل الأماجد بتأليف وتدوين الموالد الشريفة ليعرف منه من قصر إدراكه عن ذلك فضل الله تعالى على عباده أجمعين ومن ميزهم عن غيرهم برفع درجات البعض عن البعض حتى فى العلماء العاملين وكذا من كان قبلهم من المكرمين من الأنبياء والمرسلين وخاصة سيد العالمين إذ منها يرقى إلى معرفة الله تعالى وهى المرادة له جل وعلا من هذا الوجود . فالمولد وكما اشتمل عليه من الأسباب الموصلة إلى معرفته تعالى لذلك نقول : إعلم وفقنى الله تعالى وإياك لمرضاته وإلى الحق وإلى طريق مستقيم أن الله سبحانه وتعالى وفق من اختارهم من عباده للقيام بشكره تعالى على ما أولاهم من النعم لتظهر عليهم هدايته إياهم ونعمه عليهم فيلهمهم الصواب والجادة من الحق فتراهم دائما لا يخطئون وذلك بتحقيق دعوة نبيهم صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ومصداقا لقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) والخيرية لا تتحقق إلا فى الجماعة والسواد الأعظم كما هو مبين فى صريح السنة المطهرة فهم يعملون بصريح القرآن الكريم والسنة الغراء ويقتفون فيها أثر السابقين الأولين الذين امتدحهم الله عز وجل ورضى عنهم وقال فيهم عز من قائل (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته إن الله غفور رحيم) قال الإمام الفخر رحمه الله تعالى : اعلم أنه تعالى بعد أن حصر فى الأعراب من يتخذ إنفاقه فى سبيل الله تعالى مغرماً بين أيضا أن فيهم قوما مؤمنين صالحين مجاهدين يتخذ إنفاقه فى سبيل الله مغنما إلى أن قال والمعنى أن ما ينفقه لسبب حصول القربات عند الله تعالى وصلوات الرسول لأن الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله « اللهم صل على آل أبى أوفى » وقال تعالى (وصل عليهم) فلما كان ما ينفق سببا لحصول القربات والصلوات قيل إنه يتخذ ما ينفق قربات وصلوات

وقال تعالى (ألا إنها قربة لهم) وهذه شهادة من الله تعالى للمتصدق بصحة ما اعتقدمن كون نفقته قربات وصلوات. وقد أكد تعالى هذه الشهادة بحرف التنبيه وهو قوله «ألا» وبحرف التحقيق وهو قوله «إنها» ثم زاد فى التأكيد فقال (سيدخلهم الله فى رحمته) وقد ذكرنا أن إدخال هذا السين يوجب مزيد التأكيد ثم قال (إن الله غفور) لسيئاتهم (رحيم) بهم حيث وفقهم لهذه الطاعات وقوله تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) لعله لاح لك من الآى الكريم والتفسير العظيم أن الله سبحانه وتعالى يتكرم على بعض عباده بهدايته وتوفيقه لهم فينفقون مما عندهم على غيرهم من المحتاجين ويدخلون السرور على غيرهم ولعلهم يستفزون به غيرهم لعمل مثله فى هذا الخير العظيم للمناسبات العظيمة إذ ما من أصل فى التنزيل إلا وله سبب وكيف لا تكون الأفراح الواسعة للأسباب العظيمة وأجلها يوم ولادته صلوات الله تعالى وسلامه عليه لأن التوسعة والأفراح لا تكون إلا فى الأيام السارة المباركة وما كان إنفاق أصحاب الصادق المصدوق صلوات الله تعالى وسلامه عليه ورضوان الله تعالى عليهم أجمعين إلا للمناسبات الهامة التى تدعو إليها الضرورة إما عاجلة كحروب أو آجلة كتصديقة بوعد الله الكريم على المنفق خيرا بالجزاء الحسن وإن لم يكن أسباب فعل الخير هكذا فما السبب الحامل على فعل غيره وما يعمل الآن من المؤمنين ماهو إلا وفاق ما عمله الأولون فى عصره صلى الله تعالى عليه وسلم حق وعدهم الله تعالى بالخير فى قوله جل ذكره (والذين اتبعوهم بإحسان) وأى اتباع بعد ويذكر فى الخير وعلى سبيل الخير وفى طريق الخير إلا التوسعة فى مثل هذه الأيام المباركة التى هى أجل أيام الدنيا وأعظمها. فالذى يعمل فى المولد الشريف من التوسعة على الفقراء وإطعامهم وإكسائهم ما هو إلا بقصد القربات عند الله تعالى وإن كان ينال الغنى منه شيئا فلعله يستحث الفاعل للخير ويستفز ذلك الغنى بأن يفعل مثله حيث إنه مؤمن وفى تعداد المؤمنين ألا ترى أن الإجهار بالصدقة خير من إخفائها إذا كان هناك استحثاث لغنى واستفزاز لبخيل لعله ينفق مما أعطاه الله فى مثل هذه الأيام المباركة أو لم يكف هذا دليلا على جواز التوسعة فى الأيام المباركة لتلك المناسبة العظيمة ولا يخفاك أن من أهمها إظهار شعائر الإسلام والنهوض بالمسلمين إلى نحو ما يجب عليهم من التعظيم والتكريم لخير مرسل إليهم وهاد ومنقذ من الضلالة والنهوض بهم إلى معرفة باب التحابب والتوادد والاعتصام وتعاطف غنيهم على فقيرهم ومحسنهم على مسيئهم فإن لم يكن فى التوسعة إلا هذه لكفت قال تعالى فى الآية العامة (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره)

وأما الزينات التى تعمل فى المولد الشريف فنقول : إنه يجب على كل عاقل النظر فى مستحدثات الكون قبل أن يعترض فينظر فى كتاب الله المبين هل لذلك المستحدث أصل فى الكتاب والسنة أم لا ؟ فإن وجد له أصل فإنه يكون من الدين بمكان وإلا فمن وحى الشياطين إذ الكتاب العزيز هو المشتمل على بيان كل شىء من مستحدثات الكون هزله وجده وحلاله وحرامه ولهوه ولعبه وبدنه وتشابهه فالعاقل يتأمل فى أى الكتاب المبين فإن وجد ما يدل على جواز العمل به جزم بأنه من الدين وإن لم يكن مشهوراً . العمل به فى صدر الإسلام للاشتغال بما هو أهم من بيان ما تتوطد عليه قواعد الدين وانتشار أمره بين جميع المستعمرين لتحقيق عموم الدعوة التى أمر بها رب العالمين وهى بيان أصول الأحكام وما اشتملت عليه المتحققة فى قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) وأما الفروع التى أشار لها صلى الله تعالى وسلم فى بيانه إما بالدليل الصريح أو الإرشاد إلى ما فيه القياس المتحقق فى قوله تعالى (فلو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منه) إذ الدين الإسلامى ينحصر فى ثلاثة أشياء فى أقواله الشريفة صلى الله تعالى عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وهذه محصورة بالعدد ومستحدثات الكون لا تنحصر ودخول ما لا ينحصر تحت المنحصر محال ، إذن وجب أن يكون فى الشريعة المحمدية أمور كلية تندرج تحتها هذه الجزئيات هذا وأن الزينات التى تعمل فى المولد الشريف وفى جميع الموالد للصلحاء وقد أجمع عليها عقلاء الأمة قديما وحديثا سلفا وخلفا لا بد وأن يكون لها أصل فى الدين قد خفى أمرها على المغفلين الضالين المارقين من إجماع المسلمين وإليك البيان ودليل جواز عمل الزينات فى الموالد تبعا لمولده الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم وغيرها من الأفراح والسرور والابتهاج قال الله تعالى (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) وإن كانت القاعدة الأصولية أن القرآن الكريم والسنة المطهرة يؤخذ منهما بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال الإمام الفخر فى تفسير الآية الكريمة أن المراد من الزينة فى هذه الآية تتناول جميع أنواع الزينة فيدخل تحت الزينة جميع أنواع التزين ويدخل تحتها تنظيف البدن من جميع الوجوه ويدخل تحتها المركوب ـ قلت المراد من المركوب الدواب المذكورة فى قوله تعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) قال وأيضا يدخل تحتها أنواع الحلى لأن كل ذلك زينة ولولا النص الوارد فى تحريم الذهب والفضة والابريسم « قلت أى الحرير الخالص على الرجال لكان ذلك داخل تحت هذا العموم ويدخل تحت الطيبات من الرزق كل ما يستلذ ويشتهى

من أنواع المأكولات والمشروبات قلت أى الحلال ويدخل أيضا تحته التمتع بالنساء والطيب وروى عن عثمان بن مظعون أتى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقال « غلبنى حديث نفسى عزمت على أن أختص فقال مهلا يا عثمان إن خصاء أمتى الصيام قال فإن نفسى تحدثنى بالترهب قال إن ترهب أمتى القعود فى المساجد لانتظار الصلاة فقال تحدثنى نفسى بالسياحة فقال سياحة أمتى الغزو والحج والعمرة فقال إن نفسى تحدثنى أن أخرج مما أملك فقال الأولى أن تكفى نفسك وعيالك وأن ترحم اليتيم والمسكين فتعطيه أفضل من ذلك فقال إن نفسى تحدثنى أن أطلق خولة فقال إن الهجرة فى أمتى هجرة ما حرم الله فقال إن نفسى تحدثنى أن لا أغشاها قال : إن المسلم إذا غشى أهله أو ما ملكت يمينه فإن لم تصب من وقعته تلك ولداً كان له وصيف فى الجنة وإذا كان له ولد مات قبله أو بعده كان له قرة عين وفرح يوم القيامة وإن مات قبل أن يبلغ الحنث كان له شفيعا ورحمة يوم القيامة قال فإن نفسى تحدثنى أن آكل اللحم قال فهلا أنى آكل اللحم إذا وجدته ولو اسألت الله أن يطعمنيه كل يوم فعل قال فإن نفسى تحدثنى أن لا أمس الطيب قال مهلا فإن جبريل أمرنى بالطيب غبا وقال لا تتركه يوم الجمعة ثم قال يا عثمان « لا ترغب عن سنتى فإن من رغب عن سنتى ومات قبل أن يتوب صرفت الملائكة وجهه عن الحوض » .

واعلم أن هذا الحديث يدل على أن هذه الآية الشريفة الكاملة تدل على أن جميع أنواع الزينة مباح ومأذون فيه إلا ما خصه الدليل قلت أى بالتحريم ـ فلهذا السبب أدخلنا الكل تحت قوله (قل من حرم زينة الله) فهذه الآية تقتضى حل المنافع كلها ـ قلت أليس ما يعمل فى المولد من الزينات والتوسعات من المنافع وأليس كلام هذا الإمام المجمع على إمامته فى المعقول والمنقول الفخر الرازى حجة ـ قال وهذا أصل يعتبر فى كل الشريعة لأن كل واقعة تقع فإما أن يكون النفع بها خالصا أو راجحا أو الضرر يكون خالصا أو راجحا أو يتساوى الضرر والنفع أو يرتفع. أما القسمان الأخيران وهو أن يتعادل الضرر والنفع أو لم يوجدا قط ففى هاتين الصورتين وجب الحكم ببقاء ما كان على ما كان وإن كان النفع خالصا وجب الإطلاق بمقتضى هذه الآية وإن كان النفع راجحا والضرر مرجوحاً يقابل المثل بالمثل ويبقى القدر الزائد نفعا خالصاً فليلتحق بالقسم الذى يكون النفع فيه خالصا وإن كان الضرر خالصا فكان تركه خالص النفع فيلتحق بالقسم المتقدم وإن كان الضرر راجحا بقى القدر الزائد ضررا خالصا فكان تركه نفعا خالصاً فبهذا الطريق صارت هذه الآية دالة على الأحكام

التى لا نهاية لها فى الحل والحرمة ثم إن وجدنا نصا خالصا فى الواقعة قضينا فى النفع بالحل وفى الضرر بالحرمة بهذا الطريق صار جميع الأحكام التى لا نهاية لها داخلا تحت هذا النص اهـ منه أو لم يكفك هذا دليلا على جواز عمل الزينة والتزين فى كل الحالات السارات وأن القاعدة الأصولية الأصل فى جميع الأشياء والإباحة ما لم يرد التوقيف وهذا مع وروده وإجماع عقلاء الأمة الإسلامية عليه فقد جاء الجواز به وإن تشأ فقل إن إجماع عقلاء الأمة على جواز عمل الأفراح فى مولده الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم وجميع موالد آل بيته الأطهار رضى الله تعالى عنهم وعباد الله الصلحاء رحمة الله عليهم لم يكن إلا الاقتداء بالحق عز وجل حيث فرح جميع عباده إلى الكائنات بولادة حبيبه الذى جعله يتيم الأب والأم لتحقق إيوائه له وذلك مارونه السنة عمن رووا من الثقات عن أمه الشريفة الطاهرة رضى الله تعالى عنها وعن الشفاء أم عبد الرحمن ابن عوف ومارأت يوم ولادته من أنها أضاءت لها قصور الشام ورأت الأعلام المضروبات وحدثت بما حصل وما سمعت من كلام الملائكة وما رأت وقالت وطالت ثم قالت لم يزل الحديث منى على بال إلى أن بعثه الله تعالى صلى الله تعالى عليه وسلم فآمنت به وقال المعفو له الأباصيرى رحمه الله تعالى رحمة واسعة مشيرا إلى ماورد عن أم عبد الرحمن رضى الله عنها فى همزيته حيث قال :

* وشفتنا بقولها الشفاء *

اللهم بصرنا ونور بصائرنا واحفظنا من الزلل والزيغ إنك جواد كريم غفور رحيم.

مسألة

قال بعض الخوارج الذين يقولون ضمن طعونهم فى الموالد أن هذه الاحتفالات التى تعمل للموالد قد تحتوى على بعض نساء فاسدات وشبان فساد ولم يجمعهم إلا هذا الحفل نقول: إن هذا من طمس بصيرتهم وعماء قلوبهم وأعينهم فإنا نجد ما يسميه هذا المعترض فسادا على فرض وجوده فهو قليل جدا بالنسبة للخير الخالص الكثير جدا فلا ينظر إليه إلا من يتلمس السوء لأنه لا يعول عليه وقد قامت البراهين الشرعية على أن قليل النجاسة لا ينجس كثير الماء أفلا ينظر ذلك المعترض إلى الراديو الذى ينقل إلينا الإذاعات الخارجية والداخلية وأحكام الآداب الشرعية والمواعظ الحسنة وتوصيل الفائدة العامة ونشر القرآن الكريم فى جميع أنحاء الكرة الأرضية لئلا يكون للناس على الله حجة بعد هذا البلاغ العام ولا يخفى مافيها من نشر أحكام الدين الإسلامى وما جاء به وما اشتمل عليه من أمهات الكمالات والفضائل حتى لا يبقى من على وجه

الأرض إلا ويعلم به وما جاء فيه لتحقيق قوله تعالى (وأرسلناك للناس كافة) على جميع مختلف أديان وملل ونحل الأمم الكائنة حية على بساط الكرة الأرضية وسماع الناس به وبتفسيره أليس هذا نفعه أعم وأشمل وأخير مما يذاع فيه من غير ذلك فهو على ما هو عليه وإن كان غير منظم فى الإذاعات وترتيبها وأوضاعها الوضع اللائق بها فى النظم فهو مع هذا أخير ولا يعد هذا فى جانب الخير الخالص من الدعوة العامة والمنافع العامة فسادا وأيضا إذا نظرنا فى الحالة الراهنة من الاختلاط الرجال بالنساء فكيف يحكم على رواد السينما والكباريهات وصالات الرقص والمتنزهات والشوارع وحوانيت التجار وصالات المعروضات وتطور الأمر الذى تغلغل إلى أعماق البيوت خصوصا طبيب العائلة ومحاميها وصديقها وناهيك بدور التعليم العالى أليس هذا كله محرما من أوله لآخره ولا تقبله العقول السليمة وتأباه النفوس الكريمة فكان الأجدر به أن يكون نقده وانتقاده على أهل هذه الحالات قبل أن ينتقد على أهل المولد الشريف وإن حاله هذا كحال رجل يسأل مستفتيا هل يجوز للمرأة زيارة القبور؟ فالجواب إذا كانت هى منغمسة فى جميع ما تقدم من أنواع المحرم فكيف يحرم عليها فقط زيارة القبور حرر المرأة أولا واجعلها على وفاق الشرع الشريف ثم حرم عليها بعد الخروج من عتبة الدار أو النظر من الشرفات وإن هذا المعترض كان الأجدر به أن يقلب النظر والرأى فيما عليه الناس فإنه إذا نظر إلى أهل المساجد يقل لم يبق فاسد على وجه الأرض وإذا نظر إلى أهل الحالات التى ذكرنا يقول لم يبق صالح على وجه الأرض أو لم يتعقل هذا الجهول أن الله تعالى لم يوجد شيئا فى هذه الدنيا من الخير إلا مشوبا بالشر. أو لم ينظر إلى نفسه أن الله تعالى جمع فيه الخير والشر نسأل الله تعالى أن يبصرنا فى الأمور كلها إنه على كل شىء قدير.

مسألة أخرى

حكم الذبائح التى تذبح فى المولد الشريف

إعلم هدانا الله وإياك لما فيه الخير والصلاح أن فرق الخوارج ومن على مبادئهم ينكرون كل ما يعمل فى المولد الشريف وجميع الموالد التى تعمل إقتداء به ويتلمسون فيها الشبه التى ضلوا بها ويضللون ضعفاء الإيمان وبسطاء المسلمين فمنها قولهم إن الذبائح التى تذبح فى الموالد والنذور التى تعمل لها حرام وبدعة مستدلين بقوله تعالى (وما ذبح على النصب) وبقوله صلى الله تعالى عليه وسلم «كل بدعة ضلالة» وهم لا يفقهون للآية ولا للحديث معنى نقول: إن ما يذبح للنصب على وجه تقرب العابد للمعبود إذ يقول

عند الذبح باسم اللات والعزى أو غير ذلك من أسماء الأنصاب التي يذبح لها. وأما هذا المؤمن فيقول بسم الله . الله أكبر وهو ليس كذلك فان كان هذا الذي يذبح للولي ما هو إلا لله لأن الباعث على ذلك حبه فيه وهو لحب الله تعالى فيه فهو يتقرب به إلى الله لا إلى الولي إذ الولي مصدر من مصادر الحق عز وجل لظهور كرامات الله عزوجل وخرقه للعوائد على يديه ونسبة الأفعال إليه نسبة إضافية مجازية لأدنى ملابسة هذا والنذر لا يكون إلا لله تعالى لأن السبب الحامل عليه لا يقوم به ولا يؤديه إلى المنذور إليه حقيقة وهو الفعال لما يريد قال تعالى (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) فإذا كان الرسول المشرع والمؤسس لدين الحق عزوجل لعباده لا يستطيع أن يأتي بمعجزة من عنده فكيف بالولي أن يأتي بالكرامة من عنده فإذن النذر لا يكون في الحقيقة إلا لمن يأتي بالكرامة وخرق العادة ومن هو غير الله عز وجل وهل لعباده معه فعل حتى تنسب إليهم النذور حقيقة وخاصة مع قوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) ولا يخفى أن أفعال العبد داخلة في تكوينه وهذه مسألة لا ينكرها إلا من قصر عقله عن إدراكها (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) وأما قول الفقهاء : النذر بغير الله تعالى باطل وحرام والذبح لغير الله تعالى كذلك نعم مراد الفقهاء وجميع علماء الشرع رحمهم الله تعالى فهو على نحو ما قررنا لأنهم من أكابر العارفين بربهم وقولهم هذا المراد به إذا اعتقد الناذر أو الذابح أن المنذور له يأتي بأفعال من عنده وله ولو بعض تصرفات في عالم الملك أو الملكوت فيكون مشركا حقا وهو أي الشرك أن يكون لله تعالى نداً فالنذر يكون باطلا وحراما والذبح كذلك وهذا هو مراد الفقهاء والعقلاء من العلماء . وأما قولهم: إن الذبح لأجل الولي بدعة وباطل وشرك وحرام فلم يفقهوا لها معنى إذ لا فرق بين الذبح للولي وبين الذبح للأضحية وإكرام الضيف وحبه فيه ورفعة شأنه عنده أو لوليمة أو لختان أو لتوسعة اقتضت ذلك فلا فرق هنالك إلا لمتعسف يتبع نفسه هواها وإلا فما معنى قول الحق عز وجل (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) أولم تكن هذه المذبوحات من طيبات الرزق التي أحلها الله تعالى لعباده وأباح لهم التمتع بها عند المقتضيات وإن لم يكن كذلك فيكون جميع ما جاء به الشرع وأمر بالقيام به عند المقتضيات شرك لأنها لا تفعل إلا لذلك يعني كإطعامه الطعام لأنه جائع وإكسائه له عريانا إذ السبب غير المسبب هذا وأن الفاعل لذلك قد اقتفى فيها أثر من رضى الله تعالى عنهم من السابقين الأولين قال تعالى (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات

عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته إن الله غفور رحيم والسابقون الأولون من المؤمنين والمهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) اللهم اجعلنا منهم وزدنا تبصرا بنور معرفتك حتى تتكشف لنا معالم التحقيق . قل لهذا المعترض أو لم يكن المولد الشريف فرحا لكل مسلم وكالوليمة وكالعقيقة ويدعى لهما أو لم يكن داخلا تحت ما يشا كلهما فى عموم قوله الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث المتفق عليه عند البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال « إذا دعى أحدكم أخاه فليجب عرسا كان أو نحوه » أليس هذا من العموم الذى جاء التصريح به من المشرع الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم ومن هنا تعرف أنه فرح كالوليمة . ووجه تطويل وامتداد أيامه عند المسلمين أصله أيضا من الدين إذ الوليمة جاء فى أصل الشرع امتدادها سبعة أيام أو ثمان كما جنح إليه البخارى حيث قال : ـ باب حق إجابة الوليمة والدعوة ومن أولم سبعة أيام ونحوه ـ وأشار بذلك إلى ما أخرجه ابن أبى شيبة من طريق حفصة بنت سيرين قالت : لما تزوج أبى دعى الصحابة سبعة أيام وفى رواية ثمانية أيام وإليها أشار البخارى بقوله أو نحوه وإن تشأ فقل هو فرح كالعقيقة والعقيقة لا يخفى أمرها على عاقل له أدنى اطلاع على السنة من جواز الذبح لها وامتداد أيامها ، روى مالك من ولد له ولد فأحب أن ينسك عن ولده فعل . ومن حديث أبى داود عن جابر أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام . ومن حديث بريدة عن أبيه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال العقيقة تذبح لسبع ولأربع عشرة ولأحد وعشرين » وعند الترمذى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أمرهم أن يعق عن الغلام بشاتان مكافئتان وعن الجارية بشاة . وعن سمرة أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « كل غلام مرتهن بعقيقته تذبح عنه يوم سابعة ويحلق ويسمى » متفق عليه أليس هذا يصلح لأن يكون دليلا على جواز الذبح فى الأفراح وهل الأولى عند العقلاء الفرح بمولود لا يعرف مستقبله أم الفرح بنعمة عمت جميع الأنام وأن ما يذبح عند العقيقة ما هو إلا توسعة منشؤها السرور والفرح وأن ما يذبح فى المولد الشريف فضلا من أن يكون توسعة على نفسه وعياله وذويه وأحبابه لمناسبة المولد الشريف فإنه لا يكون إلا بباعث إلهى وإيمان صادق ويقين متحقق لحبه فى صاحب المولد الشريف وسرورا باحتفاله وابتهاجا بحلوله وعودته فى كل عام

فيكون المقصد الأسمى عنده والأمر الأول هو الحب لأنه لا يذبح الضيف إلا لشدة حبه فيه ولمزيد عنايته به ولا شك أن الحب برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الإيمان فكل ما يفعل من دواعيه وبواعثه لا يكون إلا عن صدق خالصا لوجه الله تعالى لأن الحب لله ولرسوله ولعباده الصالحين الذين يحبهم الله عز وجل ورضى عنهم ما يكون إلا لقصد القربات لله تعالى رجاء أن يحشره مع من يحب مصداقا لقوله صلوات الله وسلامه عليه للأعرابى الذى أخذ يسأل عن الساعة ويقول متى الساعة يارسول الله قال « ما أعددت لها ؟ قال ما أعددت شيئا سوى حب الله ورسوله » فقال صلى الله تعالى عليه وسلم « المرء يحشر مع من يحب » وأما الذبح وذكر اسم الله عليه فهذا مما لا نزاع فيه على ما بينا فى أول هذا الفصل إذ لا يقول الذابح على المذبوح حين وضع المدية عليه بسم فلان صاحب المولد بل لا يقول طبعا إلا بسم الله . الله أكبر وهذا هو المعتاد والمتعارف . مهما كانت الذبيحة مخصصة لذبحها فى هذا المولد فلا ربط بين الذابح والمذبوح والمولد فلا تكون أكثر من الأضحية والعقيقة والنذور والكفارات وإلا لكان كل ما ذبح ولو لضيوف أو للأضاحى أو للنذور أو للشركة بين جماعة أو للأكل خاصة شرك . إذن قد انجلى لك الأمر عقلا ونقلا ولا عبرة بقول الخوارج ومن على مبادئهم قياسا على ما كان يذبح للنصب ما يذبح فى هذه الموالد لأن الفرق واسع وبينهما مدى شاسع إذ ما كان يذبح للنصب ما هو إلا للآلهة المعبودة لهم على ما بينا . وأما ما يذبح لعباد الله الصالحين ما هو إلا حبا فيهم وتوسعة على المحبوبين والرجاء فيه كثرة الثواب للأكلة بهذه المناسبة إذ لو لم تكن هذه المناسبة ما كان هناك ما يحمل على عمل هذا الخير من التوسعة للفقراء لنيل الثواب . وأما قول الخوارج ومن على مبادئهم ما هى إلا المغالطة وتضليل بأمثالهم من طمس بصيرتهم وإضلالهم عن الحق وعن الطريق المستقيم لأنك لو نظرت ما كان يفعل فى حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم بالمناسبات والمناسبات وما يفعل الآن من المناسبات المتناسبة لوجدت الأمر متحدا قولا وفعلا فكأن القيام بهذه الأعمال ما هو إلا اتباع لهم بإحسان على خط مستقيم نسأل الله تعالى التوفيق والتبصر فى أحكام الدين .

أدل دليل على جواز ذبح الذبائح

لا يخفى أن من أكبر الدلائل على جواز ذبح الذبائح للمحبوبين من عباد الله لذمتهم ولاسمهم خاصة واعتناء لشأنهم وإظهارا لرفعة قدرهم ما قص الله تعالى علينا

فى كتابه العزيز من قصة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام من اهتمامه بشأن أضيافه قال تعالى : (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) أفهل سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما رأى من هيبة أضيافه وندره ما اتصفوا به فما وسعه إلا أن بادر بذبح عظيم وجهزه وقربه إليهم ابتهاجا بهم وفرحاً وسرورا بشأنهم ما يليق بهذه المناسبة من فعل الخير العظيم الذى يعم الأضياف وآل البيت والأقارب والمحبين وكان الأصل الحامل على ذلك هو الذبح لهؤلاء الأضياف أفهل يقال للحامل على ذلك شرك لأنه ذبح للأضياف لا لله ؟ فتعرف منها أن قوله الخوارج فى هذه تضليل وتمويه وخروج منهم عن الجادة والعدول عنها إلى غيرها ممن يبغونه عوجا ويعترضون به على خيرة الأمة الإسلامية فلو كان هؤلاء ممن يقرؤن ويتدبرونه لمرت على قلوبهم وفهموا منها جواز الذبح للأضياف والأفراح ولكن ماذا نصنع فيمن طمس الله قلوبهم وجعل عليها أقفالها فهم مصداق قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (يقرؤن القرآن لا يتجاوز تراقيهم) . ولا شىء هنالك أعظم من فرح مولد سيد العالمين الذى أنعم الله تعالى به على جميع خلقه فتم به النعمة وهدى به إلى الطريق القويم .

مسألة أهم وأتم

للنكرين المعارضين بإجماع المسلمين أقوال : منها قولهم : عرفنا أن مولد سيد العالمين ربما كان له شىء من المستحسنات أو الخيرات ولكن ما الدليل على هذه الموالد التى تعمل للأشياخ ممن يسمونهم أولياء ؟ نقول : إن الموالد التى تعمل للأولياء ما هى إلا على الأصل الذى بنيت عليه : وهو مولد جدهم الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم ، منفصلا عما خصه الله تعالى به من المزايا والنعم الكبرى التى أجراها تعالى على أيديهم لعبادة لتميزهم واختصاصهم عن غيرهم ، فكفى بها أكبر تذكر بالنعمة الكبرى التى هى أهم نعمة تعالى على عباده بمولده الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم .

إذ ما من ولى من أولياء الله تعالى إلا وهو فرع من أصل تلك الشجرة المباركة ، ولا يوجد ولى لله تعالى على وجه الأرض إلا وهو من أصل ذلك المثل الطاهر والعنصر الشريف بدليل قوله تعالى : (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) وقوله تعالى : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)، وما من رسول من المرسلين إلا وقال لقومه (لا أسألكم عليه أجراً) . أى البلاغ أو : لا أسألكم عليه مالا . إلا حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم فقد قال الله تعالى له : (قل لا أسألكم عليه

أجرا إلا المودة فى القربى) أى المودة لقرابتى . وقد سئل حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم من آل بيتك يارسول الله الذين أوجب الله تعالى علينا ودهم فقال . (فاطمة وعلى وماتناسل منهما) كما يشهد له حديث المباهلة الذى كان أصله بعد أن أنزل تعالى النيف وسبعين آية فى شأن سيدنا عيسى عليه السلام وهم لم يقتنعوا بتلك الآيات فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله تعالى وسلم قوله تعالى . (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فقالوا من الغد يامحمد . فلما غدى صلى الله تعالى عليه وسلم من الغد أصبح مبكرا بيده الحسن والحسين وخلفه فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها وخلفها على رضى الله تعالى عنه فلما رأوه كذلك قالوا لبعضهم أنا نرى الرجل محقا وفى وجهه اللعنة عليهم فأجلوه فلما وصل إليهم صلى الله تعالى عليه وسلم تنصلوا قائلين . يا محمد نأجل اليوم إلى الغد أو لا داعى إلى ذلك ولم يؤمنوا . فهؤلاء هم آل بيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخاصة ماقد اخرجه مسلم فى صحيحه عن سعد بن أبى وقاص قال . لما نزلت هذه الآية . (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسنيا فقال اللهم هؤلاء أهلى) وأعلم أن أهل حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم هم الذين على قدمه الشريف فى كل ما جاء به ولن يختلفا ولن يفترقا عن ذلك أبدا ما دامت الدنيا كما أخرج الترمذى فى صحيحة عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع يوم عرفه وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول . (انى تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا كتاب الله وعترتى أهل بيتى) وخرج أيضا فى صحيحة بسنده عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . (إنى تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى لن يفترقا حتى يردا على الحوض فأنظروا كيف تخلفونى فيهما) أخرجه الترمذى

فالحديث عام فى العلماء العاملين منهم وخاصة من أبرز الله فيه الأمور الخارقة للعادة وهم الأولياء الذين لم يعرفوا إلا بذلك وأنى أقول . لم يتخذ الحق عز وجل وليا من أوليائه إلا وهو من العلماء العاملين ولا يكون كذلك إلا وقد خصه تعالى بأنواع العلوم الثلاث المعنى بذكرها فى كتابه المقرر التى أرقاها العلم اللدنى فهو الجامع لقسمى العلوم التى عنى جل شأنه فى كتابه العزيز

(لفت نظر)

من شبه المنكرين على الموالد قولهم المولد للنبي وآل بيته وما فائدته للاولياء

قد عرفت مما تقدم أن الموالد التي تعمل لأولياء الله تعالى على أصل وضعها لمولد سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ وعرفت من أهم الدلائل فيه دوام شكر المنعم خاصة عند ذكر بدء انعامها وأهمها نعمة وجوده صلى تعالى عليه وسلم ، ومنشأ ذلك ومصدره الإيمان والحب فكذا موالد الأولياء منشأها ومصادرها كذلك خاصة لما أوجبه الله تعالى على عباده المؤمنين من ودهم ولا يكون الود إلا من الحب والإيمان وقد ذكرنا أن موالد الأولياء لهم كذلك لما أنعم الله تعالى بهم على بني البشر إذ بوجود الصالحين في الأرض يدفع الله بهم عن الصالحين والكافرين ، أرأيت معنى قوله تعالى (فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط إن إبراهيم لحليم أواه منيب) فقد وردان إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما جاءه الملكان قالا له إنا نريد قوم لوط فقال إبراهيم عليه الصلاة والسلام أرأيتم لو أن في البلد أربعين صالحا أفلا تكرم لأجلهم ؟ قالوا . نعم . قال . وثلاثين ؟ قالوا : وثلاثين . قال : وعشرين ؟ : قالوا . وعشرين . قال . وعشرة ؟ قالو . وعشرة . قال . وواحدا . قالوا : وواحد قال . أرأيتم فيها لوطا (قالو نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين

ولا تنسى قوله جل وعلا (ولو لا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطأوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) وإليك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « لولا شيوخ ركع وبهائم رتع وأطفال رضع لصب عليكم البلاء صباً » فبأنعام الله تعالى على عباده بهؤلاء الصالحين يجب شكره تعالى عليها عن مصدر اظهارها وبدء إنعامها عليهم . ولا يخفى أن شكر المنعم واجب أولا يكفيك أن عمل الموالد وغيرها مما يعمله المسلمون من الابتهاجات والسرور كالمحمل واظهار الصلاة والسلام على سيد الأنام بعد الأذان والذكر أمام الجنائز وعمل الأذكار في البيوت والشوارع وغيرها من المسائل التي اجمع عليها عقلاء الأمة قديماً وحديثا داخلة تحت إظهار شعائر الله تعالى للاسلام ورفع شأن المسلمين فيكون داخلا تحت قوله تعالى : (ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح) ومن مهام ذلك إظهار الشعور بالحب لآل بيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واظهار ودهم الذي أوجبه الله تعالى على

عباده المؤمنين ، وقد بينا لك أنه لا يوجد ولى على وجه الأرض إلا وهو من آل بيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد حثنا صلوات الله تعالى وسلامه عليه بلفت النظر إلى ذلك بالحب والود إليهم بقوله فى الحديث الشريف الصحيح المروى عند أصحاب السنن «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله وأحبو آل بيتى لحبى» وهل القائم بعمل المولد للولى محب أم مبغض كاره ؟ أفلا يكفيه أنه محب ؟ ومن هنا تعرف أن محب الأولياء محب لآل بيت النبى ومحب آل البيت محب لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم ومحب النبى محب لله عز وجل . ومبغض الأولياء مبغض لآل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ومبغض آل البيت مبغض للنبى صلى الله عليه وسلم ومبغض النبى مبغض لله عز وجل لم يمتثل أوامره ولم يجتنب نواهيه . وكفاه بهذه شقوته ، وبعده عن الله عز وجل إذ الحب أصل فى الأيمان ولا يعد الأيمان إلا به فى كل شىء بحسبه ، وفى الحديث الصحيح ما يرشد إلى ذلك من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامسة فتهلك » قال شارحه . ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا ممن كان قبلكم مات فتعلق فى رحمة الله وتعلقت به ملائكة العذاب فقال الله عز وجل لهم أو لم يكن عالما ؟ قالوا . بلى وأنت أعلم . قال الله : أو لم يكن متعلما ؟ قالوا : بلى وأنت أعلم ؟ قال الله أو لم يكن مستمعا ؟ قالوا بلى وأنت أعلم . قال الله أو لم يكن محبا قالوا . كان يحب رجلا وذاك الرجل يحب رجلا عالما . قال قال الله محب المحب يدخل جنتى » ويكفينا أن القائمين بعمل الموالد اظهار شعورهم بالحب والود ، جعلنا الله تعالى منهم . وأدام لنا وعلينا عطفهم وعطف جدهم صلى الله تعالى عليه وسلم (لفت نظر آخر) من شبه المنكرين على الموالد قولهم : يعملون الموالد للولادة ، ولم لا يعملون المآتم لموتهم ؟ وكيف يعملون الموالد وقد ماتوا ، ولم يحزنوا على موتهم ؟ والمعلوم أن الموالد أفراح ، فكيف يتفق لهم هذا ؟ مع هذا ؟ نقول : إنا قدبينا فيما تقدم أن الأصل فى الموالد شكر نعمة الله تعالى على عباده لوجود بدء النعمة ، والأصل فى ذلك كله على ما قدمنا وجود نعمة الله تعالى على عباده ببدء ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا فى كل بدء نعمة أنعم بها على عباده فيما يعود عليهم منها وبها النفع ، فالمولد استذكار بدء النعمة وشكر المنعم بها وعليها واجب ، فالنعمة منذ أن أنعم بها المنعم شاملة سائدة مستمرة ما بقيت الدنيا ، إذ المنعم بها كريم فياض لا يقطعها لأنه كريم جواد وهم يظنون أن الموت انقطاع لحياة الأشخاص وبموتهم تنقطع بهم النعمة وقد خاب وخسر من ظن ذلك ، إذ ما أنعم الله بنعمة وقطعها قط لأنها لو انقطعت بموت الأشخاص لتعطلت صفة من صفات الله تعالى الموصوف بها ذلك

الوجود ، وهو حي بالنسبة لذلك الوجود الميت ، وتعطيل صفات الله تعالى محال ، لأن االوجود وجد منذ أن بدأ الله تعالى الموجودات خاصة ابن آدم لا يزال يرقى في الحياة إلى مالا نهاية وغرضي من ذكر ابن آدم لأمرين .

أولاهما : هو مراد الحق عز وجل من هذا الخلق وثانيهما : في نظر الكثير من الناس يعرفون أن الموت عدم ، وليس كذلك . فرجع ونقول . إن ابن آدم يترقى في الحياة الوجودية منذ إن شاء الله تعالى إبرازه إلى عالم الدنيا . فلا يزال يرقى فيها من بدء تكوينه إلى خروجه منها . أليس وهو نطفه أرقى من كونه دما ؟ ومن كونه دما أرقى من كونه مطعوما مشروبا ؟ . وأليس من كونه علقة أرقى من نطفه ؟ وكونه مضغة أرقى من علقة ؟ وكونه لحما وعظما أرقى من كونه مضغة ؟ وكونه جنينا يتحرك في بطن أمه أرقى من كونه لحما وعظما ؟ وكونه طفلا بعد الولادة أرقى من كونه جنينا ؟ وهكذا الطفولة يترقى فيها ومنها إلى أن يشاء الله إلى كونه شابا عاملا وزجلا كاملا وشيخا معمرا أليس ذلك كله ترق في الحياة ؟ (فتبارك الله أحسن الخالقين) فبعد هذا تنقطع الحياة ؟ والله تعالى يقول . أن الانتقال من هذه الحياة الدنيا إلى الحياة الأخرة التي قال فيها عز وجل : (وان الدار الأخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون) بعد أن بين جل وعلا أن الحياة الدنيا أقل بكثير من الحياة الآخره قال تعالى : ـ (وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) وربما يقول صاحب الشبهة المراد بالآخرة بعد القيام من القبور ؟ نقول له . إن الآخرة تلو الدنيا مباشرة لافارق بينهما كالليل والنهار واليقظة والنوم ، وقد أبان ذلك جل وعلا في كتابه العزيز : (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون) فقوله جل وعلا : اليوم أكبر دلالة على الانتقال من الدنيا إلى الآخرة في هذه اللحظة . وقد أبان ذلك حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث الشريف بقوله : « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » والحديث الآخر : «إذا مات أحدكم يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار » ولا يعرض المقعد ولا يستيقظ النائم إلا إذا كانت هذه الحياة أرقى من الحياة الأولى هذا لكي تعرف أن ابن آدم محل نظر الحق تعالى من هذا الخلق إذا قبر كان أرقى من الحياة الدنيا ، وها هو قوله تبارك وتعالى (من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبه ، ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعلمون) فالحياة الطيبة شاملة الدنيا والاخرة وإن الاخرة حياتها

أرقى واعلا وأفضل قال تعالى (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) فإذا ثبت فى نظر المنكر حياة الأدمى مما قدمنا له من الأدلة ، وقد أو سعناها فى مقام آخر من هذا الكتاب ، فالمولد فرح له لأنه ترقى فى رحمة الله ورضوانه أكثر مما كان فى الدنيا فهو أحق وأجدر بعمل الأفراح له ، لذلك ولأن جعله الله تعالى مصدر الخير لعباده فى دينهم ودنياهم وآخرتهم مما عاد عليهم به ومنه خير الدين والدنيا والآخره (والله يختص برحمته من يشاء والله ذوا الفضل العظيم) وقال تعالى : ـ (يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً)

وليست الموالد تعمل لكل شخص من آل البيت رضى الله تعالى عنهم ، بل من أبرزت فيه تلك النعم الالهية فوجب شكر المنعم عليها نذكر ذلك السبب الذى لفت عباده النظر إليه قلب وأجاب من ايقظ الله قلبه وفهم معنى الخطاب فقام ناهضا وعمل شاكرا رجاء أن يدرج فى سلك المحبين لآل بيت النبى الطيبين الطاهرين رجاء رضوان رب العالمين .

وأما من ينكر ذلك وقد قصر عقله عن إدراك كل ذلك ولم يفطن إلى مابين الله تعالى من الايات التى نصبها دلائل على معرفته وفهم أن الموت عبارة عن عدم وانقطاع الخير والبركة ممن كان موصوفاً بهاقبل موته فهو على مبدء الكافرين الذين يعتقدون أن الموت عدم وفى بيان الله عز وجل ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس كذلك وقد حذر الله تعالى عبادة المؤمنين توليتهم للكافرين الذين يعتقدون أن لا حياة بعد الموت وفهموه عدما صرفا قال تعالى . (ياأيها الذين آمنوا لاتتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور) فمن اعتقد أن الموت عدم هو شقيق من يعتقد أن لا حياة ولا بعث ولا نشور وأما المؤمن حقا فيعتقد أن الموت ترق فى الحياة وإن الكافر فى قبره حى أحيا من حياة أمثاله فى الدنيا وإن المنافق ارقى منه فى تلك الحياة والمؤمن المجرد الإيمان ولم يعمل بموجبه أرقى من المنافق والمؤمن العامل أرقى منه والمؤمن الصالح أرقى منه والولى أرقى وأعلا والشهيد أرقى وإن كانت له حياة خاصه به أرقى والنبى فقط أرقى والنبى والرسول أرقى أولوا العزم أرقى وافضل واولوا العزم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين أرقى وأعلا وأما المآتم والأحزان التى تعمل عندالموت ماهى إلا للمفارقه ولقطع الحركة له ، لا لانه مات وانعدم فكيف لاوقد قال صلوات الله تعالى وسلامه عليه فى الحديث المروى فى السنن

« ما من رجل يمر على قبر رجل كان يعرفه فى الدنيا فيقرؤنه السلام إلا ويرد عليه ويعرفه » ولا يدرك هذا ويعرفة إلا من قوى إيمانه وتضلع من الكتاب والسنه أو بلغ حد الكمال حتى يطلق عليه أنه رجل كامل ، والكامل هو الذى يجمع بين الضدين ، وأقلها بين رؤية الجن والملائكة ، وأهل الدنيا والآخرة ، نسأله تعالى أن يوفقنا ويكرمنا إكراما لسيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم.

الفصل الخامس

فى حكم مايعمل فى المولد من الحلوى صوراً وتماثيلا وغيرها .

قالت الخوارج ومن على مبادئهم الفاسدة الكاسدة المضلله للبرءآء من عباد الله إن ما يعمل فى الموالد تبعا لما سبق فى إنكارهم على كل ما يقوم به المسلمون من أعمال الموالد وقدحهم فيها وذمهم عليها وقولهم إنها كلها بدعة وضلالة ومن مهام بدع وضلالات الموالد ما يعمل فيها من الصور والتماثيل التى حرمها الله ورسوله كالعروسه والجمل والحصان وغيرها من الصور الآدمية وغيرها مما هو منهى عنه فى الدين الإسلامى ويقيمون البراهين على ذلك بالأحاديث الواردة فى هذا الباب المؤكدة بالوعد الشديد على من يصور ذلك أو يقتنية أو يدخله بيته كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة الا كلب ماشية أو زرع أو صيد »

الأحاديث والمروى عند البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامه يقال لهم أحيوا ما خلقتم » وهكذا الأحاديث الواردة فى هذا الباب المشددة على المصورين ومن يقتنى الصور وفى هذا المعنى ذهب العلماء إلى اقوال كثيرة أجملها وأعمها الصور التى تكون كاملة من الجص والحجارة والخشب وغيرها من جميع الأنواع التى تعمل بها الصور والمعادن أيضاً بكافة أنواعها بحيث تستقر فيها الحياة بنص قوله صلوات الله وسلامه عليه عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من صور صورة فى الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وماهو بنافخ » متفق عليه وماعدى ذلك مما لا تستقر فيه الحياة كالرسوم فى الورق والقماش فهو مكروه لا غير وبعضهم أنهاها إلى المباح الذى لا شيء فيه مستدلا بالحديث المروى عند الترمذى (أن جبريل نزل بصورة عائشة رضى الله عنها على ورقة من الجنة فقلت اللهم إن كان

خيرا فأمضة ، هذا وإن أفاضل العلماء الذين يقتدى بهم ولهم الرأى الثابت فى الدين كالشيخ بخيت وغيره فى رسالته المشهورة فى حكم التصور الفوتوغرافى وقال العلامة القرطبى فى تفسيره فى الجزء الرابع عشر صفحة ٢٧٤ – ٢٧٥ مانصه :

المسألة الثانيه وقد استثنى من هذا الباب لعب البنات لما ثبت عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوجها وهى بنت سبع سنين وزفت إليه وهى بنت تسع ولعبها معها ومات عنها وهى بنت ثمان عشرة سنة . وعنها أيضاً قالت كنت ألعب بالبنات عند النبى صلى الله عليه وسلم وكان لى صواحب يلعبن معى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل يتقنعن منه «أى يختفين عنه من وراء ستر » فيسربهن أى فيرسلهن إلى فيلعبن معى . خرجهما مسلم . قال العلماء وذلك للضرورة إلى ذلك وحاجة البنات حتى يتدربن على تربية أولادهن ثم إنه لا بقاء لذلك وكذلك ما يصنع من الحلاوة أومن العجين لا بقاء له فرخص فى ذلك والله أعلم اهـ منه أقول وعلى ذلك أمر شراح الأحاديث الواردة فى هذا الباب ، أو لم يكف هؤلاء مما قدمنا دليلا على جواز عمل الصور للأطفال ليفرحن بها ويدخل عليهم بها السرور نسأل الله تعالى أن يبصرنا فى الأمور كلها وأن يجرنا من خزى الدنيا وعذاب الأخره بجاه نبيه الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم

أقوال وادلة العلماء على جواز عمل المولد

للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم

وجميع الموالد التى تعمل لآل البيت من الأولياء

قال العلامة محمد بن أحمد بنيس فى (لوامع أنوار الكوكب الدرى فى شرح همزية الإمام البوصيرى المطبوع على هامش شرح الشمائل لابن قاسم جسوس صفحة ٢٤ عند قوله ليلة المولد الذى كان للد ين سرور بيومه وازدهاء

إذا ثبت أن ليلة ولادته التى ولد فيها أو ولد صبيحتها أفضل الليالى واليوم الذى تسفر عنه أفضل الأيام فهو عيد وموسم فيعظم ويحترم ويعمل فيه ما يدل على التعظيم والإحترام كما اختاره الحافظان الزين العراقى والجلال السيوطى .

وقال الإمام ابن عباد فى رسائله وأما المولد فالذى يظهر لى أنه عيد من أعياد المسلمين وموسم من مواسمهم وكل ما يفعل فيه مما يقتضيه وجود الفرح والسرور

بذلك (المولد) المبارك من إيقاد الشمع وامتاع البصر والسمع والتزين بلباس فاخر الثياب وركوب فارة الدواب أمر مباح لا ينكر عليه أحد قياسا على غيره من أوقات الفرح ثم ذكر حكايته مع الشيخ ابن عاشر السلاوى ثم قال فى رسالة أخرى وكون هذا الأمر لم يكن فى الصدر الأول حيث الإيمان راسخ فى القلوب وشرائع الإسلام مطوية على تعظيمها والانقياد إليها ملو الأضلاع والجنوب، وليس بدافع له حيث لم يسبق من الإيمان إلا الأسم ولا من شرائع الإسلام إلا الرسم وقريب أن يذهب من أيدى هؤلاء الناس اسم ورسم وتذهب عنهم معرفته وعمله فلم يبق اليوم بأيدى الناس من الدين إلا أنهم إذا سمعوا بذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تضطرب له أفئدتهم وتنطلق بالصلاة عليه ألسنتهم بل المتفقة فى مثل هذا الوقت النحوس لو لم يحسن الناموس ويتحصل - بالإنقباض والعبوس ويلزم هيئة مستحسنة فى الجلوس لم يسمع أحد منه فتوى ولا قبل له دعوى وإن كان فى علم مالك مثلا، والعوام لا يتأثرون إلا بالمحسوسات من المنظورات والمسموعات والملموسات وأما الأمور الروحانية فهم بعزل عنها فكذا ترى الناس يصبحون فى ذلك اليوم متجملين متشوفين إلى أن يقرع سمعهم قارع من ذكر اسم نبيهم وحبيبهم فيلهجوا بذلك فرحا وسرورا ويبتهجوا به إستلذاذا وحبورا ومثل هذا لا يضيع لهم عند ربهم فى مرجعهم .

قال الإمام القسطلانى فى المواهب اللدنيه الجزاء الأول صفحة ٢٧ :

وقد رؤى أبو لهب بعد موته فى النوم فقيل له ما حالك فقال فى النار إلا أنه خفف عنى كل ليلة اثنين وامص من بين أصبعى هاتين ماء وأشار برأس أصبعيه وأن ذلك بإعتاقى لثوبية عندما بشرتنى بولادة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبإرضاعها له : قال ابن الجزرى فإذا كان أبو لهب الكافر الذى نزل القرآن بذمه جوزى فى النار بفرحة ليلة مولد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به فما حال المسلم الموحد من أمته عليه الصلاة والسلام الذى يسر بمولده ويبذل ما تصل إليه قدرته فى محبته صلى الله تعالى عليه وسلم لعمرى إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله العميم جنات النعيم

وقد قال المحدث العلامة السيوطى

إذا كان هذا جاء ذمه   وتبت يداه فى الجحيم مخلدا
أتى أنه فى يوم الإثنين دائما   يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذى طول عمره   بأحمد سرورا ومات موحدا

ولازال أهل الاسلام يحتفلون بشهر مولده عليه الصلاة والسلام ويعملون الولائم ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات ويظهرون السرور ويتزيدون فى المبرات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم ، * ومما جرب من خواصه أنه أمان فى ذلك العام وبشرى عاجله بنيل البغية والمرام فرحم الله امرأ اتخذ ليالى شهر مولده المبارك أعيادا ليكون أشد علة على من فى قلبه مرض وأعيى داء ولقد أطنب ابن الحاج فى المدخل فى الإنكار على ما أحدثه الناس من البدع والأهواء والبغى بالآلات المحرمة عند عمل المولد الشريف فالله تعالى يثيبه على قصده الجميل ويسلك بنا سبيل السنة فإنه حسبنا ونعم الوكيل اه منه بحروفه .

قال العلامه فتح الله البنانى فى المولد الشريف (فتح الله فى مولد خير خلق الله صلى الله تعالى عليه وسلم) صفحة ١٥٢ أن أحسن ما ابتدع فى زماننا هذا كما قاله الإمام أبو شامه وغيره رضى الله تعالى عنهم ما يفعل كل عام فى اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله تعالى عليه وسلم من الصدقات والمعروف وإظهار الزينه والسرور فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان للفقراء مشعر بمحبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيمه فى قلب فاعل ذلك وشكر الله تعالى على مامن به من إيجاد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذى أرسله رحمة للعالمين .

قال الإمام السخاوى رضى الله عنه أن عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة . ثم لازال أهل الاسلام من سائر الأقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم . ثم نقل عبارة اللواهب إلى أن قال صفحة ١٥٣ . وفى مقدمة مولد الشيخ الإمام العلامة الهمام سيدى خالد بن الوالدى رحمه الله تعالى مانصه قال (الجنيد) رضى الله تعالى عنه من حضر قراءة مولد النبى صلى الله عليه وسلم وعظم قدره فقد فاز بالأمان .

وقال (معروف الكرخى) رضى الله تعالى عنه من هيأ لأجل قراءة مولد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم طعاما وجمع إخوانا وأوقد سراجا ولبس جديدا وتبخر وتعطر تعظيما لمولده صلى الله عليه وسلم حشره الله يوم القيامة مع الفرقة الأولى من النبيين وكان فى أعلا عليين . وقال فريد دهره ووحيد عصره الإمام (فخر الدين الرازى) رضى الله تعالى عنه ما من شخص قرأ مولد النبى صلى الله عليه وسلم على ملح أو بر أو شىء من المأكولات إلا ظهرت فيه البركة وفى كل شىء وصل إليه ذلك الملح

أو البر أو غيره ومن صل إلى جوفه شيء من ذلك فإنه يضطرب أى يتحرك ولايستقر فى جوفه فى حق يغفر الله لآكله وإن قرىء مولد النبى صلى الله عليه وسلم على ماء طاهر فكل من شرب من ذلك الماء دخل قلبه ألف نور ورحمة وخرج منه ألف غليه وعلة وفى ـ صفحة ١٥٤ ولا يموت قلبه يوم تموت القلوب الخ . إلى أن قال وقال (الإمام الشافعى) رضى الله تعالى عنه من جمع لمولد النبى صلى الله عليه وسلم إخوانا وهيأ لهم طعاما وأخلى مكانا وعمل إحسانا وصار سببا لقراءته بعثه الله يوم القيامة مع الصديقين والشهداء والصالحين ويكون فى جنة النعيم . وقال (السرى السقطى) من قصد موضعا يقرء فيه مولد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقد قصد روضة من رياض الجنة لأنه ما قصد ذلك الموضع إلا لمحبته فى رسول الله صلى تعالى عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم (من أحبنى كان معى فى الجنة) الحديث

وقال سلطان العارفين (الإمام جلال الدين السيوطى) فى كتاب الوسائل فى شرح الشمائل مامن بيت أومحل أو مسجد قرىء فيه مولد النبى صلى الله عليه وسلم إلا حفت الملائكة أهل ذلك البيت أو المحل أو المسجد وصلت على أهل ذلك المكان وعمهم الله بالرحمة والرضوان وأما المطوقون بالنور وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل والصافون والحافون والكروبيون أى المسرعون فى طاعة الله تعالى فإنهم يصلون على من كان سببا لقراءته . وقال (مصنفه) ـ العلامة فتح الله البنانى ـ مامن مسلم قرىء فى بيته مولد النبى صلى الله عليه وسلم إلا رفع الله عنه القحط والبلاء والحزن والغرق والآفات والعاهات والبليات والنكبات والبغضاء والحسد واللصوص فإذا مات هون الله عليه جواب منكر ونكير وكان فى مقعد صدق عند مليك مقتدر . اهـ منه بحروفه ثم ساق حكايات فى الموضوع قال آخرها وللإمام السيوطى رضى الله تعالى عنه فى هذا الموضوع رسالة سماها حسن المقصد فى عمل المولد .

وفى جواهر البحار للعلامة النبهانى ج ٢ ص ١١١١ فى الكلام على جواهر السيد أحمد عابدين . التى منها شرحه على مولد الإمام ابن حجر . قال ابن عابدين فى المقدمة . اعلم أن من البدع المحمودة عمل المولد الشريف فى الشهر الذى ولد فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وأول من أحدثه الملك المظفر صاحب إربل إحداثا عظيما لم يسبق بمثله هذا وجه تشهيره وإلا فهو من زمن التابعين وتابع التابعين وفى القرن الثالث أظهره أ كثر من المرات الأولى ومن بعد الملك المظفر عم جميع بلاد الإسلام ماعدى الخوارج

والمنافقين ولا زالو إلى يومنا هذا ينكرون المولد وعلى عامليه قال ابن كثير فى تاريخه كان يعمل المولد الشريف فى ربيع الأول ويحتفل به احتفالا هائلا وكان شهما شجاعا بطلا عاقلا عادلا وطالت مدته فى الملك إلى أن مات وهو محاصر الفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة محمود السيرة والسريرة. وقال سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان - ص ١١٢٢ حكى لى بعض من حضر سماط المظفر فى بعض الموالد أنه عد فيه خمسة آلاف رأس غنم شوى وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى وكان يحضر عنده فى المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم وكان يصرف على المولد فى كل سنة ثلاثمائة ألف دينار كما فى سيرة العلامة الشيخ محمد الشامى تلميذ الإمام السيوطى ومثله فى شرح المواهب للعلامة الزرقانى وقال فى روح السير للعلامة إبراهيم الحلبي الحنفى قد صنف ابن دحية سنة ٦٠٤ للملك المظفر كتابا فى المولد الشريف سماه التنوير بمولد النبى البشير فأجازه بألف دينار وقال فى النعمة الكبرى للمؤلف يعنى ابن حجر الهيتمى (ومع المولد الكبير) عن الشمس ابن الجزرى وأكثر الناس عناية بذلك أهل مصر والشام وإنه شاهد من الظاهر برقوق سلطان مصر سنة ٧٨٥ وأمرائه بقلعة مصر فى ليلة المولد المذكورة من كثرة الطعام وقراءة القرآن والإحسان للفقراء والقراء والمداح ما بهره وأنه صرف ذلك نحو عشرة آلاف مثقال من الذهب - قال غيره وزاد ذلك بأكثر من السلطان الظاهر أبى سعيد جقمق على ماذكر بكثير - وكان لملوك الأندلس والهند ما يقارب ذلك أو يزيد عليه اهـ. وقد كثر الإمام أبو شامة شيخ الإمام النووى الثناء على الملك المظفر بما كان يفعله من الخيرات ليلة المولد الشريف وثناء هذا الإمام الجليل على هذا الفعل الجميل فى هذه الليلة أدل دليل على أن عمل المولد بدعة حسنة لا سيما وقد ذكر أبو شامة هذا الثناء الفائق فى كتابه الذى سماه البواعث على إنكار البدع والحوادث. وهذا الفضل إذا خلا عن المفاسد - وعبارة أبى شامة. ومن أحسن ما ابتدع فى زماننا ما يفعل كل عام فى اليوم الموافق ليوم مولد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الصدقات ومثل الخيرات وإظهار الفرح والسرور فإن ذلك مع مافيه من الإحسان إلى الفقراء مشعر بمحبته عليه الصلاة والسلام وتعظيمه فى قلب فاعل ذلك وشكر الله على مامن ؟ ؟ من إعادة موعد مولده صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه إغاظة الكفرة والمنافقين اهـ. قال الزرقانى وقد اختاره أبو الطيب السبىء نزيل قوص وهو من أجلة المالكية - اهـ. إلى أن قال وما زال بحمد الله تعالى فى كل عصر طائفة من الإسلام ملتزمين له غاية

الإلتزام حتى لقد سعوا فيه معمرين سائر شهور العام محبة مرحبا بمولده الشريف عليه الصلاة والسلام ويعملون الولائم ص ١١٢٣ ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات ويظهرون السرور به ويزيدون المبرات ولا سيما ملوك الدولة العلية العثمانية وأمراؤها أصحاب الهمم القوية (صانها رب البرية من كل آفة ورزية فإنهم يعتنون بقراءة قصة مولده الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم . إلى إن قال . وقال . عمدة المحققين نور الدين على الحلبى فى كتابه إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون صلى الله تعالى عليه وسلم، والبرهان إبراهيم الحلبى فى روح السير بعد ذكر حاصل أكثر ما قدمناه واستحسان القيام عند سماع ذكر ولادته صلى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم مانصه وقد سئل الإمام المحقق أبو زرعة العراقى عن عمل المولد هل هو مستحب أو مكروه وهل ورد فيه شيء وهل نقل فعله عمن يقتدى به؟ . فأجاب رحمه الله تعالى بأن اتخاذ الوليمة وإطعام الطعام مستحسن فى كل وقت فكيف إذا انضم إلى ذلك الفرح والسرور بظهور نور النبوة فى هذا الشهر الشريف ولا نعلم غير ذلك عن السلف ولا يلزم من كونه بدعة كونه مكروها فكم من بدعة مستحبة بل واجبه اهـ . فهو بدعة حسنة . قال السيوطى وهو مقتضى كلام ابن الحاج فى مدخله فإنه إنما ذم ما احتوى عليه من المزمات مع تصريح فقيل ذلك بأنه ينبغى تخصص هذا الشهر بزيادة مثل البر وكثرة الصدقات والخيرات وغير ذلك من وجوه القربات وهذا هو المولد المستحسن ـ اهـ إلى أن قال قال الزرقانى والحاصل أن عمل المولد بدعة ولكنه اشتمل على محاسن وحدها فمن تحر المحاسن ص ١١٢٤ واجتنب ضدها كانت بدعة حسنة وإلا فلا .

وقال الحافظ ابن حجر فى جواب سؤال وظهر لى تخريجه على أصل ثابت وهو ما فى الصحيحين أن النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء . فقال لهم فقالوا هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى ونحن نصومه شكرا قال فيستفاد منه مثل الشكر على مامن به؟ تعالى فى يوم معين وأى نعمة أعظم من بروزه نبى الرحمة والشكر يحصل بأنوع العبادات كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة وسبقه إلى ذلك الحافظ ابن رجب الحنبلى اهـ إلى أن قال السيد أحمد عابدين فالاجتماع لسماع قصة مولد صاحب المعجزات عليه افضل الصلاة وأكمل التحيات من أعظم القربات لما يشتمل عليه من المبرات والصلوات وكثرة الصلاة عليه والتحيات بسبب حبه الموصل إلى قربة . قال سيدى محمد بن جعفر الكتانى فى السلوة ج١ ص ٦٢ فى الكلام على عمل المواسم للأولياء الصالحين إن حكم اتخاذها فى الجملة ومن حيث ذاتها هو الإباحه

إذ مع الأصل فى الأشياء الإباحة حتى يرد ما يعارضها أو يخالفها ثم نقل عن سيدى أبا سالم العياشى فى رحلته ما ملخصه، ولا يمنع ما يحدث فى المواسم وما يخالطها من حضوره صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان معهم فى حياته وهم على هذا الحال بينهم المسىء والمحسن ولم تحمل إساءتهم ولا عصيانهم بعض ونفاقهم على مفارقتهم والتخلى عنهم إذ لو فعل لوصل المسىء بالهلاك وخذل المطيع فى طاعته فكذلك هو صلى الله عليه وسلم معهم بعد موته ولذلك قال (حياتى خير لكم وموتى خير لكم (١) وقد صرح العلماء بعمل المولد الشريف قديما وحديثا والفوا فى ذلك الكتب لتقرء فى ليلة المولد الشريف، ومن ألف فى ذلك (١) ابن دحيه سنة ٦٠٤ وابن الجوزى . (٢) التقرير بمولد النبى الشريف صلى الله عليه وسلم وابن حجر الهيتمى النعمة الكبرى لمولد سيد ولد ابن آدم واختصره وشرح المختصر السيد أحمد بن عابدين (٣) سنة ١٢٢٠ (نثر الدرر على مولد ابن حجر) والعلامة محمد الداوودى (٤)(٥) والمناوى (٦) النابلسى سنة ١٠٦٣ (٧) البرزنجى سنة ١١٨٩ (٨) وشرح الشيخ عليش القول المنجى (٩) والإمام الدردير سنة ١٢٠١ والدمياطى المصيلى النجارى (١٠) وشرح مولده العلامة الباجورى (١١) وسيدى محمد الغمرى سنة ١٢٤٠ (١٢) والعلامة محمد بن جعفر الكتانى (١٣) والحافظ محمد عبد الحى الكتانى وهذا آخر ماتيسر جمعه ولله الحمد والثناء الحسن الجميل والصلاة والسلام على سيدنا محمد السيد الجليل لسيد العالمين الذى أرسله الله تعالى رحمة للعالمين اللهم أدم علينا حبه وأرزقنا دوام عطفه يامن بيدك ملكوت كل شىء وأنت على كل شىء قدير .

الباب الحادى عشر

فى المحمل

وما قيل ويقال فيه من أقوال المنافقين إخوان الكافرين وأهل الحق من المتحققين علماء المسلمين

المحمل هو عبارة عما يركب من أعواد أو خشب أو جريد النخل ثم يكسى بما يستر المحمول فيه ، وهو ما يسمى فى عرف العرب الأول بالهودج ، والشأن فيه أن لا يكون إلا لربات الخدور من النساء كما فى الصحاح عن عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها قالت « وأنا أحمل فى هودج وأنزل فيه » وعليه فهو سنة قال أهل

اللغة فى القاموس وغيره : والمحمل اسم لما يوضع على الإبل وقت الإرتحال يريدون الرحيل وهو السفر . ومنه قول أمرىء القيس .

كأنى غداة البين يوم تحملوا . لدى سمرات الحى ناقف حنظل

وفى محيط المحيط : والمحمل أيضاً واحد الحمول للهوادج أو الإبل التى عليها الهوادج . فالحمول الهوادج أو الأبل التى عليها الهوادج . والهوادج جمع هودج . والهودج محمل له قبة كانت تركب فيه النساء أ هـ فكان المحمل يستعمل للسيدات فى الأسفار البعيدة كالجهاد والحج والارتحال . وكان الشأن فيه أن يحمل على جملين مقدم ومؤخر وبهذا يسمى المحمل أو على جمل واحد ، ولهذا سمى الهودج . وإن كان العرف العام توسع فى التسمية باعتبار الأوضاع الحالية ويسمون ما يحمل على جملين (بالتخت روان) وما على جمل واحد من غير قبة يسمى (بالشقدف) ونوع آخر منه (بالشبرية) ثم كانت العادة فى صنع المحمل على حسب مقدرة العامل والمعمول له ثم لازال كذلك يتقدم الصنع فيه بتقدم الصناعات كما هى العادة فى تقدم الصناعات فى كل شىء بحسب الأزمنة وما يتجدده الناس بحسب توفيق الله تعالى لهم من مستحدثات الكون إلى عهد الملك صلاح الدين الأيوبى عام ٥٦٨ هجرية وقد طلبت وأمرت زوجته الصالحة والحاذقة بعمل محمل يتناسب مع مقامها لتحج فيه ، وفكرت ألا تخرج حاجة لبيت الله الحرام إلا ومعها ما تتقرب به إلى الله تعالى وهو كسوة بيته المحرم وعملت كسوة للكعبة المكرمة ولغيره لسيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم وبعض البقاع الطاهرة وكان الشأن قديما أن الذى يخرج إلى الحج أو التجارة لا يودع إلا بكل سرور واحتفال وعمل ما يبرهن على ذلك من ظهور آلات الأفراح وكذا أيضا عند قدومه كذلك إقرء سبب نزول قوله تعالى (وإذا رأو تجارة أو لهوا) الأية فلم يعب الحق عز وجل عليهم للهو أو السرور بالتجارة وإنما عاب عليهم انصرافهم عن حضرة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الوقت . ولما كان الشأن كذلك لم تخرج شجرة الدر إلا بالموكب الذى تراه الآن وقد حذف منه أشياء كثيرة اختصارا فى الزمن وما يلزم ذلك . ثم بعد أن رجعت ورأت أن ما صنعت كان أنسب لما صنع له ورأت تقرير العلماء لها على ذلك واستحسانهم لما صنعت . ولم يستحسن العلماء فى ذلك العهد هذا الصنع إلا لما رأوه موافقا للكتاب والسنة

من تعظيم شعائر الله ولما اشتمل عليه من صرف الأموال لما يلزم لكل ذلك وهو قربات لله تعالى أيضا وقدأمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بذلك فأوقفت لهذا الصنع الجليل المرضى عنه من خيار علماء عصرها الذين هم أشد حرصا على الدين وما يعتريه من أقوال الضالين والمارقين عن الدين فهم أبصر الناس بالكتاب والسنة والإجماع ويعرفون أن من لم يكن له أصل فى الكتاب والسنة فهو رد وهو بدعة ضلاله فعرفوا أن هذا المحمل له أصل فى الكتاب وهو تعظيم كسوة بيت الله الحرام . والسنة وعمل الصحابة كما سنبين لك أصله فى السنة وإجماع الصحابة إن شاء الله تعالى وليس ببدعه سيئه كما قال الدمر المجهول فى فتواه وكل من قال قبله وأستدل هو بكلامة .

فمن هنا تعرف أن وضع المحمل بهذا الصنع سنة باعتبار وضعه عن سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم إذ هو من تقريراته الشريفه التى هى أحد أصول الدين الإسلامى وهو لا يخرج عن أقواله الشريفة وافعاله المنيفة وبتقريراته اللطيفة واذكر الحديث المتقدم « وأنا أحمل فى هودج » الحديث فالنظر له والركوب فيه وصنعة سنة فهذا هو أصل المحمل ياأخى والله يهدى من يشاء إلى الحق وإلى طريق مستقيم .

(الحفل والاحتفال بالمحمل والادلة على ذلك)

جرت سنة الله تعالى فى خلقه مما تعوده الناس فى أمور دينهم ودنياهم أنهم يحتفلون بكل أمر عظيم ومنه السفر الهام والقدوم من الامور الهامة كالرجوع للتجارة ومما فيه حاجة الناس لما لها من الروعة والابتهاج فى النفوس كالخروج إلى الجهاد وإلى الحج وإلى زيارة بيت الله الحرام وقبر نبيه عليه الصلاة والسلام وغير ذلك مما يكون فيه حمل النفوس على الاعمال التى فيها تقرب إلى الله تعالى بأى نوع من أنواع القرب ولما فيه من التشجيع والدعاية للإسلام لما يعود فيه عليهم من الخير والصلاح دنيا ودينا وأخرى وخاصة الإهتمام بشد الرحال للبيت الحرام ومسجده الشريف فيا أخا العقل من أكبر الأدلة العقلية والنقلية على جواز عمل حفل المحمل إجماع عقلاء المسلمين هم العلماء وهم خيار الأمه الذين كانوا لا تأخذهم فى الله لومة لائم فى المحافظة على الأمور الدينية صغيرها وكبيرها ومن مهام ماكانوا عليه النظر فى شأن الأمر المستحدث إن لم يكن له أصل فى الدين فهو بدعة ضلالة ورد ولا يدعوه أن يكون عملا على صورة الدين والدين براء منه . ولكن لما كان شأن الحفل بالمحمل لا لذات المحمل بل لما يصحبه من كسوة بيت الله الحرام وهو من أعاظم تعظيم شعائر الله وما أجمع عليه

إلا لما يترتب فيه على أمور كل أصولها من الدين و (الأدلة على ذلك) .

أولا : ١ — أن كل ما يعمل مع حمل الكسوة وتشييعها إلى بيت الله الحرام ما هو إلا رمز لما عمل لأول مرة احتفل بها الناس لكسوة بيت الله الحرار وما يلحق به وإن هذا الشأن العظيم الذى هو أحق وأجدر بكل ما يحتفل به ليعيد على الناس الذكريات وما كان أهلها على الخير والبر والتقوى واعتنائهم لكل أمر خارج إلى بيت الله الحرام ومن هذا وغيره يعتبر أمر الحفل بالمحمل والاحتفال به من الدين بمكان

ثانيا : ٢ — لعلهم لما جاء من قوله تعالى (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) والشعائر كل منزلة من منازل الحج إلى بيت الله الحرام فالآية فى هذا وقياس فى كل ما يلحق بذلك لأن الحفل وما فيه لم يكن للمحمل « الهودج » بل لكسوة بيت الله تعالى والهودج رمز لمن سنته سنة حسنة وهى من الدين بمكان

ثالثاً : ٣ — كان فى عهده الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم تقلد الأبل المساقة للذبح للبيت الحرام بمثات اطواق الفضة . هل كانت الأطواق تعظيما للابل المساقة ؟ ام تعظيم للمساقة إلية ؟ هذا وقد ورد فى صحيح السنة أيضاً أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأى رجلا يستاق ناقة ويسير خلفها وقد ظهر عليه تعب السفر فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم « اركبها » فقال : يارسول الله إنها بدنه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم : « اركبها فإنما خلقت لذلك » انظر إلى تعظيم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لما هو مهداة إلى البيت الحرام ولما رأوه من تعظيمه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك خصوصاً وأنه لم يعنف صاحبها على احترامه للمساقة إلى البيت بل عنفه على عدم ركوبه وإن الركوب لا يضنيها فمن هذا وغيره رأوا أفاضل الأمة وجهابذتها تعظيم كل مايهدى إلى البيت الحرام .

رابعاً : ٤ — لما فى هذا الحفل العظيم من دفع الشعور الدينية والحماسة الإسلامية إلى الغيرة لعمل الخير مثل هذا من تقديم النفقات والصدقات ونشر الخيرات على رؤس الأشهاد خصوصا ممن يوفقهم الله تعالى من القادرين مثل ما عملت شجرة الدر هذه الذكريات الخالده والله تعالى يقول فى الحث على فعل الخير (لمثل هذا فاليعمل العاملون) وما عمل الخير إلا لاقتداء اللاحق بالسابق و إن الحق عز وجل يقول : — (والذين اتبعوهم بأحسان) وما فائدة القصص فى القرآن المجيد إلا للفت النظر لمثل هذا

خامساً : ٥ — فى هذا الحفل اقتفاء أثر عمل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم

إذ كانوا يحفلون بما يخرجونه هدايا لبيت الله تعالى الحرام ، ولا يخفى لما يستدعى ذلك من النفقات التى عملها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، وقد امتدحهم الحق عز وجل بها وامتدح كل من اقتفى آثارهم إذ قال تعالى (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته ان الله غفور رحيم والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) . فيا أخا العقل كم ذا يتحمل هذا الحفل ويحمل حوله من النفقات التى لا داعى لذكر أفرادها ، وماهو ذا إلا لظهور تعظيم ما يحمل إلى بيت الله الحرام وما يتحمل من إدخال السرور على كثير من فقراء المسلمين .

سادسا ٦ ـ هذا الحفل والاحتفال هو من أكبر إظهار شعائر الإسلام الذى يجب على جميع المسلمين أن يظهروه ويحتفلوا به إذ يقول ربك تبارك وتعالى (ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح) هذا ولا تنس تشريع الشرع الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم لصلاة العيدين فى الخلاء وما هو إلا لإظهار شعائر الإسلام.

وهذا ولا يخفى على عاقل أنه على الأقل يكون فيه أكبر باعث ومنبه وموقظ للقادر الغافل عن أداء فريضة الحج . فبمثل هذا الحفل وما فيه من الروعة والسرور والابتهاج فيهم غيرة إلى الحج القاعد عنه .

سابعا ٧ ـ إن لم يكن فى عمل هذا الحفل إلا للدعاية إلى الحج وزيارة بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة السلام ومشاهد آثار الصحابة المباركين الكرام وما فيه من نفع وانتفاع مختلف طبقات العباد ذاهبا وغاديا لكفى .

ولا يخفى على كل ذى عقل سليم أن الله تعالى أمر بالدعاية عباده فى كل شىء بحسبه خصوصاً لما جاء فى الدين وفيه الدعوة إلى ما يقرب إلى الله تعالى من فعل الخيرات وترك المنهيات . قال تعالى (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل) فيا أخى إن لم يكن فى هذا الحفل والاحتفال إلا الدعاية للحج وما يتبعها من النفقات والنفع لعباد الله تعالى لكفى وهو عين الامتثال لقول الله تعالى المتقدم ولقول سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة) الحديث .

ثامنا ٨ — أنه لم يكن هذا الحفل مبدعا ولا مبتكرا ولا خارجا عما تضمنته السنة من هذا الدين الحنيف في الكلية المبينة في قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) الآية ومن المعلوم أن الكامل الكلى لا يعد كاملا إلا إذا كان مشتملا على الجزئيات . ومن مهام الجزئيات ما بيناه فما اشتمل عليه هذا الحفل والاحتفال العظيم فهو من الدين بمكان على ما بينا وما سنبينه من الأدلة العقلية المستفادة من الأدلة النقلية: الكتاب، السنة ، الإجماع

تاسعا : ٩ — من أكبر الأدلة على جواز عمل هذا الحفل والاحتفال الإجماع ، وكان يكفينا الإجماع وهو الحجة الثالثة في الدين بنص كتاب رب العالمين وسنة سيد المرسلين، إذ لا يخفى على كل ذى عقل سليم أن ابتداء عمل المحمل والاحتفال بكسوة البيت الحرام كان في عصر الدولة الأيوبية التى كانت في سنة ٥٦٧ هجرية وكان في هذا العصر أفاضل عقلاء الأمة الإسلامية وهم خيرة علماء هذا الدين الحنيف ممن لم يأت الزمان بمثلهم وكذا من بعده من خيار أفضلها ممن خصوا بالقياس والاستنباط وبلغوا حد التجريح والتعديل ولم تقرب منهم صغيرة ولا كبيرة مما اشتمل عليه الكتاب العزيز والسنة المطهرة إلا وقد بينوه للناس بل ولفتوا انظار العقلاء من الأمة إلى ما عساه أن يحدث من مستحدثات الكون الإلهى الذى جاء الكتاب العزيز شاملا له وجامعا لكلياتة وجزئياته . فلم يخف عليهم أمر المحمل وما يعمل فيه من الابتهاج والسرور، وكل ما يسعهم عمله من الأفراح ،ولم ينكر واحد منهم على شيء من ذلك لعلمهم أن الكتاب العزيز جاءت قواعده الكلية مشتملة على مثل هذه الجزئيات ولعلمهم أن المنكر في الدين وفي البدعة الضلالة السيئة هو الذى ليس له أصل يرجع إليه في الكتاب والسنة أخذا من قول المشرع الشريف صلوات الله تعالى وسلامه عليه في الحديث المروى عند أصحاب الصحاح ولفظه : (من أحدث في ديننا هذا ما ليس منه فهو رد) وفي رواية (فهو خداج) فلما رأى هؤلاء الأفاضل أن القواعد الكلية الدينية اشتملت على مثل هذا الخير العظيم على ما بينا لك فلم ينكروه وأجازوا كل ما يعمل فيه إذ أصله من الدين ، وما كان أصله من الدين فلا يرد كما لا يخفى على كل ذى عقل سليم لأن مثل هؤلاء الأفاضل السابقين المحرصين على قواعد الدين المقيضين من رب العالمين لذلك وليس لهم أى شاغل في الدنيا عن هذا فكيف لا يفرقون بين ما هو من الدين وما ليس منه خصوصا ما اشتملت عليه القواعد الكلية من صغير الأمور أو أصغر منها ودقيقها وأدق منها .

ولما كان شأنهم كذلك واتفقوا على أصليته من الدين ورءوه عملا صالحا للمسلمين

خصوصاً وأنهم هم السواد الأعظم من خيرة العلماء العاملين، فصار أمراً متبعاً إلى يوم الدين بدليل الإجماع الذى هو الحجة الثالثة فى الدين .

ومن هنا اعتبر كل عمل له أصل من الدين رضية لعباده تعالى رب العالمين مع إجماع المسلمين الذى قال فيه الصادق المصدوق صلى الله تعالى عليه وسلم « سألت ربى أن لا تجتمع هذه الأمة على الضلالة فأعطانيه » وفى الحديث الآخر « لا تجتمع هذه الأمة على الضلالة » وفى الحديث الآخر « ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن » فيا أخا العقل، ألم يكفنا أن هذا الإجماع طوال هذه المدة على هذا الحفل والاحتفال دليلا على أنه ليس ببدعة سيئة وأنه بدعة حسنة غير أنه لقصر عقولنا عن التعقل فى الكتاب والسنه أدى بنا إلى هذا الانكار وجعل البرءاء من خيار الأمة كانوا على ضلالة ولا قائل به وإلا لزم عليه إجماع المسلمين طوال هذه المدة على الضلالة معترضا قول الصادق المصدوق صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الإجماع ولا يقول به عاقل إلا كل مخالف لإجماع المسلمين . ولست أدرى هل ينكر كلام رب العالمين وبيان سيد المرسلين مكابرة وتضليلا أم حقيقة فيكون كفرا وخسرانا .

إذ الإجماع هو الحجة الثالثة فى دين الله تعالى بنص كلام رب العالمين . قال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) فلم يعلق تعالى إصلاءه جهنم إلا أن اتباعهم أمر واجب فعلى هذا يا أخى إن لم تصل إلى حد ما وجهناه لك مما قدمنا من الآيات والأحاديث وفعل الصحابة واتباع اللاحق بالسابق من المؤمنين خصوصا فى فعل الخيرات إلى يوم الدين ، فليكفك أكبر حجة وأقوى برهان على جواز الحفل والاحتفال بالمحمل هذا الإجماع الذى عليه خيار المسلمين طوال هذه المدة واستمرار الأمر عليه والعمل به وعليه إلى وقتنا هذا ، فتأمل وأمعن النظر بين علمائنا الآن وبين السابقين منذ عشرين سنة فحسب الذين كانوا يشهدون كل ذلك فرحين مهللين مكبرين ذاكرين رب العالمين ورحمة الله تعالى عليهم أجمعين .

لفت نظر واستبصار

إعلم يا أخا العقل نور الله بصيرتك أن الخوارج على إجماع المسلمين ، الملحدين فى دين رب العالمين ، وفى آياته التى نصبها دلائل على عظيم قدرته لم يكن لهم من هذا إلا الانشقاق والتفرقة بين المسلمين والتشكيك ووضع الشبه فى عقائد المسلمين ،

طمسا لبصائرهم وزيغهم عن الحق والطريق المستقيم زعما منهم بأن هذا لم يكن فى زمن سيد المرسلين ولا الصحابة ولا التابعين ، بل وينكرون أنه ليس من الدين . بل ولطمس بصائرهم يجهلون أن هذا الإنكار معارض لكتاب الله الذى ضمنه الحق عزوجل بيان كل شىء وتفصيل كل شىء ولم يفرط فيه من شىء من احكامه السارية على مستحدثات الكون الإلهى حتى يمكن الرد إليه والرجوع عليه ولهذا تراهم دائما ينكرون ما يجهلون ويعارضون فيما لا تسعه عقولهم القاصرة لأنه ليس لهم نور يهتدون به ولو بالنظر فى حكمة إجماع السواد الأعظم من المسلمين، لا الفرق المارقة الخارجة عن الدين

إذ العاقل البصير ينظر فى إجماعهم أولا واستمرار أزمنة طويلة عليه ثانيا حتى يصل إلى حقيقة ذلك فيستريح ويزيح الشك والضلال والتضليل

وهاك نبذا من إجماعهم على المستحدثات فى الدين التى يخفى أصلها على مثل هؤلاء الخارجين، فترى انهم مابنوا إجماعهم على الجواز بالعمل بها إلا وله أصل فى الدين ولذا وافقوا عليها من استحدثها وصار العمل بها بين المسلمين حتى الآن وظن الخوارج والملحدون بأنه ليس له أصل فى الدين فنقول :

قراءة القرآن على القبور ووصول الثواب للميت

إن قراءة القرآن على القبور ؟ . أصلها فى الدين مأخوذة من بيان سيد المرسلين فى حديث البخارى ومسلم روايا عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حائط من حيطان المدينة فسمع إنسانين يعذبان فى قبورهما فقال يعذبان وما يعذبان فى كبير ، بلى إن أحدهما لايستتر من بوله والآخر يمشى بالنميمة، ثم دعا بجريدة رطبة فكسرها فقيل لم فعلت يارسول الله هذا ؟ قال لعله يخفف عنهما مالم ييبسا » فرأى خيار علماء الأمة سر الحديث ومغزاه كل من شراح البخارى ومسلم ما يعود من النفع على الميت من سر الثواب الواصل من الفياض تبارك وتعالى، فوجدوا أن ثواب القرآن أعم وأشمل أخذا من الأحاديث التى تحث على قراءة القرآن على الأموات ومن بيانه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث الصحيح أنه زار أهل البقيع يوما فقرأ عليهم سورة الإخلاص ولما صح فى صحيح مسلم والبخارى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ على الميت فاتحة الكتاب ، فقيل لابن مسعود عند مسلم «أتقرأ على الميت الفاتحة ؟ فقال : فعله من هو خير منى ومنكم . وعند

البخارى قيل لابن عباس أيضا كذلك أى أتقرأ الفاتحة على الميت ؟ فقال السائل : فعله من هو خير منى ومنك . فمن مثل هذه الأصول أجمع خيار الأمة على جواز قراءة القرآن على القبور ، والخوارج ينكروتها مثل المحمل .

وأيضا مثل إجماعهم على قراءة الفاتحة للأموت وقضاء الحاجات ، فرووا أن خير ما يتوسل به إلى الله تعالى القرآن الكريم ، ولما كانت الفاتحة معادلة للقرآن وأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم استشفع بها على الميت تشريعا للأمة خصوصا لمن لم يستجب دعاؤهم وقد استشفع بتوسلاتها من قرأها على الملدوغ فى عهده صلى الله تعالى عليه وسلم فصارت عدة المؤمنين فى طلبهم الحاجات من رب العالمين الذى أمر عباده بأن يبتغوا إليه الوسيلة فى كل شىء بكل شىء مع كل شىء . والخوارج كالوهابية وغيرهم ينكرون ذلك قائلين بأنها لم تكن مثل المحمل .

الصلاة والسلام بعد الأذان

اعلم أن الصلاة والسلام على رسول الله صلى عليه وسلم بعد الأذان ما صار إجماع المسلمين عليها مستمرا إلا أخذا من قول الحق عز وجل (صلوا عليه وسلموا تسليما) فلم يقيدها سبحانه وتعالى لا بزمان ولا بمكان ولا على أى حال ، وقد بينها بالزمان والمكان والحال الشرع الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله : « إذا سمعتم المؤذن يقول فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على » فأخذ خيار علماء الأمة الجواز من منطوق اللفظ الشريف ومفهومه فقالوا : علم النبى صلى الله عليه وسلم باسرار الوحى أنه سيزاد ذكر الصلاة والسلام عليه عقب الأذان وأنها من الدين ومن السنة الحسنة التى أمر بها فأمر السامعين للاذان الحاكين له بأن يقولوا إذا سمعوا الصلاة والسلام عليه أيضا كذلك يصلون عليه لينال كل الثواب ولهذا أجمعوا على جواز الصلاة والسلام عليه بعد الأذان إذ أصلها من الدين ومن بيان سيد المرسلين .

كما علم بأسرار الوحى بأن بيته سيدخل مسجده فقال « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة» وكما علم أيضا بأسرار الوحى ما سيحدث للحسين رضى الله تعالى عنه فغلظ فى حرمته وقال (حسين منى وأنا من حسين) .

وإن تشاء فقل للوهابى الخارجى المنكر لها إذا انتهى الأذان أولم يكن قد أدى الحكم على الوجه الأكمل وانتهى الأذان الشرعى فلو قال حينئذ الصلاة يامؤمنين

أو يا أيها الناس هلموا إلى الصلاة قبل أن يفوتكم ثواب الجماعة، هل يأثم ؟ بذلك أو لم يكن مشروعا قبل الأذان أو الآن فى الأعياد هل هذا أحسن ؟ أم الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ؟ لينال الثواب المؤذن وكل سامع يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لأنه لو فهم كما يفهمون بضلالاتهم أن السامع فقط هو الذى يصلى ، وأما المؤذن فلا يصلى ولايدخل تحت الأمر : أو إذا صلى يأثم بالمخالفة ولاقائل به غير ضال مجنون.

جواز دفن الاموات فى المساجد والصلاة عليها وتجاهها

اعلم ياأخا العقل ما أجمع عقلاء الأمة على جواز دفن الميت فى المسجد والصلاة عليه وتجاهه إلا من قول الله تعالى (وقال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) راجع تفسير الشهاب على البيضاوى . ومن فعله الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم فى مسجده الذى بناه على قبور المشركين كما هو صريح السنة والإجماع على الصلاة تجاه قبره الشريف بعد تعديل مسجده ودخول قبره فيه ، ومن قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المروى عن أبى داود « ما بين زمزم الحطيم تسعون نبيا موتى ».

جواز التوسل

وأيضا كإجماعهم على عدم جواز التوسل بكافة طرقه وأنواعه التى بينها الله تعالى فى كتابه العزيز وسنة نبيه المطهرة المستفاد من تعميمه جل وعلا فى قوله تعالى (اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) فلم يخصها جل ذكره بحالة دون أخرى إذ فى قوله تعالى (وأسألوا الله من فضله) ما يفيد ذلك بإجماع علماء التفسير من قولهم : مما قربه إليكم وجعله بين أيديكم والمستفاد من قوله تعالى (أدعونى استجب لكم) ففى هذا الأمر منه سبحانه وتعالى التوجه إليه وحسن العقيدة به فى أنه تعالى هو الموجد الفعال مع أخذك فى الأسباب ولا بغيرها يعطى القصد ، وهو عين إرشاد من خص بالتبيين صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله(إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله) الحديث فالآية والحديث يدلان على توحيد الحق عز وجل فى كل شىء من موجوداته وإن كان جعلها أصلا للأسباب الموصلة لها ولكن لفت عباده النظر بأنه هو الفاعل المعطى عندها لا بغيرها يعطي وقد لا يعطى بها وبغيرها ، فهو الواحد فى كل شىء إذ لو

سألت أجهل العوام وأعمقهم فى الجهالة عند توجهه إلى الصالح المقبول لقال هو طاهر مقرب إلى الله تعالى - وأما العارف فيعرف أن المتوجه إليه أو المتوسل به سواء كان من المحسوسات أو المعنويات فهو مخلوق لله جل وعلا وليس توجهه إليه لذاته المجردة التى هى كيفية ، الذوات إنما هو متوجه للمزية التى حملها الله تعالى فيه ، ولم يفعل ذلك الا الله فهو متوجه إلى الله وهذا هو عين التوحيد للحق عز وجل فى كل شىء حتى يصبح معنى قوله تعالى (اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) ويتحقق معنى لا إله إلا الله يعنى أن مرجع الكل فى كل شىء إليه تعالى وقد توسل صلى الله تعالى عليه وسلم بنعمة تعالى فى الحديث الصحيح عند البخارى ومسلم (اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب) الحديث وفى الآخر (اللهم بحق ممشاى هذا إليك) الحديث لا كما يفهم كل ضال خارج عن إجماع المسلمين بأن الله تعالى له عمل وعباده لهم عمل فيكون المتوجه إلى العبد تاركا لله تعالى مقبلا على غيره ، وبهذا الضلال يرمون البرءاء من المسلمين بالشرك .

فيا أخا العقل فرق بين إجماع خيار الأمة وبين غيرهم من الضالين . فخيار الأمة يقولون إن الله هو الفاعل الموجد لكل شىء من كل شىء فى كل شىء ونوع أسبابها وسبلها لعظيم قدرته ووجه عباده إلى تلك الوسائل والأسباب والأبواب وقال تعالى (وأتوا البيوت من أبوابها) فقد جعل جل وعلا لكل شىء بابا مخصوصا فلا يتأتى حصول النتائج إلا من هذا الباب وقد قال العقلاء من الأمة وباب الخلق خلق . فعندهم أن المتوجه إلى شىء من ذلك فهو متوجه إلى الله ، فهو موحد لله فى كل شىء .

أول من قال ببدعة المحمل

ولا يخفى كل من له أدنى اطلاع على كتب التاريخ أن أول من قال ببدعة المحمل إنما هو ابن سعود الذى قام بمبادىء ابن عبد الوهاب الخاطئة من بعده التى نزع فيها وبها من كتب ابى تيمية الذى أجمع عقلاء المسلمين أنه ضال مضل ، خرق الإجماع وسلك مسالك الابتداع ، الذى ما ترك أمرا مخالفا ولا مبدءا معارضا لما عليه إجماع المسلمين إلا وسلكه فكان كل من كان على هذا المبدء من أهل الضلال المقابل لأهل الحق يدعو إلى هذا المبدء . وهم حزب الشيطان المقابل لحزب الرحمن إذ الأمر فى الدين اثنان ولا ثالث لهما . فابن سعود الذى كان قائماً بدعوة الأخرق نسيبه ابن عبد الوهاب كتب للدولة العلية يقول لها إما أن تمنعى المحمل وإلا يكن لى معك شأن . فأرسلت

كتابه إلى محمد على باشا فبعث إلى ابن سعود ابنيه طوسون وإبراهيم باشا ولحقهم هو، وكان من شأنهم ماهو مدون فى كتب التاريخ أى فرق جمعهم وشتت شملهم ومزقهم كل ممزق وأطفئت الفتن وأخمدت نيرانها . وبعد زمن اتصل عبد العزيز آل سعود بالافرنج ومناهم ومنوه وساعدهم وساعدوه وبالمال أمدوه حتى وصل إلى ما كان من أمره المعروف ولما تم له الأمر أراد أن يحدث للعالم أمرا يشعر به كل مسلم فحمل الأعراب أن يتعرضوا للقائمين بحفل المحمل من جدة إلى مكة وأخذوا يضربونهم بالحجارة ولكن أمير الحج شد ساعده وأراد قتل جميع الأعراب رميا بالرصاص فمنعهم عبد العزيز آل سعود وانتهت تلك السنة على أسولها ومنع المحمل عشر سنوات . ولما فتح عليه من الأمريكان طلب المحمل فرجع كعادته بزفته واحترامه ولكن جعل له أدعياء فى مصر من المرتزقة المنافقين الذين ينتسبون إلى الإسلام والعلم اسما فقط وصاروا يدعون لهم وينشرون مبادئهم الخاطئة الضالة . ولما كثر الفساد وكان الشيخ عبد المجيد سليم أشد اللهفى على مشيخة الأزهر ولعب به زعيم المرتزقة دوره حتى وصل لعبد العزيز آل سعود وصادف أن تولى مشيخة الأزهر فصار بعدها كل ملهوف لهذا المركز يلهج ويظهر أنه لا دين له لعله يصل إلى ما وصل إليه هذا الشيخ . فمنهم من يفتى ومنهم من ينشر، ومنهم من يقرأ فى دروسه حتى عم الفساد بتلك المبادىء الخاطئة الضالة . ولم يفطنوا إلى أن الله تعالى لم يهنئهم يوما بذلك المنصب الذى شاء تعالى أن يحول فيه مبادىء أهل العلم إلى مبادىء تلك الفئة الخاطئة وماهى إلا فتنة لهم وابتلاء .

سبب إيقاظ هذه الفتنة فى مصر وقطع حفل المحمل

إن رئيس الحكومة المصرية على ماهر فى بدء قيام الثورة المصرية أرسل يسأل مفتى الديار المصرية الشيخ حسانين مخلوف فى آخر أيام منصبه بتاريخ ١٩٥٢/٨/١٨ عن حفل المحمل السنوى وما يحصل فيه فأفتى فيه بأنه بدعة سيئة . فتساءل الكثير من الناس عن سبب السؤال وعن المحمل بالذات . وقال الكثير من الناس كيف يسأل رئيس الحكومة عن المحمل وهو من مواليد مصر ويعرف أنه مضت عليه الدهور وهو يعمل بهذه الكيفية على يد العلماء وأفاضل العقلاء ممن شاهدهم هو ومن سمع عنهم ويقر بفضلهم عن هؤلاء الزعانف الآخرين الذين يتساهلون فى أمور دينهم لينالوا بها دنياهم ، ولذا كان من أكبر الأدلة التى أدلى بها فى فتواه أن الشيخ المراغى كان يقول المحمل بدعة . ونشرت على صفحات الجرائد فى هذا التاريخ أو بعده بيوم .

ولكن قد رد عليه فى ذلك العهد فضيلة مفتى الديار المصرية الذى عين بعده الشيخ علام نصار وأدحض حجته الواهية وأسكته ، ولم يرد ببنت شفة .

الخلاصة

الحمل لاينكره إلا الكافرون وإخوانهم المنافقون من المسلمين لما فيه من تعظيم شعائر الله تعالى وتعظيم حرمات الله تعالى وأكبر إغاظة للكافرين لأن الله تعالى يقول (ولايطئون موطئا يغيظ الكفار) ومنافقى المسلمين إخوان الكافرين كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا) وقال تعالى (إن الله جامع الكافرين والمنافقين فى جهنم جميعا) فلا ينكر على مافيه تعظيم شعائر الله ولاالتوسعة على الفقراء فى هذه المواسم إلا من كان كذلك ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم

مسائل هامة

يجب على العالم والمتعلم معرفتها لاختلاف الكثير من الناس فيها

المسألة الأولى – عورة المرأة وقد اشتهر فيها عند العالم والمتعلم ، أنها ماعدا الوجه والكفين وهو خطأ . ظن الكثير من الناس أن عورة المرأة المحرمة منها جميع جسمها ماعدا الوجه والكفين ، وهذا هو المشتهر على ألسنة الناس المأخوذ عن الفقهاء فى المذاهب الأربعة . وبمقتضى ظاهر هذا لم يتحقق معناه الكثير من الناس من المتعلمين والعالمين حتى أنهم أفتوا به كثيرا . وأباحوا للمرأة جواز كشف وجهها ويديها ومشيها فى الشوارع ومقابلتها بهذه الصفة لجميع أفراد الناس مع عدم الحرمة عليها ولا على الناظر لها . وهذا هو القول به الآن بين العالمين والمتعلمين . وهذا قول لا أصل له فى الدين لأنه يتعارض مع صريح كلام رب العالمين وبيان سنة سيد المرسلين ، لأن الله تعالى ما ترك شيئا فى كتابه إلا وبينه لعباده وأمرهم بالسير عليه والعمل به وكذا بيان من أسند تعالى إلى حضرته البيان والتبيين فى كل شىء من مستلزمات حياتهم دينا ودنيا وأخرى . وخاصة المرأة التى خلقها الله تعالى لابن آدم لضرورة لزومها له دينا ودنيا وأخرى . وللعمل فيها للإنتاج منها لعمارة الدنيا . وهى أضر شىء عليه وأكبر فتنة له . فكيف لا يبين حالها وما علينا فى كل ماتكون عليه من حركات وسكنات وهيئات . فهى مخلوقة للرجل تابعة له . لامستقلة بذاتها كالرجل . ولذا ألزم الرجال أن يلزموهن حدود الله تعالى . وأن يوقفوهن عندها . وإنما جعل الله تعالى لها

ما للرجل ، وعليها ما على الرجل في جميع الأحكام لالتزامها حدود الله تعالى . وإلا فهى عسيفة لا تقف عند حد إلا عوقب . وفى الحديث . أنه (ليس شىء أضر على الرجال من فتنة النساء) . فالتحقيق أن المرأة محترمة مادامت ملازمة لحدود الله ومحارمه . لما كانت مخلوقة للرجل ومنه، لهذا كان مائلا إليها بطبعه ولما كانت كذلك كانت من أكبر الفتن عليه ، فأمر الله تعالى الرجل أن يبعدها عن أسباب الفتن ومن أهمها النظر إلى جسمها ووجهها . بل وسماع صوتها . وما أجاز الفقهاء والمحدثون والصحابة عن سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم . النظر إلى وجهها وكفيها إلا فى حالة خطبتها فقط ، وجواز التوسع للخاطب لها فيما زاد عن ذلك فهو حرام . وما قيل فى كتب المتقدمين مما عدا ذلك فهو للاحتراز منه . أو لبيان أحوال أقوام كانوا يزيدون على ماشرعه الله تعالى لعباده والأدلة على ذلك كثيرة . منها أن الله تعالى أمرنا إذا سألنا المرأة شيئا لا نسألها مواجهة ، قال تعالى (وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) قال العلامة القرطبى : فى هذه الآية دليل على أن الله تعالى أذن فى مسألتهن من وراء حجاب فى حاجة عارضة . أما المسألة التى هى السؤال فإنهن يستفتون فيها ويدخل فى ذلك جميع النساء بالمعنى . وبما تضمنته أصول الشريعة من أن المرأة كلها عورة . بدنها وصوتها كما تقدم . فلا يجوز كشف ذلك إلا لحاجة كالشهادة عليها . أو داء يكون ببدنها . أو سؤالها عما يعرض وتعين عندها اهـ قرطبى فلو كان النظر جائزا إلى وجهها ما أمر تعالى عباده فى حالة الضرورة لسؤالهن أن يسألن من وراء حجاب . هذا هو التعليم الربانى والأدب الصمدانى لبنى الإنسان . فكيف يقول بالجواز من ينقل عن الفقهاء خطأ ، أو ما قال الفقهاء ذلك إلا فى حالة الخطبة فقط . قال العلامة الألوسى : فإن الرؤية سبب التعلق والفتنة . وفى بعض الآثار : (النظر سهم مسموم من سهام إبليس. قال الشاعر) :

والمرأ ما دام ذا عين يقلبها   فى أعين الغيد موقوف على الخطر

يسر مقلته ما ساء مهجته   لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

ومادام النظر إلى العين فتنة . والنظر إلى الوجه كذلك اهـ ألوسى :

وقد وصف تعالى ما تكون عليه المرأة حتى فى حال مشيتها خارج منزلها بقوله تعالى (وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن) الآيات قال العلامة القرطبى : وسبب هذه الآية أن النساء كن فى ذلك الزمان إذا غطين رءوسهن بالأخمرة وهى المقانع سدلنها من وراء الظهر فيبقى النحر والعنق والأذنان

لا ستر على ذلك ، فأمر الله تعالى بلى الخمار على الجيوب وهيئة ذلك أن تضرب المرأة بخمارها على جيبها لتستر صدرها . روى البخارى عن عائشة أنها قالت : رحم الله نساء المهاجرات الأول ، لما نزل (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) شققن أزرهن فاختمرن بها . ودخلت على عائشة حفصة بنت أخيها عبد الرحمن رضى الله عنه وقد اختمرت بشىء يشف عن عنقها وما هنالك ، فشقته عليها وقالت : إنما يضرب بالكثيف الذى يستر . اهى قرطاه فكيف يجوز لمسلم أن يفتى المرأة بكشف وجهها ويديها وقد قال تعالى مبينا لعباده أن لا تبدى المرأة أى حركة تدل على زينتها فى قوله تعالى (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) قال العلامة القرطبى : أى تضرب المرأة برجلها إذا مشت لتسمع صوت خلخالها ، فإسماع صوت الزينة كإبداء الزينة وأشد . اهـ قرطبى هذه هى التعاليم الربانية الشريفة التى أمر عباده أن يسيروا عليها .

ومن هنا نعلم مسألة تعليم المرأة وحكم الله تعالى فيها ، وهى سائدة الآن بين الناس مؤمنين وغيرهم وهى تعليم بناتهم التعليم الجارى الآن الذى يدخل تحت الوعيد الشديد من قوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم) الآية إذ قرر أفاضل الأمة على معنى من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « ومن كانت له ابنة رباها فأحسن تربيتها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها كانت له الجنة » الحديث . قالوا معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « ولم يهنها » يدخل فيه التعليم الجارى الآن الذى يؤدى إلى المفاسد باختلاطها ، فحكمه حكم الوأد لأنه قتل فيها الأخلاق الفاضلة والحياء الذى خلقها الله عليه وأخرجها عن جميع الآداب الدينية والأخلاق الشرعية التى أمر الله تعالى عباده أن يتحلوا بها ، فهو إن لم يكن أخا الوأد فهو أشد منه ، وخاصة أن تعليم البنت إلى هذا الحد مما يدب فيها الحماسة ويجعلها تتظاهر بمعلوماتها وإدراكاتها كما يتظاهر الشاب بمعلوماته وإدراكاته فيكون أكبر حامل لها على التفاخر والتظاهر المفضى إلى عدم المبالاة بأوامر الله عز وجل ، ولا بأس بتعليمها التعليم الأولى ، ليقوى ذهنها على تأدية أعمالها المنزلية بكل خبرة ونشاط ، وبعدها تحترف بحرفة تستطيع تأديتها فى منزلها لتساعد بها أهلها ، وذويها ، أو زوجها . وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « لا تعلموا النساء القراءة والكتابة بل علموهن الغزل وسورة النور » الحديث تشهد له الآيات القرآنية ، ففى إرشاده الشريف تعليم الحرف لا تعليم ما عليه الناس الآن ، وسورة النور لما فيها من البيانات للسيدات لتعلم ما أراده الله تعالى لها من حفظ الشرف ، وحسن المعاشرة مع زوجها وأما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة »

فالمراد تعليم العلم الشرعي من حيث أوامر الله تعالى لعباده ونواهيه لهم ، لا تعليم علوم المفاسد من ظواهر الحياة الدنيا التي ليس بينها وبين الله ورسوله والدار الآخرة أية صلة . ومنشأ هذا التعليم المفضي للفساد ، هم اليهود والنصارى أعداء الإسلام قديما وحديثا ، وقد ابتكره المستعمر ليكون سبيلا إلى الهدم في ناحية من أساس الدين الإسلامي ليقتدي بهم من لاخلاق لهم ، فيجر إلى تعميم فساد الأخلاق التي شرعها تعالى لعباده ، ومن دواعي الترغيب فيه وإقبال من لاخلاق لهم عليه ؛ أن كل ابنة تعلمت توظف بمرتب واسع وبعد أن كان توظيفهن في شركاتهم فقط ؛ توسعوا فيها للمدارس بمدرسات؛ وبممرضات وحكيات. وجامعات وكليات. فهم من مصداق قوله صلى الله عليه وسلم «لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قيل اليهود والنصارى ؟ قال فمن غيرهم » الحديث ولم ينج من ذلك كله إلا كل من حفظه الله تعالى من هذا الفساد الدنيوي الذي نتيجته الهلاك الأخروي . نسأله تعالى العفو والعافية .

ومن الادلة على تحريم النظر إلى وجه المرأة ويديها في غير الخطبة ، قوله تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) الآية . قال العلامة القرطبي : الجلابيب جمع جلباب . وهو ثوب . وري عن ابن عباس أنه الرداء . وقد قيل : إنه القناع . والصحيح أنه الثوب الذي يستر جميع البدن . وفي صحيح مسلم عن أم عطية قلت : يارسول الله . إحدانا لا يكون لها جلباب ؟ قال : « لتلبسها أختها من جلبابها » أمر الله سبحانه جميع النساء بالستر ، وأن ذلك لا يكون إلا بمالا يصف جسمها ، إلا إذا كانت مع زوجها في بيتها فلها أن تلبس ما شاءت . وذكر أبو هريرة رقة الثياب للنساء فقال: الكاسيات العاريات الناعمات الشقيات. ودخل نسوة من بني تميم على عائشة رضي الله عنها عليهن ثياب الرقاق ؛ فقالت عائشة : إن كنتن مؤمنات فليس هذا بلباس المؤمنات وإن كنتن غير مؤمنات فتمتعن به . وأدخلت امرأة عروس على عائشة رضي الله عنها وعليها خمار قبطي معصفر فلما رأتها قالت : لم تؤمن بسورة (النور) امرأة تلبس هذا وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رءوسهن مثل أسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها » الحديث وقال عمر رضي الله عنه :ما يمنع المرأة المسلمة إذا كانت لها حاجة أن تخرج في أطمارها أو إطمار جارتها مستخفية ؛ لا يعلم بها أحد حتى ترجع إلى بيتها ؟ ا ه قرطبي .

وناهيك ببيان من أسند الله تعالى إلى حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم البيان والتبيين في كل شيء الذي منه أن صوت المرأة عورة . في الحديث المروى عند البخاري . « أنه صلى الله عليه وسلم خرج يصلح بين أناس فتأخر عن الصلاة وتقدم الصديق ليصلى بالناس ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل في الصف فجعل الناس يصفقون وكان الصديق لا يلتفت في صلاته فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف فتأخر إلى الصف وتقدم النبي صلى الله عليه وسلم فلما صلى اعتدل للناس وقال «يامعشر الناس من نابه شيء في صلاته فليسبح وإنما التصفيق للنساء» الحديث . فبين لنا صلى الله تعالى عليه وسلم أن من شدة حرمة المرأة واحترامها وخشية الفتنة بها أن لا ترى ولا يسمع صوتها لأن صوتها عورة فيحرم عليها وعلى السامع لها إذا أسمعته صوتها ، وأنها إذا احتاجت إلى شيء من محرم وفي المكان من يسمع صوتها فإنها تصفق فيأتيها المحرم فينظر شأنها . فما بالك بالمغنيات المثيرات لعواطف الشبان والرجال ؛ وكذا المغنون من الرجال وتخنثهم في الغناء كالنساء ؟. قال العلامة الألوسي ، وهو يعتبر آخر مفسر للقرآن الكريم الذي جمع فيه أقوال السلف والخلف ؛ والجلابيب جمع جلباب . وهو على ما روى عن ابن عباس ، الذي يستر من فوق إلى أسفل . وقال ابن جبير المقنعة ، وقيل الملحفة ؛ وقيل كل ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها ؛ وقيل كل ما تستر به من كساء أو غيره . وأنشدوا : تجلببت من سواد الليل جلبابا . وقيل هو ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء ؛ والإدناء التقريب يقال أدناني أي قربني ، وضمن معنى الإرخاء أو السدل ولذا عدى بعلى على مايظهر لى ؛ ولعل نكتة التضمين الإشارة إلى أن المطلوب تستر يتأتى معه رؤية الطريق إذا مشين فتأمل . ونقل أبو حيان عن الكسائي أنه قال : أي يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن ؛ ثم قال : أراد بالانضمام معنى الإدناء وفي الكشاف ؛ معنى يدنين عليهن يرخين عليهن ، يقال : إذا زل الثوب عن وجه المرأة أدني ثوبك على وجهك ؛ وفسر ذلك سعيد بن جبير يسدلن عليهن — وعندى أن كل ذلك بيان لحاصل المعنى ؛ والظاهر أن المراد ؛ بعليهن على جميع أجسادهن ؛ وقيل : على رؤوسهن ، أو على وجوههن لأن الذي كان يبدو منهن في الجاهلية هو الوجه واختلف في كيفية هذا التستر ؛ فأخرج ابن جرير ؛ وابن المنذر وغيرهما عن محمد بن سيرين قال : سألت عبيدة السلماني عن هذه الآية : يدنين عليهن من جلابيبهن : فرفع ملحفة كانت عليه فتقنع بها وغطى رأسه كله حتى بلغ الحاجبين وغطى وجهه وأخرج عينه اليسرى من شق وجهه الأيسر . ، وقال: السدى : تغطي إحدى عينيها وجبهتها والشق

الآخر إلا العين ، وقال ابن عباس وقتادة : تلوى الجلباب فوق الجبين وتشده ثم تعطفه على الأنف وإن ظهرت عيناها لكن تستر الصدر ومعظم الوجه . وفي رواية أخرى عن الحبر رواها ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه تغطي وجهها من فوق رأسها بالجلباب وتبدي عينا واحدة . ، وأخرج عبد الرزاق وجماعة عن أم سلمة قالت : لما نزلت هذه الآية «يدنين عليهن من جلابيبهن» خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها . ، وأخرج ابن مردوية عن عائشة قالت : رحم الله تعالى نساء الأنصار لما نزلت « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك» الآية شققن مروطهن فأعتجرن بها فصلين خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كأنما على رؤوسهن الغربان ، ومن للتبعيض ، ويحتمل ذلك على ما في الكشاف وجهين ، أحدهما أن يكون المراد بالبعض واحداً من الجلابيب وإدناء ذلك عليهن أن يلبسنه على البدن كله ، وثانيهما أن يكون المراد بالبعض جزء منه وإدناء ذلك عليهن أن يتقنعن فيسترن الرأس والوجه بجزء من الجلباب مع إرخاء الباقي على بقية البدن ، والنساء مختصات بحكم العرف بالحرائر ، وسبب النزول يقتضيه وما بعد ظاهر فيه ، فإماء المؤمنين غير داخلات في حكم الآية ، وعن عمر رضى الله تعالى عنه أن غير الحرة لاتتقنع ، أخرج ابن أبي شيبة عن قلابة قال : كان عمر بن الخطاب لايدع في خلافته أمة تتقنع ويقول القناع للحرائر لكي لا يؤذين ، وأخرج هو وعبد بن حميد عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : رأى عمر رضى الله تعالى عنه جارية مقنعة فضربها بدرته وقال ألقي القناع . لاتتشبهي بالحرائر وقال أبو حيان : نساء المؤمنين يشمل الحرائر والإماء ، والفتنة بالإماء أكثر لكثرة تصرفهن بخلاف الحرائر فيحتاج إخراجهن من عموم النساء إلى دليل واضح . اهـ من الألوسي . ، قال العلامة القرطبي : إنه يجب الستر والتقنع الآن في حق الجميع من الحرائر والإماء . هذا كما أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا النساء المساجد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » حتى قالت عائشة رضى الله عنها : لو عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا لمنعهن من الخروج إلى المساجد . اهـ قرطبي .

أبعد هذه الآيات والأحاديث وأقوال عقلاء الأمة المجمعين على أن جميع المرأة عورة حتى صوتها أو صوت خلخالها محرم والنظر إلى كل شيء منها إلا ما أبيح للضرورة القصوى بإطار خشنة مختفية ، فكيف بهؤلاء يقولون بإباحة النظر إلى وجهها ويديها.

اللهم إلا أن يكونوا قائلين بتقدم الزمان . يعنى فى الفساد . والتبذل يقضى بذلك . نابذين الكتاب والسنة والإجماع وراء ظهورهم ، فهم من قبيل قوله تعالى (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم)

المسألة الثانيه ــ خروج المرأة للجهاد مع الرجال كالمجاهدين من الرجال ، ما حكمه فى الدين؟

ظن الكثير من الناس من المتعلمين والعالمين ، أن المرأة لها ما للرجل فى كل شيء حتى فى الخروج للحرب ، قياسا منهم ، واستدلالا لهم ، بأن نساء الصحابة ، وبعض نساء سيد العالمين ، كن يخرجن معهم للجهاد ، فظن هؤلاء أن هذا هو عين جواز خروج المرأة للجهاد وعليها ما على الرجل فيه ، وما هذا إلا من الجهالة بمكان وعدم التبصر فى حقيقة ذلك ، ودواعى خروج النساء وماسببه والحامل عليه ، وهل الله عز وجل الشرع لعباده كل شيء أو من أسند الله تعالى إليه البيان أمر بذلك ؟ أو هل رأى منهم أحد أن المرأة كانت تعطى من الغنائم شيئا ، أو كانت تقف فى مصاف الرجال للقتال كلا .

على أن الحق والحقيقة فى بيان ذلك أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخرج ببعض نسائه إلى الجهاد ، وكذا الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، كانوا يقتدون بحضرته صلى الله عليه وسلم ، وهذا على ما كان عليه عادة العرب من أنهم يخرجون معهم نساءهم لأجل أن من تخامل فى القتال عند التقاء الجمعين يقاتل قتال المستميت خشية أن يؤسر وتؤسر زوجته معه ، وهذا من أكبر العار عليهم ، وكانت مهمة النساء مع الرجال فى القتال القيام على المتاع حفظا له ؛ وإذا أصيب أحد الرجال ولا يستطيع استمرار القتال فإنه يحمل إلى المتاع الذى عنده النساء ، وهل يكون هذا المصاب بجوارهن ولا تقوم إحدى قريباته بما يلزم له من كل الوجوه ، وهذان هما السببان فى أخذهم لنسائهم معهم التى ظن منها كل جهول أنهن عليهن الجهاد . ومنها فهموا تعليم المرأة الطب وعليها فهموا منها تدريس الطب كالرجال وتباشر فى عمليات الطب ما يباشره الرجال، وهو باطل لا أصل له .

وأما خروج السيدة عائشة وبعض النساء إلى صفين «واقعة الجمل » فلم يكن لتحريض حرب ولا جهاد ، ، وإن كان كما قال ابن العربى تعلق الرافضة ــ لعنهم الله ـ بهذه الآية على أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها اذ قالوا : إنها خالفت أمر

رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجت تقود الجيوش وتباشر الحروب وتقتحم مأزق الطعن والضرب . فهذا كلام فارغ لا أصل له وهو شأن من لم يقف على حقائق الأمور وبطون الأشياء ، كما تمسك به الكثير من الناس الآن من قولهم : إن للمرأة الحق أن تخرج إلى الحروب ولا دليل لهم على ذلك إلا ما قاله الراوفض الغالون كما هو شأن كل مخالف . والحق ما قاله العلامة القرطبي فى تفسيره أن خروجها رضى الله تعالى عنها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب ، ولكن تعلق الناس بها ، وشكوا إليها ماصاروا إليه من عظيم الفتنة وتهارج الناس ، ورجوا بركتها ، وطمعوا فى الاستحياء منها إذا وقفت إلى الخلق ، وظنت هى ذلك فخرجت ملبية لله فى قوله : (لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس) . وقوله : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحو بينهما) . والأمر بالاصلاح مخاطب به جميع الناس من ذكر وأنثى ، حر أو عبد . فلم يرد الله تعالى بسابق قضائه ونافذ حكمه أن يقع إصلاح ، وكانت قد خرجت فى ثلاثين إمرأة ، قرنهن على بها حتى أوصلوها إلى المدينة برة تقية مجتهدة مصيبة مثابة فى ما تأولت ، مأجورة فيما فعلت ، إذ كل مجتهد فى الأحكام مثاب وقد أسفت على هذا الخروج وكانت تبكى كثيرا لذلك . كما روى أن عماراً قال لعائشة رضى الله عنها : إن الله قد أمرك أن تقرى فى منزلك ، فقالت : يا أبا اليقظان ، مازلت قوالا بالحق ! فقال : الحمد لله الذى جعلنى ذلك على لسانك . ولذا قال ابن عطية . بكاء عائشة رضى الله عنها إنما كان بسبب سفرها أيام الجمل . ا ه قرطبى فلو كان الجهاد على النساء ما بكت وأسفت رضى الله تعالى عنها ، فظن هؤلاء القائلون بجهاد المرأة أنها مخلوقة لذاتها كالرجل . والحق أن المرأة هى مخلوقة للرجل ليعمل فيها وينتج منها كما أبان لنا سبحانه وتعالى فى قوله (وهو االذى خلق لكم مافى الأرض جميعاً) أى من جميع ما يلزم لكم للعمل به وفيه من انتاج مستلزمات الحياة الدنيا وتعميرها ، ومن أهم مستلزمات هذه الحياة للرجل « المرأة » لضروريتها للرجل ، لأنه تعالى خلقها له لينتج منها كما هو صريح قوله تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) . إذ قال تعالى فيما خلق فى الأرض للرجل « لكم » كذلك فى النساء قال تعالى « لكم » فالمرأة مخلوقة للرجل للانتاج قال تعالى (نساؤكم حرث لكم) وقال تعالى (هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا) وقال تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها)

ومن كمال حكمته العالية جل وعلا ، أن خلق المرأة من الرجل لإدامة عطفه عليها وحنوه إليها مطلقا أى سواء وجدت بينهما الذرارى أم لا ؟ أو الشهوة الحيوانية أم لا ولذا صح قول العقلاء من الأمة ، لو لم يخلق الله تعالى المرأة من الرجل ما عطف رجل على إمرأة قط ، ولكن لما كانت المرأة عسيلة لا تقف عند رجل واحد فقط قيدها الله تعالى بالحدود الشرعية لتقف عندها ، ومنها يستبين ويتضح لها شأنها فى هذه الحياة لتكون على بينه من أمرها وخاصة فى المآل عند الله تعالى بالثواب والجزاء الحسن وحسن المآل كما وعدها ووعد الرجال فى قيامهن بالمأمورات من الفرائض والنوافل واجتنابهن للنهيات وكل مميزات المؤمنين المسلمين عن الكافرين والنافقين والملحدين كما قال تعالى (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما) فالمرأة لها ما للرجل فى أنواع الثواب والأجر العظيم وعليها ما على الرجل فى القصاص والحداد أحراراً وعبيداً ، وكذلك حرمة واحتراماً ، ولكنها خلقت للبيت وهو من أهم عوامل التعامل للرجل فى هذه الحياة ، وبداهة أن الله تعالى خلقها أقل من الرجل شأناً وتكويناً كما أبان ذلك الصانع الحكيم فى قوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) وقال تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض) الآيات روى الترمذى عن أم سلمة أنها قالت : يغزو الرجال ولا يغزو النساء ، وإنما لنا نصف الميراث ، فأنزل الله تعالى (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) الآيات وخاصة فى تكوينها الشخصى الذاتى اقل من الرجل قال تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون فى الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) الآية وكذا أيضا لعدم عملها البارز فى الخارج الشخصى وبه كانت أضعف من الرجل ، ولطاعية الطامعين فيها أكثر ؟ وعدم استقلالها بشىء تكون لها به الزعامة التى يعول عليها بين البارزين ، لذلك جعل تعالى لها الميراث الشرعى نصف ما للرجل ، ليكفى حاجتها الضرورية لا غير ، ومع هذا فالواجب عليها أن تعمل داخل بيتها وتنتج ، ومحرمها يتصرف لها فيه فى الخارج لينمى ويزيد فى انتاجها الداخلى ، ومن هذا فهم بعض الناس الذين لم يفرقوا بين المرأة والرجل ، أن لها حق التجارة والعمل والإنتاج بنفسها وقد خفى عليه أنها تأثم بمعاشرة واختلاطها بالأجانب ،

وهذا العمل والاختلاط هو من أكبر المفاسد التى تدعوا إلى مخالفة الشرائع الإلهية من كل الوجوه ، وينطبق عليها وعلى من يفتيها بذلك ، قول القائل :

بنى مسجدا لله من غير حله فتم بحمد الله غير موفق

كمطعمة الأيتام من كد فرجها لك الويل لا تزنى ولا تصدق

فلست أدرى ، لم يخالف هذا القائل النصوص الشرعية ويفتى بما يزين له الهوى والحظوظ الشيطانية ، ها هو الشرع الشريف يأمرها أن تعمل وتنتج ، ويحرمها يزاول لها ويباشر أعمالها ، وهو يحرم عليها الإختلاط فى تصرف إنتاجها ، وفى الحديث الشريف المروى عند البخارى وغيره « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعائشه إنكن لناقصات عقل ودين فقالت بم يا رسول الله فقال أو ليست شهادة أحداكن بنصف شهادة الرجل فقالت نعم فقال ذلك لنقصان عقلها ثم قال أو ليست إذا حاضت إحداكن لا تصلى ولا تصوم قالت نعم قال ذلك لنقصان دينها » الحديث فكيف بعد بيان الحق عز وجل ومن أسند إليه سبحانه وتعالى البيان والتبيين صلى الله تعالى عليه وسلم ، يقول قائلهم فى الإذاعه وعلى صفحات الجرائد ، إن المرأة كالرجل فى كل شىء ويموه ويضلل على عباد الله بقوله فى الجنسية وهل أحد ينكر جنسيتها ، ويحسبها مغايرة ، ولكن المغايرة كل المغايرة فى كتمانه الحق وتمويهه وتضليله لعباد الله تعالى ، أليس هذا هو النفاق بعينه والمجاراة على الباطل بنفسها أو لم يقرأ أو يسمع قول الله تعالى (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) الآية ، فقد عرفنا واستبان لنا أن المرأة مخاوته الرجل وجعل تعالى مقرها البيت لا ترى ولا يسمع لها صوت . فهؤلاء الذين يقولون هذه الأقوال المخالفة للدين ، هم لعدم علمهم بالدين يصرفهم الله تعالى عن الحق والهداية إلى الطريق المستقيم فلم يوفقوا ولم يهتدوا إليه ، كمثل من يقول ويشدد ويحرم على المرأة زيارة القبور ، وهم يعلمون أن المرأة تأتى بما هو أشد فى الحرمة من زيارتها للقبور وذلك من تبرجها فى الشوارع أشد من تبرج الجاهليه الأولى على ما وصفه المحدثون والمفسرون وخاصة اللبس اللافت للانظار المستميل للعواطف والشعور كما ذكرنا فى الحديث السابق عن سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم ، وخاصة . ذهابها للسينما والمسارح والكازينات والكابريهات والميوهيات ومسابقات الخيل ، ومسابقة الجمال والمتنزهات والمجتمعات العامة والخاصة فأيهما أشد تحريما ، هل زيارتها للأموات أم هذه المنكرات ومنهم من قال إن فى

فى مذهب الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه أن صوت المرأة ليس بعورة فليس بفاهم معنى قول الأئمة رضى الله تعالى عنهم لأن ذلك فى حال أخذ العلم عنهن أو للتحقق من أمر لابد فيه من بيانها له ولا ليستبين إلا بذلك فكذا أخذ الشهادة منهن فهذا الذى يجوز فيه سماع صوتها ، ولكن كله كما أمر سبحانه وتعالى عباده من وراء حجاب لا سماع صوتها فى الأغانى المثيرة لمشاعر الشبان حتى يفتح الكثير من أبواب الشر نسأل الله تعالى العفو والعافيه اللهم إنا نبرأ إليك من كل مخالف منكر لما أمرت به أو نهيت عنه ونسألك التوفيق لما فيه رضاك ، اللهم أصلح أمة محمد ، اللهم فرج عن أمة محمد اللهم أرحم أمة محمد ، اللهم حول حال أمة محمد إلى أحسن حال إكراما لمن أرسلته رحمة للعالمين إنك على كل شىء قدير وبيدك الخير وأنت أرحم الراحمين

المسألة الثالثة : فى الخلاف بين العلماء وبيان ذلك . ظن الكثير من الناس أن الخلاف بين العلماء أمر سائد حتى بين أهل الحق وكثيرا ما يستدلون بالأئمة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين قائلين هاهم الأئمة مختلفون ، وهذا من الجهالة بمكان ، لأنهم رضوان الله تعالى عليهم أهل حق والحق بصريح الكتاب والسنة واحد ولا خلاف فيه ، وإنما الخلاف لا يكون إلا بين الحق ومقابله وهو الضلال ، فأهل الضلال دائما مختلفون مع أهل الحق يعارضون الحق وأهله ، وإن كان الضلال كثير التشعب مختلف الطرق وأهله مع كثرتهم قد يظهر ويبرز ظاهرهم حتى يقال إنه من أكابر علماء الدين وإن كان يظهر أحيانا بموافقة أهل الحق مصادفة ، أو لغرض دنيوى حتى يستدل بعض أهل الحق ببعض كلامه الذى وافق فيه عند إقامة الحجة على متابعيه تبكيتا لهم وتنكيلا بهم لأناطالما قررنا لك أن الضال المفارق للإجماع لا يهتدى إلى الصواب أبداً .

وقد عرفنا ذلك فى الكتاب العزيز قال تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) ، قال العلامة القرطبى : قال سعيد بن جبير : على ملة الإسلام وحدها . وقال الضحاك : أهل دين واحد ، أهل ضلالة أو أهل هدى . (ولا يزالون مختلفين) أى على أديان شتى ، قاله مجاهد وقتاده . (إلا من رحم ربك) إستثناء منقطع ، أى لكن من رحم ربك بالإيمان والهدى فانه لم يختلف . (ولذلك خلقهم) . قال الحسن ومقاتل وعطاء : إيماء الاشارة للاختلاف ، أى وللاختلاف خلقهم ، وإلى هذا أشار مالك رحمه الله تعالى فيما روى عنه أشهب . قال أشهب : سألت مالكا

عن هذه الآية قال : خلقهم ليكون فريق فى الجنة وفريق فى السعير ، أى خلق أهل الاختلاف للاختلاف ، وأهل الرحمه للرحمة . وروى عن ابن عباس أيضاً قال : خلقهم فريقين ، فريقا يرحمه وفريقا لا يرحمه . ا ه قرطبى وقال تعالى (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء) قال العلامة القرطبى أى على ملة واحدة (ولكن يضل من يشاء) بخذلانه إياهم ، عدلا منه فيهم . (ويهدى من يشاء)بتوفيقه إياهم،فضلا منه عليهم،ولا يسأل عما يفعل بل تسألون أنتم . ا ه قرطبى وعلى هذا فأهل الحق أمة واحدة لا خلاف بينهم لأنهم على الحق وبه يعملون وأما توهم الخلاف ممن لا يدرى كيف وفق الحق عزوجل رجالا لتدوين دينه الخالد الذى جعله محفوظا برعايته تعالى فما هو إلا جهل منه بحقيقة الحال . لأن الله سبحانه وتعالى الذى شاء أن يجعل لعباده أحكاما فى دينه يسيرون عليها ويعملون بها ويدينونه تعالى على مقتضى بيان من أسند إلى حضرته التبين ، وعلم تعالى أنهم يكونون ضعفاء فى القيام ببعض هذا البيان ، فرحمة بهم جعلها أنواعا ليكون كل من أخذ بشىء من هذا البيان الشريف عاملا بمدلول أمر الله تعالى على مقتضى ما شرع ، ولما كان البيان أنواعا وليس فى استطاعة أى مخلوق جمعه أو العمل به جميعا ، كما كان فى عصر الصحابة كان كل من برز فيهم بالعلم كان له مذهب يقصد فيه ويعمل برأيه على مقتضى سماعه من الشرع وبيانه له فيه فكان يفتى به ويؤخذ عنه ، وكانت مذاهب شتى حتى قيل كانت نحو سبعين مذهبا ، إلى أن شاء تبارك وتعالى جمع هذه البيانات محصورة فى أربعة من خيرة التابعين وتابع التابعين فقيض لكل من هؤلاء الأربعة رجالا ممن شاهدوا سيد العالمين وأخذوا عن حضرته وسمعوا من كلامه الشريف مما فيه مصلحة العباد دينا ودنيا وأخرى فوفق كل واحد منهم لرجال فأخذوا عنهم معتقدين أنهم لم يتركوا شيئا مما فيه مصلحة العباد من البيان الشريف ، وقد قالت : أفاضل الأمة : فى البيان كيف دون الأئمة الدين ؟ إنه شبه الحق . بفلاة . أو بدار عظيمة . فجاء كل واحد منهم فى ناحية من نواحيها ودخل فيها ثم أخذ يجمع من هذا البيان الشريف معتقدا أنه لم يترك شيئاً مما فيه مصلحة العباد ، مع اعتقاده وجزمه وصدق نيته فى ذلك ، مسخراً مجبولا مسوقا مقهورا لتحقيق ما هو قائم به من هذا العمل الشاق . مستلذا مستعذبا ذلك ظاهرا له أنه بجده واجتهاده ، وفى الواقع أنه مخلوق ميسر لهذا ، ومن أكبر الأدلة على أن الله تعالى لم يشأ فى خلقه غير هؤلاء

الأربعة ، ما هو ظاهر لدينا الآن ، وهو أنه كان فى عزم البخارى المشهور تلميذ سيدنا أحمد ابن حنبل ووضعه لكتابه هذا المشهور بالبخارى على قدم الأئمة المجتهدين من حيث الوضع الفنى للاجتهاد ، ولكن لما لم يشاء ربك تبارك وتعالى غير هؤلاء الأربعة مات رحمة الله تعالى عليه قبل أن يتم ذلك ، وقد أوضحنا لك البيان فيما تقدم قريبا فى باب (كيف تكون الدين الإسلامى) والحمد لله تعالى .

نظرا لأن كل واحد من هؤلاء الأئمة الأربعة وفق لبيان ناحية من نواحى الشريعة التى وفق الله تعالى سيد العالمين لبيانها تيسيرا على عباده وقام بها ، وهى تغاير فى الهيئة بيانا آخر وفق له إمام آخر ، وذلك كالهيئة فى الصلاة مثلا كوضع اليدين تحت السرة التى وفق لبيانه الإمام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه وكإسدال اليدين التى وفق له الإمام مالك رضى الله تعالى عنه ، وكوضع اليدين على القلب فى الجهة اليسرى التى وفق له الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه ، وكوضع اليدين على الصدر التى وفق له الإمام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه ، وهكذا فى جميع الأحكام الشرعية والبيانات النبوية التى أجراها الله تعالى على يد من أسند إليه البيان والتبيين صلى الله تعالى عليه وسلم ، فنحمد الله سبحانه وتعالى على أن وفق هؤلاء الأئمة فى جمع بيان تنوع هذه الأحكام التى كل من أخذ بشىء منها أخذ بيان الله تعالى لعباده ، وهل هذا الحكم الواحد فيه خلاف حتى يقال إن بين الأئمة خلاف لو هو منه تعالى تفضل وتفضيل ؟ وهل ، يتصور عاقل أن هذا التفضل خلاف ؟ ولقد أحسن الألوسى رحمه الله تعالى فى تفسيره حيث قال: كان الحصاد ينكر على من يقول بالخلاف فى التفضل ؛ أى أن التفضل لا خلاف فيه بين العقلاء ، وإنما الخلاف ينشأ من المنافقين ، إذ من الضرورى البديهى بين العقلاء أن الخلاف لم يكن إلا فى المقابلة كما هو الوضع الإلهى فى مكوناته ، إذ بالمقابلة يحصل التضاد والتنافر ، وبالمماثلة يحصل التآلف والتواد ، فكيف يكون فى الخير تضاد ، وكيف يكون بينه وبين الشر تكافؤ اللهم إلا أن يكون فى نظر كل غافل لا يميز بين الحق والضلال. إذا لو وجد خلاف بين أهل الحق لوجد الخلاف فيه أى فى الحق وهذا باطل عقلاء ونقلاء ضرورة عدم التثبت فيه والتحقق منه فيكون فى الحق خلاف وذلك يؤدى إلى عدم الإيمان والجزم به ظاهرا وباطنا المفضى إلى الهلاك الأبدى ، أعاذنا الله تعالى من من ذلك ، وإنما يقول بعضهم عمن يعتقد فى نفسه أنه عالم ، الأصول لا خلاف فيها ، وإنما الخلاف فى الفروع ، غافلا منه أن ما قدمنا فى المثل من بيان الأئمة الذين وفق كل واحد

منهم رضى الله تعالى عنهم فى بيان ناحية من نواحى البيان والتبيين يظن أن هذا مخالف لذلك ، فيقول بالخلاف فى الفروع كأنه جرى على عادة من يقول الواحد غير الإثنين ، وجهل أن هذا فى مقام العدد لتمييز العدد عن المعدود وأيضا جهل أن الظل يغاير العود أو أنه جهل أن لوقف جماعة كل واحد منهم على فرع من فروع شجرة . أفهل يقال إن أحدا منهم على غير الشجرة وإذا سئل كل واحد منهم : أين أنت ؟فقال على الشجرة : أفيكون بينهم خلاف فيما قالوا؟! !وأيضا جهل تنويع إرشاد الله تعالى لعباده فيما يوصل إليه سبحانه وتعالى وطبعا لم يكن واحدا فى كل شىء حق فى مستلزمات حياة الشخص لنفسه بنفسه ، وقد قدمنا أنه تبارك وتعالى بين لنا فى مكوناته أنه فصلها تفصيلا وبينها تبيينا وجعل كل نوع منها موصلا للغرض الذى أمر به عباده فى كل شىء ولكل شىء ، على أن من يعتقد أن فى الفروع خلافا فهو حرى بأن يعتقد بالخلاف فى الأصول إذ الفروع تابعة للأصول ، منها وإليها ولقد أحسن من قال متى يستقيم الظل والعود أعوج فهذا مثل ينطبق على عقيدتهم التى بنى عليها كلامهم . ومن يظن أن فروع الشجرة وغير الشجرة .

على أنا قد قدمنا أن الخلاف الذى ذكره تبارك وتعالى فى كتابه العزيز بين عباده إنما هو خلافهم فى الأصول من حيث العقيدة التى عليها مدار أصول الدين الذى شرعه لعباده وأمرهم بالسير عليه والعمل بما يستلزمه ذلك الدين فى أن يكونوا عليه دائبين وعلى إرشادات الأنبياء والمرسلين سالكين ، وإن كل من عمل بذلك الإرشاد وتحر فيه المآخذ التى هى فروع ذلك الدين ، فلا غرو أنه عامل بالدين وبكل ما يتطلبه الدين فيكون عاملا بالدين ومن الدين يعمل ،وإذا كان كذلك فأين الفروع التى تخالف بيان الدين حتى يتأتى فيها قول القائل بالخلاف فى الفروع، وأما قول بعض العلماء صحت صلاة خلف المخالف فى الفروع ، كحنفى خلف شافعى أو شافعى خلف حنفى فما هو إلا البيان للجاهل الذى يتوهم أن الصلاة خلف هذا لا توافق مذهبه ، فكأنما يقول له الصلاة مقبولة لأنها من الأصول وعلى الأصول تؤدى ، ولقد أحسن من ألف كتابا وسماه ، رحمة الأمة فى اختلاف الأئمة ، لأنه ليس خلافا فى الواقع .

فحال هؤلاء كحال من يعتقد أن دين الله تعالى الذى شرعه لعباده فيه خلاف ، نظرا لأن شرعة أنبيائه كل رسول تغاير شرعة الآخر ، وذلك لجهله وخلطه بين الدين والشرعة لما فهم من قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا

إليك وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) الآية .
ظن الفمر أن التفرق فى الدين ممكن مستدلا بقوله تعالى (ولاتتفرقوا فيه) وأن الدين هو الشرعة ، ولم يفرق بين الدين الذى هو الأصل لجميع الشرائع كما قال تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) وقال تعالى (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص) وقال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) الآية وقال تعالى فأقم وجهك للدين القيم) الآية وقال تعالى (قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) وهكذا من كثير الآيات التى أبان لنا سبحانه وتعالى فيها ، ماهو الدين وماهى حقيقته ، وماهى الشرعة والمنهاج الذى فصل لنا سبحانه وتعالى فيها الشرائع التى هى فروع الدين بدون خلاف فى الشرعة الواحدة المناسبة لمن هى لهم قوة وضعفا فقال تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقال تعالى (ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله) الآية وقال تعالى (لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه) الآية وقال تعالى (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم) على أنه ما من واحد من أفاضل الأمة الإسلامية الذين وفقهم الله تعالى وأفاض عليهم من فضله الذى يؤتيه من يشاء بالقيام لخدمة كتابه العزيز بعد تأهيلهم فى كل ما يستلزمه ذلك من الشروط التى يجب على المفسر أن يكون حائزا لها حتى يستطيع أن يدخل فى هذا المضمار الشاق والطريق الوعر الشائك ، وليس لكل أحد ذلك قال تعالى (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وها نحن أولا نذكر لك شيئا مما دونه أفاضل الأمة عن بيان حقيقة الدين ، والشرعة لتقيس عليه جميع ما قرره جميع الأفاضل من المفسرين قال العلامة القرطبى على قوله تعالى (شرع لكم من الدين) أى الذى له مقاليد السموات والأرض شرع لكم من الدين ما شرع لقوم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، ثم بين ذلك بقوله تعالى (أن أقيموا الدين) وهو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء ، وبسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلما . ولم يرد الشرائع التى هى مصالح على الأمم

حسب أحوالها ، فإنها مختلفة متفاوته ، قال الله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقد تقدم القول فيه . ومعنى « شرع » أى نهج وأوضح وبين المسالك . (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) أى اجعلوه قائما ، يريد دائما مستمرا محفوظا مستقرا من غير خلاف فيه ولا اضطراب ، فمن الخلق من وفى بذلك ومنهم من نكث ، ومن نكث فإنما نكث على نفسه . اهـ قرطبى . وقال العلامة صاحب الكشاف على قوله تعالى (شرع لكم من الدين) دين نوح ومحمد ومن بينهما من الأنبياء . ثم فسر المشروع الذى اشترك هؤلاء الأعلام من رسله فيه بقوله : «أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» والمراد إقامة دين الإسلام الذى هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه ويوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلما . ولم يرد الشرائع التى هى مصالح الأمم على حسب أحوالها فإنها مختلفة متفاوتة قال تعالى : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) . اهـ كشاف . وقال العماد ابن كثير فى تفسيره : يقول تعالى لهذه الأمة (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك) فذكر أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه السلام وآخرهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم . ثم ذكر من بين ذلك من أولى العزم وهم إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم . وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة كما اشتملت آية الأحزاب عليهم فى قوله تبارك وتعالى (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) الآية . والدين الذى جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال عز وجل (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه إنه لا إله إلا أنا فاعبدون) . وفى الحديث « نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد » أى القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم لقوله جل وعلا (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) ولهذا قال تعالى هنا (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) أى أوصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالائتلاف والجماعة ونهاهم عن الافتراق والاختلاف بينهم اهـ كثير .

لعله قد استبان لك ، أن الدين شىء والشرعة شىء آخر وأن الدين واحد لا خلاف فيه وأنه كامل فى ذاته من كل الوجوه لأن مشرعه جل وعلا كامل من كل الوجوه ، فطالما قررنا أنه سبحانه وتعالى كامل بالفعل وليس له كمال ينتظر ، ومن كان كذلك فلا يشرع دينا ناقصا حتى يكمل من دين غيره وكذلك الشرعة لكل نبى كذلك كاملة

فى ذاتها من كل الوجوه لأن مشرعها كامل على ما قدمناوأنها ليست فى حاجة لتكملتها من شرعة أخرى بالنسبه لمن هى لهم .

ومن هنا تعرف انحراف كلام الذى قدمه العلماء ليكون خطيبا فى الأزهر يوم الجمعة للرئيسين القوتلى وجمال وإذهويفت فى العالم ونشرت على صفحات الجرائد يوم السبت ١٢ من رجب سنة ١٣٧٧ هـ، ١من فبراير سنة ١٩٥٨م . وقد استهلها بقوله : إن الإسلام حقق الوحدة والتوحيد فى الدين والاعتقاد ، فعلمنا أن الإسلام والمسيحية واليهودية شرعة واحدة ؛ يكمل بعضها بعضا . وزاد مما يعلم من معتقداته التى تعلمها من بيان الإسلام الذى أساسه القرآن الكريم فقال وعلمنا أن الناس متحدون فى قيمهم الإنسانية وطبائعهم البشرية . هذا نهاية ما يعلمه عن الإسلام ومن الإسلام ، الذى قال فيه واضعه جل وعلا (ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) . فهل عيناه تماثلان قوة أو أذناه أو رجلاه أويداه كذلك ؟ فلم ينظروا إلى أنفسهم ولا إلى ما خلق الله من شىء . من قوله تعالى (ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات) وفى قوله تعالى (هل يستوى الأحياء والأموات) وفى قوله تعالى (أو من كان ميتا فأحييناه) الآية . وكيف يسمى الحق عز وجل شرعة جميع الأنبياء والمرسلين التى أصلها الدين بقوله تعالى (ذلك الدين القيم) وكيف يكون قيما وناقصا إذ يقول أن بها نقصا يكمل بعضها بعضنا قال تعالى (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) .

فإن قال قائل ، حيث كان الدين واحد والشرعة واحدة فما وجه الخلاف بين من يسمون بالعلماء والأحبار فى الدين والشرعة ؟

قلنا : إن الله تبارك وتعالى قد أبان لعباده أن عقائدهم تكون على حالتين . الهدى . والضلال إذ أبان سبحانه وتعالى أن المنحرف عن الهدى قد ضل والتابع للأنبياء والمرسلين ومن على قدمهم من الخلق أجمعين فهم أهل الحق قال تعالى (فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون) . فأهل الحق هم أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام . الضالون عنه هم الزائغون المنحرفون عن هذا الإجماع المتأولون لكلام الله وكلام رسله ضد أهل الإجماع . وهم ليس لهم غرض فى هذه المخالفة إلا المعارضة للحق وأهله وهم أهل الزيغ والفتنة قال تعالى (فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) . على ما قدمنا ذلك فهم يخالفون الأنبياء والمرسلين ومن على قدمهم من الخلق أجمعين من بياناتهم عليهم الصلاة

والتسليم . فهم يخالفون فى الأصل وهو الدين وفى الفروع وهى الشرعة بل هم مختلفون فيما بينهم وليتحقق قول الصادق المصدوق صلى الله تعالى عليه وسلم « افترقت اليهود) الحديث قد تقدم فالإختلاف بين أهل الفرق الزائغة الضالة الذين لايزالون مختلفين . وأما أهل الحق فلا خلاف بينهم على ما قدمنا .

المسألة الرابعة

فيما يقول الناس فى الإسراء والمعراج بالمخالفة للكتاب والسنة

ظن الكثير من الناس أن الإسراء كان بالروح فقط ، ولعله فهم مما جاء فى السنة من الإسراءات التى كانت تدريجا وتوطيداً لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الإسراء يقظة ولم يخش هذا القائل اصطدامه بقوله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده) الآية ومن المقرر أنه لا يطلق العبد إلا على كامل الجسم والروح معاً ، ولكنه جهل هذا وجهل تدريب الحق عز وجل عباده من الأنبياء والمرسلين على الأمور التى يشاء تعالى إعلاءها لعباده لتكون معجزة لرسله مع اطمئنانهم عند ظهور نتائجها على رؤس الأشهاد من المنكرين ، وغير المنكرين بل وقد ازداد غيره فى الجهالة وقال نعم إن الإسراء كان بالعبد كاملا من مكة إلى بيت المقدس وذلك خشى أن يصدمه قوله تعالى (من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) وهذا غاير الأول بأن الإسراء كان يقظة ولكنه قال : فى المعراج أنه كان بالروح فقط . وهذان ينكران « الشق » أى شق صدره الشريف صلى الله الله تعالى عليه وسلم ، وهم قد جهلوا مغزى الإسراء والمعراج وحكمتها وشق الصدر وحكمته وآخر يقول إن الجنة فوق سبع سموت بستدلا بقوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عند هاجنة المأوى) ولم يخف اصطدامه بقوله تعالى (يوم نطوى السماء كطى السجل) الآية فإذا كان الأمر بإخبار ربك تبارك وتعالى يمحو الدنيا بسمواتها وأراضيها فعلى أى شىء تستقر الجنة حينئذ ؟ ! على أن الجنة قريبة من النار على ما أخبر به تبارك وتعالى (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) الآية وفى الحديث الشريف بعد إستقرار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار يقف بين الجنة والنار مناد بيده كبش فيقول يا أهل الجنة فيشرئبوا ويا أهل النار فيشرئبوا فيقول هذا هو الموت فيذبحه بين الجنة والنار ثم يقول يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت . فهذا الجمهور ذكر أن الجنة فوق سبع سموات ولم يبين لنا مقابلتها ، وهى النار .

وآخر يقول إن المعراج ما كان إلا أن حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم عرج به ليرى ربه تبارك وتعالى عن ذلك علوا كبيرا كما ذكرناه فى عقائدهم ورددنا عليهم فى الذى جئنا به من كتبهم ورددنا عليه رداً جميلا وإن كان الذى جئنا به فى باب الإسراء والمعراج إن شاء الله تعالى ما هو أوسع . وآخر يقول إنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما فرض عليه وعلى أمته الخمسون صلاة رجع حتى جاء إلى موسى فى السماء السادسة وقال له عليه السلام ما فرض ربك عليك يا محمد ؟ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم خمسون صلاة فقال له موسى عليه السلام ارجع إلى ربك واسأله التخفيف فرجع فحط عشرا على رواية أو خمسا على رواية أخرى ، فظن أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرجع من السماء السادسة من عند موسى عليه السلام إلى مافوق العرش فى المكان الذى فرضت عليه الصلاوات فيه وهذا من الجهالة بمكان لأن معنى ارجع إلى ربك أى التجىء إلى ربك وهو واقف مكانه كما بينا ذلك فلله الحمد والمنة والشكر والثناء الحسن الجميل على ما أكرمنا فى فضله وكرمه ببيان كل ذلك وتوضيحه فى باب الإسراء والمعراج . بمشيئة الله تعالى موفاً مستكلا بحوله وقوته تعالى سبحانه لا نحصى ثناء عليه

تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه وصلى اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين الجزء الخامس ويليه
الجزء السادس أوله الباب الثاني عشر في تحقيق ليلة النصف من شعبان وأنها سنة
والاجتماع عليها

فهرس الجزء الخامس من كتاب فيض الوهاب